جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بالمنصورة

البحث اللغوي

١ – النحو قبل التدوين
٢ – أشهر علماء النحو في هذه الفترة من خل قضاياهم النحوية

تأليف / الأستاذ الدكتور :
صلاح عبدالعزيز علي السيد

الأستاذ في كلية اللغة العربية بالمنصورة

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين

وبعد

فقد رأيت أن الترجمة لعلماء النحو الأجلاء منتشرة بين كتب كثيرة من كتب التراجم ورأيت الحديث عن كل عالم متشعبا فى أماكن متفرقة ، وهو عمل مضن فأردت أن أدلى بدلوى فى هذا البحر الخضم الزاخر بالحديث عن فطاحل العلماء فوجدت أن الإحاطة بهم تتعذر على مثلى ، فأحببت أن أكتب عن مشاهيرهم ، وأن أتحدث عن بعضهم ، لأن هذا هو المناسب لجهدى فذكرت من هؤلاء الصفوة ما يفى بغرضى ، وعسى الله أن يتيح لغيرى من يكمل هذه السلسلة الفاضلة ، ويتم هذا العقد ، فالله أشاع خيره بين خلقه ، وكل يأخذ من عطاء الله ، وما كان عطاء ربك محظورًا

وقسمت هذا الكتاب أقساما ستة :

القسم الأول : النحو قبل تدوين الكتاب ، وفيه ذكرت ما وصلت إليه من علماء هذا العصر وسقت

قضاياهم النحوية التي عالجوها بما يتناسب مع بدء علم النحو ، ومباحثه التي شغلوا بها ، وكانت متصلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي ، وبينت ما كان لقواعد النحو من تأثير ضخم عند العلماء حتى حكموا بها على فصحاء العرب وخطؤوا من خرج عليها بصورة صارمة ، وهو عصر مراجعه قليلة ومصادره شحيحة لا تفي بغرض الباحث ، فأوديته ذات شعاب كثيرة ، وتحتاج الى جهد وتعب للوصول إلى هذا الهدف .

القسم الثاني: النحو بعد تدوين كتاب سيبويه وجعلت الحديث فيه تبعا للمدارس النحوية التي ظهرت وانتشرت ،وهي أقسام .

١ - قسم لعلماء المدرسة البصرية: وقد ظهر كتاب سيبويه على أيديهم وأصبحت قضاياه مشهورة ، فذكرت أشهر علماء هذه المدرسة ومجهوداتهم وقضاياهم النحوية التي شغلوا بها ، والنحو عندهم قد استوى على سوقه حتى أصبح قوي البناء عالي الأساس ، يشار اليه بالبنان .

٢ — وقسم للمدرسة الكوفية وبينت مجهود علمائها ،

ومشاهيرهم ، وجهدهم لخدمة هذا العلم ، وهو جهد مشكور ، وقد احتدم الصراع بين المدرستين ودخلت بينهما السياسة ، فأشعلت النار بينهما ، وكادت الخصومة تكون حربا عنيفة قاسية بينهما ، وظهر التعصب ، بين أصحاب المدرسة ، وما كان ينبغى للبحث العلمى أن يصل الى هذه الدرجة ، وإنما العلم رحم بين أهله ، وكل يقول رأيه فى سماحة ويسر .

٣ — وقسم للعلماء الذين أنشئوا المدرسة البغدادية

وكانوا علماء أفذاذاً ، لهم نظراتهم القوية فى هذا العلم حتى أوصلوه إلى الدرجات العلى ، وكانوا من أكابر هذا الفن الجليل وكتبهم تسجل مجهوداتهم التى أثرت فى هذا العلم ، ورفعت شأنه ، وبينت قضاياه فى أسلوب رائق ، وتراكيب جيدة وبقدرة رائعة ، فذكرت منهم الأجلاء المشهورين

٤ — وقسم لعلماء المدرسة الأندلسية : وهم الذين أثروا

النحو إثراء بليغا ، وأوصلوه الى القمة ، وصاربهم

هذا العلم شارة السبق ، وعنوان التقدم ، وهم علماء خدموا هذا الفن وألفوا فيه الكتب الكبيرة ، وصاغوا أحكامه شعرا ، فأصبحت طريقتهم هى السائدة فى تعليم النحو فى عصرنا وعددهم لا يحصر ، فنذكر منهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، نعددهم أكبر من الحصر ، فنعد منهم ولا نعددهم ، وجزاهم الله خيرا .

٥ — وقسم لعلماء المدرسة المصرية وقد أسهموا بمجهود كبير فى بناء النحو ، وكان علماء هذه المدرسة فى مصر والشام ولهم كتبهم وحواشيهم المختلفة وخاصة أنهم جاءوا متأخرين ، فشرحوا كتب السابقين وعلقوا عليها بتعليقات نفيسة تحسب لهم ، ولهم نظرتهم وأفكارهم الخاصة بهذا الفن ، وعددهم كبير لا أستطيع حصرهم ، وإنما ذكرت المشاهير منهم ، وتركت الباقى لمن يأتى بعدى ليكمل هذا البناء ، كما أشرت الى امتداد هذه المدرسة فى عصرنا ممثلة فى علماء الأزهر والجامعات الأخرى العلمية .

٦ - والقسم الأخير لعلماء الشرق الذين ظهروا فى مكة والمدينة ، وبلاد الترك والديلم مما وراء النهر وهؤلاء العلماء كان لهم طريقتهم الخاصة التى ظهرت فى كتبهم فى معالجة قضايا النحو والصرف ، والاهتمام بالحواشى فى دقة وجودة ، فنذكر بعضا من أفاضلهم ونترك الباقى ، لأن مثلى لا يستطيع حصرهم ولا الوقوف على عددهم وهم كثير .

جزى الله من ساعد فى بناء صرح النحو ، خدمة للغة العربية التى نزل بها كتاب الله العزيز وتحدث بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وسجل بها التراث الإسلامى الخالد .

والله الموفق .

أ.د / صلاح عبد العزيز على السيد
أستاذ اللغويات
بكلية اللغة العربية بالمنصورة
١٩ من جمادى الأولى سنة ١٤٢١ هـ
١٩ من أغسطس سنة ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلام النحويين قبل التدوين

النحو وتطوره :

إنّ علم النحو من العلوم العربية المهمة التى تدرس الكلمة والكلام باعتبار الهيئة التركيبية وأدائها للمعانى الأصلية ، ويستعمل النحو فى اللغة لعدة معان :

القصد : نحو نحوت نحوًا أى قصدت قصدا فهو المصدر ، وقد يستعمل ظرفا تقول توجهت نحو البيت أى جهة البيت كما يدل على المثل تقول : تقول هذه نحوه أى مثله كما يستعمل بمعنى النوع تقول هذا على خمسة أنحاء أى أنواع ، ولكن الغرض منه صيانة الذهن عن الخطأ اللفظى ، والنطق الصحيح عربيا .

ولذلك يقول ابن جنى فى كتابه الخصائص (باب القول على النحو) : ـ

هو انتحاء سمت كلام العرب ، فى تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع ، والتحقير ، والتكسير ، والأضافة ، والنسب والتركيب وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها فى الفصاحة فينطق بها ، وإن لم يكن منهم ، وإن شذّ بعضهم عنها رُدّ به اليها ، وهو

فى الأصل مصدر شائع أى نحوت نحوا كقولك : قصدت قصدا ، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم (١)

وعلى هذا اختص النحو بدراسة أحوال المفرد والمركب من حيث الأعراب والبناء وتركيب بعضها من بعض .

نشأة النحو :

لقد عرف عن العرب أنهم يرغبون فى العزلة والعزوف عن الاختلاط بالأمم المجاورة ، لذلك عاشوا فى بيئة عربية خالصة ، واحتفظوا بلغتهم سليمة من الشوائب لسلامتهم من الاحتكاك باللغات المختلفة ، والقرآن الكريم يحكى لنا أن لقريش رحلتين رحلة الصيف إلى الشام ، ورحلة الشتاء الى اليمن ، فهذا اتصال موسمى محدود لا يمس جوهر اللغة أو يعدو على أبرز خصائصها وهو الإعراب الذى تتميز به المعانى فى الأساليب المتعددة ، وحسب اللغة فى هذه الفترة ومن هذه الصلة أن تضم الى رصيدها من المفردات كلمات أعجمية تداولتها الألسنة وتناولتها بالصقل والتهذيب وأدخلتها فى زمرة الصيغ والأبنية المألوفة وصار لها من أصالة النسب إلى العربية ما جعلها أهلا لتكون بين ما يتلى من كتاب الله تعالى الذى أنزله بلسان عربى مبين .

(١) جـ ١ ص ٣٤ .

وفى ظل الاسلام ودعوته العامة ، ورسالته العالمية الخالدة جعل الله أرض الجزيرة العربية ملتقى الأنظار ومهوى الأفئدة ، ومشرق النور ، ومنزل الوحى فخرج العرب من عزلتهم يُهْرَعون للقاء من دخل الاسلام من الأعاجم ، وهفت قلوبهم إلى زيارة بيته المحرم أو دعتهم ضرورات الحياة الى لقاء الخلفاء ، ورجال الدولة فى المدينة المنورة حاضرة الاسلام الأولى ، كما انضموا إلى قوافل الجهاد فى سبيل الله فساحوا فى الأرض وهبطوا إلى الأمصار التى فتحوها وعاشوا مع أهلها إخوانا فى دين الله ، تظلهم راية التوحيد ، ويجمع بين قلوبهم شعور متبادل بأنهم لَبِنات فى بناء كريم من صنع الله يشدُّ بعضه بعضا ، وما أجمله من بناء وأروعه من هدف .

فى هذه البيئة الجديدة الجامعة تحدث العرب الى إخوانهم فزالت الحصانة وفسدت الملكة اللسانية وبدأت اللغة تقاوم أسباب العدوى حتى ضعفت المقاومة شيئا فشيئا أمام تيار يشتد أثره ويتضاعف خطره ، فارتضخت الألسنة لُكْنَةً أعجمية ، وهجم اللحن على حصون العامة والخاصة ، حتى استشرى الداء وتمكنت العلة ، وضعف اللسان العربى فى وسط هذه الأمواج

ذات اللسان العجمى ، ومع التزاوج والتقارب ازداد الضعف واشتد البلاء .

ومن المعلوم أن اللغة العربية كانت منطق الوحى ولسان الكتاب الكريم ، ولغة رسوله الأمين ، وقد تعهّد الله بقراءة القرآن والعمل به جمع المكلفين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن هذا فتح بـاب الخلود لهذه اللغة فتأبت على الأحداث ، وسمت فوق أسباب الفناء ، وإن كان قد تولد من هذا الاختلاط سريان اللحن إليها ، نتيجة هذا السماع من الموالى والمتعربين والسمع طريق الملكات اللسانية ، لأن اللغة وليدة المحاكاة وما يصل الى الأذن .

وقد امتد هذا اللحن إلى تِلاوة القرآن الكريم وهذا أمر لا يصح السكوت عنه ، لأن أمة الاسلام بالقرآن فإن أصيب وأعجم ضاعت الأمة ، وذهب الأسلام والله يقول : ((إنّا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)) (1)

---

(1) الحجر الآية ٩ .

سبب وضع النحو :

لقد انتشر الانحراف واللحن في اللغة نتيجة الاختلاط فهب ذوو الغيرة من العلماء في الصدر الأول الأسلامي لصد هذا السيل الجارف الذى كاد يكتسح اللغة العربية فلقد تسرب الى القرآن الكريم والسنة النبوية ، ورأوا أن الحفاظ على هذه اللغة ضرب من الجهاد الدينى حتى تستقيم الألسنة ويظل المسلمون على صلة وثيقة بالقرآن الكريم يتلونه على استقامة ويتدبرونه عن بينة .

والراصد لهذه الظاهرة من اللحن والانحراف يجدها قد بدأت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى أن رجلا لحن في حضرته فقال : أرشدوا أخاكم فقد ضلّ " وقال أبو بكر رضى الله عنه (لأن أقرأ فأسقط أحبّ الى من أن أقرأ فألحن) (١).

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن اللحن كان معروفا قبل الاسلام وفى وقت ظهوره ويستدل بقول النبى صلى الله عليه وسلم " أنا أعرب العرب ، ولدتنى قريش ونشأت في سعد بن بكر فأنّى يأتينى اللحن " (٢) وقال إنّ نفى

(١) معجم الأدباء جـ ١ / ٨٢ .
(٢) جمهرة الأنساب لابن حزم صـ ٣٥٣ .

اللحن عن الرسول صلى الله عليه وسلم يتضمن أن اللحن كان ظاهرة معروفة ، وأن بعض السادة العرب كانوا يلحنون ، ولكن اللحن في الجاهلية كان ظاهرة نادرة الوقوع ، لأن الاختلاط كان محدودا في رحلتي الشتاء والصيف .

ولكن الذي لا شك فيه أن اللحن الذي استشرى واستفحل خطره حتى كان منذرا بوباء يهدد اللغة في أعز مقوماتها ، وأهم خصائصها نتيجة الاختلاط العام الذي أوجبه الاسلام وترتب عليه الاتصال بالمصاهرة والمجاورة وتبادل المنافع " يقول الأستاذ أحمد أمين : وهكذا كان الاسلام والفتح وما تبعهما من حضارة سببا في انتشار اللغة وسعتها ، ولكن هناك ناحية أخرى لا يصح إغفالها ، وهو أن الاسلام والفتح والحضارة أنتجت أشياء لها خطرها ، من ذلك أن جزيرة العرب أصبحت مرتادًا للأعاجم ، فحاضرة الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين هي المدينة ، ومقصد المسلمين كلهم في الحج مكة ، فكان الناس من الأعاجم يأتون أفواجا للحج أحيانا ، ولقضاء مصالحهم في حاضرة الخلافة أحيانا ، وعرب الجزيرة بحكم الفتح قد ملكوا رقيقا كثيرا سكنوا مع سادتهم في الحجاز وغيره ، فاختلط العجم بالعرب في البيوت وفي

الأسواق وفى المناسك وفى المساجد فتطرق من ذلك الخلل فى لسان العرب ، وكانوا يتكلمون العربية عن سليقة فأخذ الفساد يدب فى تلك السليقة وظهر اللحن ، وكذا كان حال الأمصار الأخرى ، خالط عرب مصر القبط ، وعرب الشام الشاميين وعرب العراق الفرس والنبط وهكذا ، فدب اللحن اليهم أيضا ، وكان مما ساعد على هذا اللحن أن اللغة العربية لغة مُعرَّبَة ، وهذا يجعلها من أصعب اللغات ، ويجعل الفساد يسرع إليها ، وكان هذا اللحن قديما حدث فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ورووا أن كاتبا لأبى موسى الأشعرى كتب إلى عمر (من أبو موسى) فكتب عمر إلى أبى موسى : عزمت عليك لمَّا ضربت كاتبك سوطا ، ، ورووا أن ابن عمر كان يضرب بنيه على اللحن ، وسرى هذا اللحن إلى البادية فقال الجاحظ " أول لحن سمع بالبادية " هذه عصاتى ، ولحن محمد بن أبى وقاص لحنةً فقال : " حسّ إ انى لأجد حرارتها فى حلقى ، وكان الحجاج ابن يوسف يلحن أحيانا ، وفشا اللحن فى العصر العباسى أكثر مما كان من قبل لكثرة الاختلاط .

كل هذه حمل العلماء على وضع قواعد لحفظ العربية

فكان النحو وكان علم اللغة " (١)

والروايات فى وقوع اللحن كثيرة وأخصها بالاشارة اليه والحديث عنه ما وقع فى قراءة القرآن الكريم فقد روى أنه قدم أعرابى فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال: من يقرئنى شيئا مما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ، فأقرأه رجل سورة براءة فقال: " إنّ الله برىء من المشركين ورسوله " بالجر فقال الأعرابى أوقد برىء اللهُ من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برىء من رسوله ، فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر رضى الله عنه مقالة الأعرابى ، فدعاه فقال يا أعرابى ، أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنى قدمت المدينة ولا علم لى بالقرآن فسألت من يقرئنى ؟ فأقرأنى هذا سورة براءة فقال : إنّ الله برىء من المشركين ورسولِه " فقلت له أوقد برىء الله تعالى من رسوله ؟ إنْ يكن الله تعالى برىء من رسوله فأنا أبرأ منه " .

فقال عمر ليس هكذا يا أعرابى ، فقال : كيف يا أمير المؤمنين . فقال : " إنّ الله برىء من المشركين ورسولُه " بالرفع " فقال الأعرابى : وأنا والله أبرأ ممن برىء الله

(١) ضحى الاسلام ٢/ ٢٥١ ، ٢٥٢ .

ورسوله منهم ، فأمر عمر رضى الله عنه ألا يقرىء القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود الدؤلى بوضع النحو .

قال ابن خلدون فى المقدمة : فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذى كان فى أيدى الأمم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى اليها السمع من المخالفات التى للمتعربين ففسدت بما ألقى اليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتبار السمع ، وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ، ويطول العهد بها ، فتنغلق القرآن والحديث على المفهوم ، فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين تلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل إن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ، ثم رأوا تغيير الدلالة بتغير حركات الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وأمثال ذلك ، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة مخصوصة ، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو [1] .

---

(١) الفصل السادس فى العلوم ... علم النحو .

ومن ملاحظة ما سبق نستطيع أن نقرر مطمئنين أن وضع النحو لهذه الحوادث مجتمعة مما ساعد على وضعه ، وذلك في الصدر الأول للاسلام حيث هرع العلماء للدفاع عن القرآن والسنة وهو كائن حي يبدأ بسيطا ثم يتدرج الى الوصول الى الكمال ، وكان وضعه ونشأته في العراق على حدود القادسية وملتقى العرب وغيرهم فكان أظهر بلد انتشر فيه وباء اللحن وعم الانحراف ، فكان ضروريا وضعه لمعالجة هذا البلاء الذى فشا وانتشر ، والضرورة تلجىء الى ذلك .

وعرب البوادى والحجاز لغتهم فصيحة لقلة الاختلاط فلم يظهر النحو عندهم ، لأنه لا حاجة لهم في ذلك ولذلك ظهر أولا في العراق .

***

واضع النحو :

من المعلوم أن البصرة أول مدينة عنيت بالنحو واللغة وتدوينها ، واختراع القواعد لها ، ثم لحقت بها الكوفة بنحو مائة عام تؤسس مذهبا يضاهي مذهب البصرة وينازعه ويتعصب لكل علمائه ، قال ابن النديم " قدمنا البصريين أولا لأن علم العربية عنهم أخذ ".(١)

وكان أول من ألف في النحو من الكوفيين أبو جعفر الرؤاسي ، وأسس المذهب الكوفي ، ثم قواه ودعمه الكسائي والفراء .

ولكن المحققين يختلفون في تعيين واضع النحو، والآراء كثيرة ومتضاربة ، ولذلك كما يقول الأستاذ أحمد أمين " وتاريخ النحو في منشئه غامض كل الغموض ، فاذا ترى فجأة كتابا ضخما ناضجًا هو كتاب سيبويه ، ولا نرى قبله ما يصح أن يكون نواة تبين ما هو سنة طبيعية من نشوء وارتقاء ، وكل ما ذكروه من هذا القبيل لا يشفي غليلا " .

ولذلك سأعرض آراء العلماء في ذلك عرضا موجزا فأقول :

---

(١) ضحى الاسلام ٢/٢٨٤ ، ٢٨٥ .

أولا : نسب بعضهم وضع النحو الى الامام على كرم الله وجهه

وذكر أن أبا الأسود الدؤلى دخل عليه يوما فوجد فى يده رقعة فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين فأجابه إنى تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء يعنى الأعاجم فأردت أن أضع شيئا يرجعون اليه ويعتمدون عليه ، والامام كتب فى هذه الرقعة : الكلام كله اسم وفعل وحرف . فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما انبىء به ، والحرف ما أفاد معنى ، واعلم أن الأسماء ثلاثة ، ظاهر ومضمر ، واسم لا ظاهر ولا مضمر ، وانما يتفاضل الناس بما ليس بظاهر ولا مضمر ثم وضع أبو الأسود بابى العطف والنعت ، ثم بابى التعجب والاستفهام الى أن وصل الى باب " إنَّ وأخواتها " ماخلا لكنَّ ، فلما عرض عليه أمره بضم " لكنَّ " اليهما وكلما وضع بابا من أبواب النحو عرضه عليه الى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال : ما أحسنَ هذا النحوَ الذى قد نحوت ، ولذلك سمى النحو .

ولكن النفس لا تطمئن كثيرا الى صحة الجزء الأخير من الرواية وقد نقلها ابن الأنبارى والقفطى

فإنّ هذه الأقسام وما وضع لكل منها من أسماء نتيجة المواضعة والاصطلاح .

ولكن الأستاذ أحمد أمين يحكم على ما سبق بأنه حديث خرافة متعللا بأن طبيعة زمن على وأبى الأسود تأبى هذه التعاريف ، وهذه التقاسيم الفلسفية ، وما ورد الينا من هذا العصر فى كل فرع علم يتناسب مع الفطرة ليس فيه تعريف ولا تقسيم ، إنما هو تفسير آية ، أو جمع الأحاديث ليس فيها تبويب ولا ترتيب ، وأخشى أن يكون ذلك من وضع بعض الشيعة .

كما أن بعض الباحثين المحدثين يرى أن هذه الأقسام وأسماءها مقتبسة من الفلسفة اليونانية ، فكيف يهتدى اليها على رضى الله عنه لأول وهلة مع ما يشغله عن البحث النحوى من مهام الخلافة وسياسة الدولة ، كما يروى أن عليا سمع أعرابيا يقرأ " لا يأكله إلاّ الخاطئين " فوضع النحو .

وفى رواية ثانية ينسب وضع النحو إلى أبى الأسود الدؤلى نفسه بإشارة من عمر رضى الله عنه أو بإشارة من زياد ابن أبيه ، كما نقل أن الدافع له حادثة ابنته فقد قالت ما أحسنُ السماءِ . فقال :

نجومها فقالت إني لم أرد هذا ، وانما تعجبت من حسنها فقال لها : اذن فقولى : ما أحسنَ السماءَ . فحينئذ وضع النحو .

وبعضهم يدعى نسبة وضعه الى عبد الرحمن بن هرمز المتوفى سنة ١١٧ هـ في خلافة هشام ، وقيل إنه نصر بن عاصم المتوفى سنة ٨٩ هـ ، وينكرون نسبته الى على وأبى الأسود " (١) .

ثانيا : زعم بعض المستشرقين أن علم النحو منقول من لغة اليونان ، لأن وضعه في العراق كان بعد اختلاط العرب بالسريان وتعلمهم ثقافتهم ، وللسريان نحو قديم ورثوه عن اليونان قال ابن منظور " ثبت عن أهل يونان فيما يذكر المترجمون العارفون بلسانهم ولغتهم أنهم يسمون علم الألفاظ والعناية بالبحث عنه نَحْوًا ، ويقولون : كان فلان من النحويين ، ولذلك سمى يوحنا الاسكندرانى يوحنا النحوى الذى كان حصل له من المعرفة بلغة اليونانيين " (٢)

---

(١) ضحى الاسلام ٢/٢٨٦ .

(٢) لسان العرب مادة (نحو) ص ٤٣٧٠ ط دار المعارف .

ولقد رد ليشمان في محاضراته هذه المقولة بقوله "

" اختلف الأوربيون في أصل هذا العلم ، فمنهم من قال: إنه نقل عن اليونان إلى بلاد العرب ، وقال آخرون ليس كذلك ، وإنما كما تنبت الشجرة في أرضها كذلك نبت علم النحو عند العرب .

وهذا هو الذي روي في كتب العرب من زمن ثم قال : وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء ، وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه " .

والذي يميل إليه الباحث المنصف أن أبا الأسود هو واضع النحو ، وأغلب الروايات تشير الى دوره الهام في تنفيذ الفكرة سواء أكانت من وحي غيره أم من بنات رأسه .

ولقد اجمع العلماء قديما وحديثا على أن أبا الأسود هو الذي ابتكر شكل المصحف ولعل ذلك كان منه تكميلا لما بدأ به من القيام بما يحفظ اللغة ، ويصون كتاب الله من التحريف ، وهي خطوة أولية في سبيل النحو تتمشى مع قانون النشوء والارتقاء ، وأحمد الأستاذ أحمد أمين فقال : ويظهر

لى أن نسبة النحو إلى أبى الأسود لها أساس صحيح ، ويمكن أن تأتى من أبى الأسود ، وأن هذا يلفت النظر الى النحو ، فعمل أبى الأسود يسلم إلى التفكير فى الأعراب ووضع القواعد له ويقول ابن حجر فى الأصابية : (أول من نقط المصحف ووضع العربية أبو الأسود) ثم جاءت الخطوة الثانية جمع مسائل النحو المعروفة فى كتاب ، وقد ذكروا أن عيسى ابن عمر الثقفى المتوفى سنة ١٤٩ هـ فعل ذلك فألف كتابين سمى أحدهما الجامع ، وسمى الآخر : الأكمال ، ولكنهما لم يعثر لهما على أثر ، والذى له الفضل الأكبر الذى اخترع واستنبط أصول النحو وفروعه هو الخليل ابن أحمد (١) رحمه الله

(١) انظر ضحى الاسلام ٢/٢٩٠ .

تطور مباحث النحو :

إن حماية القرآن الكريم من اللحن هو الداعي الأول لوضع النحو ، ولقد تنافس العلماء في ذلك بروح دينية نفيسة أنشأت هذا الصرح وأعلته إلى الدرجة السامقة ويشهد لذلك أن مؤسسي هذا العلم في البصرة والكوفة من المهتمين بالدراسات القرآنية .

فمن البصريين : عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي ، وأبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد الفراهيدي .

ومن الكوفيين : على بن حمزة الكسائي ، ويحيى بن زياد الفراء .

وبدأت هذه الدراسة بالبصرة ،لأنها كانت في حاجة ماسة لاتقاء وباء اللحن وخاصة الموالي وهم أحوج الناس لهذا العلم لتقديم لسانهم وتخليصه من شائبة العجم ، وحبا لمعرفة لغة الدين . ولا شك أن أبا الأسود الدؤلي له الفضل الكبير في بدء هذا الغرس وازدهاره على مر الزمان حتى اكتمل وضعه وتم بناؤه في العصر الأموي دون سائر العلوم اللسانية ، لفضله

ولحاجة العرب إليه حتى يتقوا مصيبة العجمة واللحن حماية لكلام الله عز وجل .

وما استهل العصر العباسي إلاّ وهو يدرس دراسة واسعة في البصرة والكوفة ، وكمل في بغداد وذلك قبل نهاية العصر العباسي الأول وقبل تمام القرن الثالث الهجري " (١).

وقد بدأت المباحث بقضايا أولية ثم تطورت ونمت على مرور الأيام ، وقد حمل العبء الأكبر كثير من الموالي الذين أوقفوا حياتهم على الدراسة عنه في تعلم لغة الدين الحنيف ، وطمعا في أن ينالوا مراتب الشرف ومنازل السناء بين الناس .

والنحو في تاريخه القديم بصري المولد والنشأة فقد اهتم به نحاة البصرة وتعهدوه بالرعاية قرابة قرن من الزمان ، ثم بدأ النحاة في الكوفة يعنون به وينافسون فيه وقد أخذ الكوفيون النحو عن البصريين ، فأبو جعفر الرؤاسي أستاذ أهل الكوفة عرف بالبصرة وأخذ عن عيسى بن عمر الثقفي ، ثم انتقل إلى الكوفة ونشر فيها نحو البصرة ، والكسائي المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة أخذ علمه عن الرؤاسي ثم ذهب إلى البصرة

(١) نشأة النحو ص ٢٥ .

وتلقى عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب . وقرأ كتاب سيبويه عن الأخفش ، والفراء أخذ عن الرؤاسى والكسائى ويونس .

ولئن سبقت البصرة الى دراسة النحو ، فلقد كان للكوفة فضل السبق الى دراسة الصرف والعناية بمسائله واستنباط كثير من قواعده ، حتى عدهم المؤرخون الواضعين الحقيقيين ، والبصريون لم يهملوا دراسة المباحث الصرفية وانما خلطوها بمباحث النحو من عهد الخليل بن أحمد وإن كانت عندهم فى المرتبة الثانية فكان لكل منهما فخر فى العلمين ، فقد ذكر الرواة أن الخليل تناول بالدراسة قضايا النحو والصرف فى البصرة ، وأن يونس بن حبيب حمل الراية معه ، ولكنه قصر مجهوده على النحو ،
وقد عاصرهما الرؤاسى الكوفى وأقام بها ، ووجّه عمه معاذ بن مسلم الهراء ليشتغل بمسائل النحو ، وله كلف بالبحث عن الأبنية والتمارين الى أن غلبت عليه الناحية الصرفية واشتهر بها .

ومعلوم أن البصريين كانت لهم عناية بالدراسات اللغوية والنحوية ومباحث علم الكلام كما اهتم الكوفيون اهتماما بالغا بالقراءات والفقه والحديث .
وقد شع منهما دراسة هذا العلم فى بغداد ثم فى الأندلس

ومصر والشام .

ويجدر بنا أن نشير بإيجاز الى الأدوار التى تدرجت فيها الدراسات النحوية حتى وصلت الى مرتبة النضج والكمال ، وهى فى الحقيقة تنقسم قسمين .

النحو قبل التدوين وقبل ظهور كتاب سيبويه ، والنحو بعد التدوين حتى نعرف علماء كل قسم ونترجم عنهم ونبين القضايا النحوية والصرفية التى شغلت كل عالم وهى دراسة الأشخاص والعلماء من خلاله فكرهم النحوى ونسير أولا على مادرج عليه العلماء فى تقسيمهم الأربعة الأدوار وهى : ـ

أولا : دور التكوين والنشوء :

ويمتد من عصر الواضع الأول أبى الأسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ هـ الى عصر الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ هـ . والنحو فى هذا الدور بصرى اشتغل بدراسته والتأليف فيه طبقتان من النحاة وكان لهما فضل استنباط كثير من أحكامه وأصوله ، وهذا العصر قد وفق رجاله إلى وضع كثير من أصول النحو والتوسع فى مباحثه ، وإخراج مؤلفات امتزجت فيها مسائل النحو بالدراسات الأدبية واللغوية ، ولم تصل الينا

هذه المؤلفات إذ سطت عليها الغوادي وعصفت بها الأيام ، ولذلك خلا هذا العصر من تدوين مسائله لأنها ضاعت ولم تصل الينا .

ومن رجال الطبقة الأولى نصر بن عاصم الليثي المتوفى سنة ٨٩ هـ ، وعبد الرحمن بن هرمز المتوفى سنة ١١٧هـ وعنبسة بن معدان الفيل ، وقد عاصروا الفرزدق وتوفى حول المائة الأولى من الهجرة ويحيى بن يعمر العدواني المتوفى سنة ١٢٩ هـ .

ولم يؤثر عن نحاة هذه الطبقة اختلاف في الرأي لقرب العهد وسلامة السليقة ، وقلة القواعد .

ومن نحاة الطبقة الثانية عبد الله بن إسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ ، وعيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ وأبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ وأبو الخطاب الأخفش الأكبر المتوفى سنة ١٧٧ هـ وقد وفق رجال هذه الطبقة الى وضع كثير من أصول النحو والتوسع في مباحثه ، وإخراج مؤلفات ، وإن كانت ضاعت ولم تصل الينا . وهذا الطور قد استأثرت به البصرة ، والكوفة منصرفة عنه لرواية الأشعار ، والأخبار والنوادر ، وقد امتد حوالي قرن من الزمان وهو بصري خالص .

الدور الثاني : دور النمو والرقى :

وهو دور بصرى كوفى ، اشتركا سويا فى بنائه ، وعلى أيدى الفريقين تم إنجازه ، ونهض هذا العلم ، ويبتدئ من عهد الخليل بن أحمد البصرى ، وأبى جعفر الرؤاسى الكوفى ، إلى بدء عصر المازنى البصرى ، وابن السكيت الكوفى ، وقد تلاقت الطبقة الثالثة البصرية برياسة الخليل والطبقة الأولى الكوفية بزعامة أبى جعفر الرؤاسى وكذا بعدها طبقتان من كل من البلدين ، فازدهر هذا العلم فى هذا الطور ، وقوى أمره وأصبح جديرا بأن يطلق عليه لقب دور النمو والترقى . وقد اشتهر فيه النحو بمعناه العام حتى عرّفه بعضهم . بأنه العلم الذى يتناول أحوال أواخر الكلم العربى إفرادا وتركيبا ، ومباحثه على هذا تناولت النحو والصرف معا .

ويظهر أنه بدأ يميل إلى الاستقلال والبعد عن المباحث التى لا تتصل به اتصالا وثيقا ، وإن لم يتم له هذا الاستقلال ، فقد ألف الخليل كتاب العين وضم الى الدراسات اللغوية فيه قدرا كبيرا من مسائل النحو والمعلوم أن الطبقات : الثالثة والرابعة والخامسة فى البصرة يقابلها الطبقات الأولى والثانية والثالثة فى الكوفة إذ سبقت

البصرة بطبقتين في الدور الأول .

وأشهر نحاة البصرة والكوفة في هذا الدور هؤلاء :

الطبقة الثالثة في البصرة : الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٨٢ هـ .

وتقابل الطبقة الأولى في الكوفة : أبو جعفر الرؤاسي ولم يعلم تاريخ وفاته ، وأبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء وينسب اليه علم الصرف المتوفى سنة ١٨٧ هـ .

أما الطبقة الرابعة البصرية : سيبويه المتوفى سنة ١٨٨ هـ وأبو محمد يحيى بن المبارك المعروف باليزيدي المتوفى سنة ٢٠٢ هـ وأبو الحسن النضر بن شميل المازني المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٣ هـ وأبو زيد الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥ هـ ، والأصمعي المتوفى سنة ٢١٥ هـ ، وابن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ هـ .

وهي تقابل الطبقة الثانية الكوفية : ممثلة في :

١ — أبى الحسن على بن حمزة الكسائى ت سنة ١٨٩ هـ .

أما الطبقة الثالثة الكوفية فهم :

١ — أبو الحسن على بن المبارك ت ١٩٤ هـ .
٢ — يحيى بن زياد الفراء ت ٢٠٧ هـ وابن هشام الضرير ت ٢٠٩ ، وأبو الحسن اللحيانى ت ٢٢٠ هـ .

محمد بن زياد بن الاعرابى ت ٢٣١ .

وهى تقابل الطبقة الخامسة البصرية :

أبو على محمد بن المستنير قطرب ت ٢٠٦ هـ وأبو الحسن سعيد بن سعده الأخفش ت ٢٠٦ هـ .

ويمتاز هذا الدور بما جدّ فيه من نزعات مختلفة وتباين فى مناهج البحث وطرق الاستنباط ، فقد أنشأ الكوفيون مذهبا جديدا ، وأسسوا مدرسة مستقلة واتجه كل فريق وجهة خاصة فى تقرير المبادئ ووضع القواعد ومن هذا الخلاف اتسعت دائرة البحث ، وتعددت الأنظار فى الظاهرة الواحدة ، ونشط الفريقان فى التقصى والاستقراء المأثور عن العرب .

وقد زخرت هذه الفترة بالمؤلفات القيمة لشيوخ المذهبين كما حفلت بألوان من المنافسة العلمية بين المدرستين ، والخلاف النظرى بين ابناء المدرسة الواحدة .

الدور الثالث : دور النضج والكمال .

وفى هذا الدور أيضا اشترك البصريون والكوفيون ويبتدى من عهد أبى بكر عثمان المازنى إمام الطبقة السادسة البصرية ، ويعقوب بن السكيت إمام الطبقة الرابعة الكوفية ، ويشمل هذا الدور طبقتان هما السادسة والسابعة فى البصرة والرابعة والخامسة فى الكوفة .

وهؤلاء هم أشهر نحاة المدرستين فى هذا الدور .

١ - الطبقة السادسة البصرية .

أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمى ت سنة ٢٢٥ هـ .
أبو محمد عبد الله المعروف بالتَّوَّزى ت سنة ٢٣٨ هـ .
أبو عثمان المازنى ت سنة ٢٤٩ هـ .
أبو اسحاق ابراهيم بن سينان الزيادى توفى سنة ٢٤٩ هـ .

الطبقة الرابعة الكوفية :

أبو عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٣ هـ .
أبو عبد الله محمد بن زياد (ابن الاعرابى) ت ٢٣١ هـ .

أبو جعفر الضرير (ابن سعدان) سنة ٢٣١ هـ .

أبو عبد محمد بن أحمد الطوال ت سنة ٢٤٣ هـ .

أبو يوسف يعقوب بن السكيت ت سنة ٢٤٣ هـ .

الطبقة السابعة البصرية :

أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى المبرد ت سنة ٢٨٥ هـ .

الطبقة الخامسة الكوفية .

أبو العباس أحمد يحيى (ثعلب) ت سنة ٢٩١ هـ .

وقد اجتمع الفريقان بعد أن اشتدت العصبية بين أسلافهما فى البصرة والكوفة ، وانتقلت الى أنصارهما ، وكان التلاقى على ضغن فى القلوب فى بغداد ، ولكن الأيام كفيلة باصلاح أى شىء منا فسد فجاء فريق من العلماء يميل الى التوفيق بين المدرستين أو الترجيح فى مسائل الخلاف أو اعادة النظر فى الشواهد والأقيسة لبناء حكمهم فى الاختيار على أساس سليم .

وقد أكمل النحاة فى هذا الدور ما فات السابقون ، ففصلوا ما أجمل ، واختصر ما ينبغى اختصاره وهذبوا التعريفات ، وأتموا وضع الاصطلاحات ، كما انفرد الصرف بالتأليف فيه ، وتعددت مسائل المؤلفين ، فمنهم من ألف

فى الصرف وحده ، ومنهم من خلط بينهما ، وأول من سلك هذا المازنى فقد ألف فى الصرف وحده .

وكان الطابع الغالب استقلال كل فرع من فروع العربية بمؤلفات خاصة ، فإنْ آثر المبرد فى كتابه "الكامل" أن يجمع من كل حديقة زهرة ، وأن يخلط بين التحقيق اللغوى ، وطرائف النوادر والأخبار ، والفصل فى الأشكالات النحوية ، وشرح النصوص الأدبية من شعر وخطب ورسائل .

ولا شك أن النحو قد انجلت حقيقته وتميزت شخصيته وأوفى على الغاية ، ولم يبق فيه زيادة لمستزيد ، فلا عجب أن انتهى الاجتهاد فيه على الأمامين الجليلين المتعاصرين المبرد البصرى ، وثعلب الكوفى .روى ياقوت عن ابن عمر الزاهد قوله : ما أقول فى رجلين العالَم بينهما (1) .

ويجب أن نعرف أن هناك فرقا واضحا بين المؤلفات فى هذا الدور ، والدور الذى قبله ، من حيث العبارة التأليفية والمصطلحات النحوية ، وترتيب الأبواب ،

---

(1) انظر معجم البلدان ترجمة ثعلب جـ ٥ ط دار المأمون .

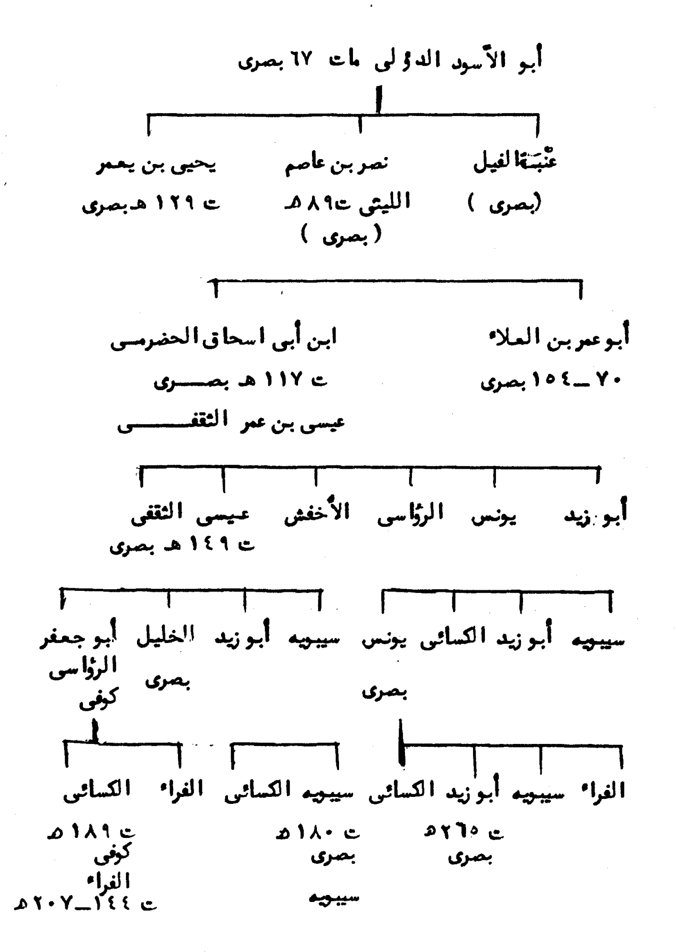
والاستدلال للقواعد ، وهذا أمر واضح حينما نوازن بين الكتاب لسيبويه وغيره من مؤلفات الدور الثالث .

وكانت نهاية هذا الطور في أخريات القرن الثالث الهجري بعد توافد الفريقين على بغداد وترك البصرة والكوفة بعد كثرة الاضطرابات فيها ، وتوالي المحن من الزط والقرامطة والزنج ، وعدا عليها مصائب الزمن وحوادث الدهر بعد أن كافحا في سبيل هذا العلم وجعلاه صرحا ضخما سجل الدهر لهما بلاءهما الحسن ، وجهدهما الكبير في سبيله ، وقد كان لتوحد موطنهما في بغداد ، واتصالهما بالخلفاء والأمراء والشعب في بغداد أثره في إضعاف الضغينة والحزبية

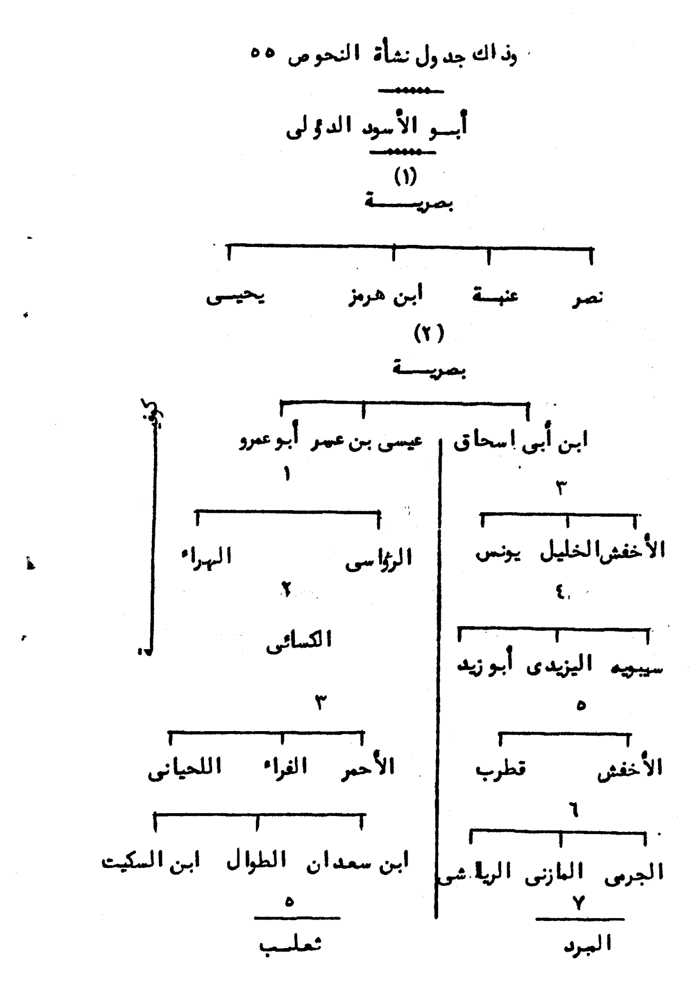
وجزى الله من خدم هذا العلم ، وجد في بنائه من الفريقين .

وهذا جدول فيه طبقات الفريقين [1] ، وأشهر العلماء منهما وسبق البصريين في هذا العلم .

(١) انظر ظ ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٢٨٤ ونشأة النحو ص ٥٥ .



أبو الأسود الدؤلي مات ٦٧ بصري
عنبسة الفيل (بصري)
نصر بن عاصم الليثي ت ٨٩ هـ (بصري)
يحيى بن يعمر ت ١٢٩ هـ بصري
أبو عمرو بن العلاء ٧٠ ـ ١٥٤ بصري
ابن أبي اسحاق الحضرمي ت ١١٧ هـ بصري
عيسى بن عمر الثقفي
أبو زيد
يونس
الرؤاسي
الأخفش
عيسى الثقفي ت ١٤٩ هـ بصري
سيبويه
أبو زيد
الكسائي
يونس بصري
سيبويه
أبو زيد
الخليل بصري
أبو جعفر الرؤاسي كوفي
الفراء
سيبويه
أبو زيد ت ٢٦٥ هـ بصري
الكسائي
سيبويه ت ١٨٠ هـ بصري
الكسائي
الفراء
الكسائي ت ١٨٩ هـ كوفي
الفراء ت ١٤٤ ـ ٢٠٧ هـ
سيبويه



وذاك جدول نشأة النحو ص ٥٥
أبو الأسود الدؤلي
(١)
بصرية
نصر
عنبة
ابن هرمز
يحيى
(٢)
بصرية
ابن أبي اسحاق
عيسى بن عمر
أبو عمرو
١
الرؤاسي
الهراء
٢
الكسائي
٣
الأحمر
الفراء
اللحياني
ابن سعدان
الطوال
ابن السكيت
٥
ثعلب
٣
الأخفش
الخليل
يونس
٤
سيبويه
اليزيدي
أبو زيد
٥
الأخفش
قطرب
٦
الجرمي
المازني
الرياشي
٧
المبرد

أسباب الخلاف بين البصريين والكوفيين

من المعلوم أن النحو بصرى النشأة وقد انفردت به البصرة قرابة قرن من الزمان ، ثم بدأت الكوفة تشارك فيه والغرض الأهم من نشأته خدمة القرآن الكريم ، وحماية الألسنة من اللحن فى التلاوة ، والمؤسس لهذا العلم من علماء القراءة والإقراء فى البلدين .

ويجب أن نعلم أن النحو عربى مرتجل ، ووليد التفكير العربى ، خلافا لمن ادّعى من بعض الباحثين المعاصرين الذين يرددون مقولتهم الشائنة : إن النحو منقول عن اليونان عن طريق السريانيين الذى كان لهم اتصال وثيق بالعراقيين وشبهتهم أن فى النحو صيغا منطقية ومسحة فلسفية ، وتحكيما للقياس ، وجعله أساسا لكثير من القواعد والأحكام .

والباحث الدقيق لا ينكر أن النحو قد تأثر بالفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطى ، ولكنه ينكر بكل شدة أن يعم هذا الحكم على النحو كله وينسب له هذا المنهج ، لأننا نعلم مبلغ اعتماد النحويين على الاستقراء وتتبع الأساليب وجمع اللغة من أفواه العرب ، وجعلها مادة البحث والاستنباط ، ولا مانع أن يتأثروا بالثقافات

المعاصرة في طرق النظر والاستدلال وليس هذا منطقيا ولا مقصورا لدى عقل أن يدعي أن قواعد النحو اليوناني تصلح للتطبيق على التراكيب الصرفية ، وبين اللغتين بون شاسع وتباين كبير في الخصائص والسمات .

وبعض الأوربيين يذهبون إلى أنه نبت كما تنبت الشجرة في أرضها ، والأدلة الواضحة تؤيد أنه نبت في العراق ونما فيه ، لان أهله والوافدين عليه بقايا أمم ذات حضارة ومدنية ، ولهم اتصال وثيق بالعلم والتدوين وإذا كان الباعث على وضعه ما بدا من اللحن فمن الواضح أن يكون منشؤه أعجميا ، مرّ الشعبي يوما بجماعة يتذكرون النحو فقال : لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده .

ولعل أقوى شبهة للعارضين في أصالة النحو العربي ما يكتنف تاريخه من غموض ، فقد ظهر كتاب سيبويه وكان في دقته واستيعابه وتعمقه وتعليله دليلا على أن من سبقوه قد عللوا النحو وفلسفوه وأحاطوا بمسائله ، ومع ذلك لا نرى في الكتب السابقة عليه الا قضايا لا تصلح لأن تكون قنطرة يعبر عليها النحو طفرة ليصل إلى القمة ويشرف على الغاية ، ذكر الرواة أن ابن أبي اسحاق

الحضرمى كان أول من بعج النحو ومد القياس وأنه كان أعلم من فى البصرة ، وقد سئل يونس عن علمه فقال : لو كان فى الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه لضحك منه ، وقد ألف عيسى بن عمر كتابيه (الاكمال والجامع) وقال المبرد : قرأت أوراقا من أحد كتابى عيسى بن عمر ، وكان كالأشارة إلى الأصول " (١)

يقول الأستاذ أحمد أمين : والذى يظهر أن تأثير اليونان والسريان فى العصر الأول لوضع النحو كان تأثيرا ضعيفا ، وربما كان أكبر الأثر أثرا غير مباشر كاستخدام آلة القياس والتوسع بواسطتها فى وضع القواعد النحوية ، فلما نقلت الفلسفة اليونانية ـ تأثر النحو بذلك فى قواعده ، وعلله ويظهر ذلك واضحا فى نحو أبى الحسن الرمانى " (٢).

وبذلك نخلص الى نتيجة واضحة أن النحو عربى محض ، فى منشئه ، ثم تأثر بعد ذلك بعلوم المنطق والفلسفة وظهر ذلك واضحا فى مؤلفاته .

---

(١) محاضرات فى النحو والصرف ص ٧٨ وضحى الاسلام ٢ / ٢٩٠ .
(٢) ضحى الاسلام ٢ / ٢٩٣ .

أما موضوع الخلاف بين البصريين والكوفيين وأسبابه فنشير اليه فى إيجاز فنقول :ـ

أولا : اتفق الفريقان على أن القرآن الكريم أصبح مصدرًا يعتمد عليه فى مادة البحث اللغوى ، فعوّلوا عليه واستشهدوا بآياته ، ولكنهم اختلفوا فى الاحتجاج بالقراءات ، أما البصريون فلم يروا بأسا فى ردّ بعضها ، ولم يجدوا حرجا فى تخطئة بعض القراء كابن عامر قارئ أهل الشام ، ونافع قارئ المدينة ، وحمزة قارئ أهل الكوفة وقد قرأ الأخير " واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحامِ " بجر الأرحام ، وبقراءته قرأ ابن عباس والحسن البصرى فخطأه البصريون .

وقال المبرد : لا تحل القراءة بها ، ولو رأيت إماما يقرأ بها فى الصلاة "لقطعت صلاتى وتركته .

أما الكوفيون : فاحتجوا بالقراءات جميعها ، واعتبروها مصدرا من المصادر التى يقدرون صحتها لما عرف به القراء من الأمانة فى النقل والدقة فى الأداء والتحرى البالغ فى التلقى والتلقين وهذا منطق حق ، ورأى صدق يجب الأخذ به والتعويل عليه ، ونبذ رأى البصريين فى ذلك .

ثانيا : اعتمد الفريقان فى جمع المادة اللغوية على كلام العرب الموثوق بسلامة منطقهم من التأثر بمخالطة الأعاجم .

أما البصريون : فيبالغون فى الاحتياط ولا يعتمدون فيما يسمعون أو ينقل اليهم إلا ما كان مصدره عربيا خالصا من الشوائب ، فلم يأخذوا الا من سكان البادية المنتمين فى الغالب إلى قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وطيئ .

أما الكوفيون : فيأخذون من هؤلاء ويحسنون الظن ببعض اللهجات التى رفض البصريون قبولها كلهجات الأعراب فى سواد الكوفة من تميم وأسد وفى سواد بغداد من أعراب الحطمية ، وقد زادهم اطمئنانا إلى تمثيلها للغة العربية الفصيحة ورووها فى القراءات السبع التى يعتدون بها كل الاعتداد ، ولذلك افتخر نحاة البصرة بأنهم لا يأخذون اللغة إلا عن حَرَشَةِ الضِّباب ، وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد وأصحاب الكوامِخ وأَكَلَة الشَّوَاريز " .

ثالثا : للبصريين منهج خاص فى وضع قواعد النحو العامة على أساس من الشواهد الكثيرة الصحيحة الموثوق بقائليها ، والكوفيون يكتفون فى إثبات القاعدة بالبيت الواحد ، وقد يكون الشاهد نصف بيت وقد يكون مجهول القائل ·

وقد ترتب على هذا النظرة قلة القواعد ـ نسبيا ـ عند البصريين وكثرة الشذوذ . وكثرة القواعد عند الكوفيين مع قلة الشذوذ ·

رابعا : الفريقان أهل سماع وقياس وإن كان الكوفيون يقولون على السماع أكثر ثم يقيسون على كل ما سمع والبصريون يأخذون من المسموع بقدر ويشترطون لقبول الاحتجاج به نسبته الى قبائل معينة بحيث يمثل لغة الجماهير ، وعندئذ يتخذونه أساسا للقاعدة ويقيسون عليه ، وما جاء مخالفا للقاعدة بعد ذلك يؤول أو يحمل على الضرورة أو يرد الى لهجة خاصة أو يحكم عليه بالشذوذ وقد يرمى صاحبه بالانحراف ويتهم بالخطأ ومن هنا كانت القواعد عند الكوفيين أكثر ولا بأس عندهم إذا وضعوا قاعدة ثم سمعوا من يخالفونها أن ينسخوها · أما البصريون فقواعدهم أقل ، وهى عندهم لا تقبل النسخ أو التبديل ، لأنها تتفق ومنهجهم العلمى

خامسا : كان التنافس العلمي والعصبية الحمقاء من الأسباب التي أدت الى توسيع دائرة الخلاف وكانت مجالس العلم وقصور الخلفاء مجالا للمناظرات التي احتال فيها كل فريق للفوز بجميع الوسائل مشروعة وغير مشروعة ، وزاد العصبية حدة انتصار الحكام والخلفاء بدوافع سياسية للكوفيين .

مثل ما جرى بين سيبويه والكسائي ، وبينه وبين الأخفش الأوسط .

ولقد أجمع جمهور البصريين والكوفيين على إبعاد الأحاديث النبوية عن دائرة الاحتجاج والاستشهاد ، لأن الأعاجم دخلوا في روايتها كما أن كثيرا منها روى بالمعنى .

هذه أهم الخلافات في منهج المدرستين .

المدرسة البغدادية :

اتبع نحاة بغداد في القرن الرابع الهجري نهجا جديدا في دراساتهم ومصنفاتهم النحوية وهي تقوم على الاختيار من آراء المدرستين البصرية والكوفية جميعا ، وذلك نتيجة لتتلمذهم على المبرد وثعلب ونشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما ويعنى بالتعمق في مصنفات أصحابهما ، وكان من هذا الجيل من يغلب النزعة الكوفية ، ومن يغلب عليه الميل الى الآراء البصرية ومنهم من جمع بين النزعتين ، فممن غلبت عليه النزعة البصرية : الزجاج وابن السراج ، والزجاجي ، ومبرمان وابن درستويه ، وممن غلبت عليه النزعة الكوفية :

أبو موسى الحامض وابن الانبارى ، وممن جمع بين المدرستين ابن قتيبة وابن كيسان والأخفش الصغير ، وابن شقير ، وابن الخياط ، ونفطوية ، وكتبهم تشهد لهم بذلك ومصنفاتهم تعبر عن نظرتهم النحوية الجامعة للنزعتين كالفارسي وابن جني وابن الشجرى والزمخشرى وابن يعيش .

وهذا التقسيم لابن النديم في الفهرست (المقالة الثانية) حيث قسم ذلك الى فنون ثلاثة :

الفن الأول في البصريين . والثاني في الكوفيين . والثالث

فى الخالطين بين المذهبين مستعرضا العلماء والسلف والخلف المشايعين الى عصره ٠

ويرى بعض المعاصرين أن المدرسة البغدادية قد اعتمدت على المدرسة البصرية والكوفية ، وليس لها شخصية مستقلة فى البحث فتختار ما يروق لها من كلا المدرستين ، ولذلك ظهر علماؤها بأنهم يميلون الى اختيار الرأى البصرى وآخرون يميلون الى الكوفى وبعضهم جمع بين الرأيين ، وهذا ما نشاهده فى أن علمين من أعلام جيلها الثانى ينسبان أنفسهما الى البصريين وهما الفارسى وابن جنى ، ولكنهما فى الحقيقة قد غلبت عليهم النزعة البصرية مع النزعة البغدادية التى تعتمد على الانتخاب من آراء البصريين والكوفيين وعلى طريقهما الزجاجى آخر الجيل الأول من البغداديين وقد انتهت هذه المدرسة بعد منتصف القرن الرابع الهجرى وهو يعتبر الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين الذين حملوا راية هذا العلم بعد انفراط المدرسة البغدادية ٠

***

ثانيا : علماء النحو فى عهد الدول الأسلامية المتعاقبة :

مع اختلاف أصول ملوك هذا العصر من فارسى وتركى وعربى إلا أنهم ناصروا العلماء ، وأجزلوا لهم العطايا حتى اتسعت الحركة العلمية ، ونشطت بعد خمود ، ووجد التنافس القوى بين علماء كل مملكة ، وكثرت الآراء وتعددت المؤلفات وتضخمت شرحا وتفصيلا لما سبق فى المدرستين فكان عصرا ذهبيا لهذا العلم فيه صنعت الموسوعات فى علوم اللغة العربية بالرغم من ضعف الدولة الاسلامية ، واتسعت آفاق مباحثهم ، وبذلوا عنايتهم فى متنوع فروع العربية ، وكان كثير من العلماء من يجمع بين النحو وغيره من العلوم كالشريعة والأصول والبلاغة والأدب والتفسير كالزمخشرى وابن الحاجب .

ولما كانت هذه الأفكار مختلفة النظر فى منهجها العلمى ، فكانت العراق وما يليها شرقا من فارس وخراسان وما يتصل بها غربا من الشام تتشابهان فى طريقها وفكرها ، والأندلس والمغرب متقاربان فى نظرتهما والشام ومصر متلاقيان فى مورد هما ، وقد قسم صاحب نشأة النحو (١) الحديث عن هذا العلم ورجاله فى هذا المطلب على هذا الاعتبار الى ثلاثة فصول ، وهو تقسيم جيد يعتمد على جهة جامعة قوية .

(١) ص ١٦٨ .

الفصل الأول

علم النحو فى العراق وعلماؤه والقريب منه

لقد ازدهر البحث النحوى فى هذه البلاد ووجدت المؤلفات القيمة لعلماء كبار ساروا على ضوء ما سبق ومنهم من ابتدع آراء جديدة ظهرت ، وقد استمر نشاطهم ومعاركهم العلمية الى أن دهمتهم حوادث التتر فصرفتهم عن العناية بهذا العلم نذكر منهم المشاهير مثل :

السيرافى ، ابن خالويه ، والفارسى ، والرمانى ، وابن جنى ، والربعى ، وابن برهان ، والتبريزى وملك النحاة ، الزمخشرى ، وابن الشجرى ، وابن الخشاب ، وابن الدهان ، والأنبارى ، المطرزى ، والكندى ، والعكبرى وابن الخباز ، وغيرهم كثير .

وقد أجاد العلماء إجادة كبرى فى التأليف والتنقيب وظهرت المؤلفات النحوية الرائعة التى تحمل روائع العقل وابداع الفكر اللغوى ، وتركوا لنا جملة كبيرة من مؤلفاتهم الممتازة منها الأيضاح والتكملة لأبى على الفارسى ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافى ، والرمانى ، والخصائص ، وسر الصناعة وغيرها كثير .

الفصل الثاني

علماء النحو في مصر والشام

لقد سار علماء القطرين على طريق علماء العراق ونشره عندهم ومنهم من ارتحل إلى الشام ومصر مثل الزجاجي والفارسي وابن جني والتبريزي ، وكان لتشجيع بني حمدان في الشام أثره في نهضة هذا العلم ، ولقى من الدولة الفاطمية أوفر عناية ، فظهر علماء أفذاذ من أمثال ابن بَرِّي وابن بَابْشاد ، وأعقبتها الدولة الأيوبية فسارت على هذا الطريق ، وقدرت العلماء وبذلت لهم المكافآت السخية ، كما وصل الى القطرين علماء من المغرب والأندلس في عهدهما فأوجدوا نهضة كانت في مصر أعلى شأنا من الشام حتى آل الأمر إلى المماليك وكان موقفهم دقيقا بعد ضياع الخلافة ، فوقفوا مع العلم وأهله حتى وصل إلى مكانة سامية .

واليك أشهر علماء مصر والشام وهم :
الحوفي وابن بابشاذ ، وابن برى ، وابن معط ، وابن يعيش ، والسخاوى ، وابن الحاجب ، ولهم مؤلفات رائعة تشهد بعلو قدرهم وسمو مكانتهم ، وبقى منها الكثير يستفيد منها علماء العربية وشداتها .

الفصل الثالث
علماء النحو فى الأندلس والمغرب

تأخرت النهضة اللغوية فيهما لبعدهما عن العراق إلى أن قامت الدولة الفاطمية سنة ٢٩٧هـ، فسافر أفراد منهما للتلقى عن علماء العراق وللتزود بالمعرفة كما وصل علماء المشارقة الى المغرب والأندلس منهم أبوعلى القالى فتولد منهما حركة طيبة فى علم النحو الذى ازدهر فى عهد ملوك الطوائف ، فوجد التبارى فى تقدير العلم وأهله حتى ظهر فيهم المؤلفون والعلماء الذين ضارعوا علماء المشرق وانتشرت دراسة النحو فى سائر مدن الأندلس، فأعملوا الفكر فيما حصلوه من المشارقة فشرحوا وعدلوا ، واستدركوا وأبدعوا مَذْهَبًا رابعًا عرف بمذهب الأندلسيين أو المغاربة ظهر من أوائل القرن الخامس الهجرى ، وكانت هذه النهضة قائمة على كتاب سيبويه حفظا وشرحا ودراسة وتمحيصا وأصبحت دراستهم مثار نهضة نحوية اتسعت حتى شملت العالم العربى والاسلامى .

واليك أشهر علمائهم .

الجودى ، حَمْدون ، الأفشنيق ، ومحمد بن يحيى ، والزبيدى ، الأعلم ، ابن السيد البطليوسى ، وابن الطراوة وابن الباذ شى ، اللخمى ، ابن طاهر السهيلى ، ابن مضاء الجزولى ، ابن خروف ، الشلوبينى ، ابن ملكون ، ابن هشام الخضراوى ، وابن الحاج .

علماء النحو بعد سقوط بغداد

لقد منيت بلاد المشرق بالمغول الذين دمروا بغداد سنة ٦٥٦هـ على يد هولاكو ، وزاد شرهم على يد عقبه تيمورلنك الذى روع المشرق وخيب الله أمله فى الاستيلاء على مصر ، ونصر الله المماليك عليهم ثم ظهرت الدولة الصفوية بخراسان ، والدولة العثمانية ، وأدال الله لهما على الدولة التيمورية واتجهت أنظار النحاة إلى مصر والشام كما وفد اليها علماء بلاد الأندلس بعد اختلاف ملوك بنى الاحمر وقد نجا بعض العلماء بأنفسهم إلى مكان آمن مثل الرضى الذى لاذ بالحرم المدنى وألف كتابه شرح الكافية ، كما غمر السلطان حسين التترى المسلم الجامى حتى ألف كتابه الفوائد الضيائية .

وكانت مؤلفات العهد المغولى يظهر فيها المفاضلة بين البصرى والكوفى والبغدادى ، والأندلسى وكان تأثير البيئة العجمية ظاهرًا فيها ، فهى ضعيفة التناول ضعيفة الأثر فى تقدم اللسان العربى ، وقد حشيت بالفلسفة القديمة وشملت فكر خراسان والهند والسند وايران والبلاد العثمانية ، وفى تلك الأقاليم أعلام مشاهير خدموا النحو خدمة كبيرة ولهم آثارهم الذى تدل على عمق فكرهم ، وسلامة نظرهم ، وأعدادهم كثيرة ولا نستطيع حصرهم

فكل إقليم يتطلب جهدا كبيرا فى تراجم علمائه ، ولكننا نشير الى أشهر علماء المشارقة وهم :

ابن إياز ، والرضى ، الكافيجى ، الجامى ، البسنوى ، عصام الدين ، ومحمد عصمة الله .

* ** *

علماء النحو فى الأندلس والمغرب
الذين فروا الى مصر والشام بعد الاضطراب
وسقوط الأندلس على يد الفرنجة سنة ٨٩٧هـ

بالرغم من تقدم النحو وازدهاره فى العصور المتأخرة ، ولكن الاختلاف والاضطراب أدى إلى الحرب وسقوط الأندلس سنة ٨٩٧ هـ ، ونكل الفرنجة بالمسلمين كالتتار فى بغداد ، ولم يجد العلماء أمامهم إلا القطرين ، ففروا بكتبهم واليك أشهر هؤلاء العلماء .

الأندلسى ، ابن عصفور ، ابن مالك ، ابن أبى الربيع ابن آجروم ، أبو حيان ، الشاطبى .

وكانت مصر والشام تخفق عليهما راية واحدة حملها المماليك ، وظهرت النهضة الكبيرة فى القطرين الى أن استولى السلطان سليم على القطرين سنة ٩٢٣ هـ ، وعهد المماليك كان يسمى بعهد الفنون والشروح والحواشى وقد خدم القطران النحو خدمة جليلة ، ولولاهما لا نقطعت الصلة بين النحو القديم والحديث وهاك بعض مشهورى المماليك .

ابن الناظم ، ابن النحاس ، المرادى ، ابن هشام ابن الصائغ ، ناظر الجيش ، ابن جماعة ، الدماميني ، الشمنى ، خالد الأزهرى ، السيوطى ، الأشمونى ، المدابغى (محمد بن على) والاسقاطى ، (أحمد بن عمر) والمغنى ، والصبان ، وهم أصحاب الحواشى .

النحو والنحاة في العصر التركى

سقطت دولة المماليك على يد السلطان التركى سليم الأول وأصبحت مصر ولاية تركية ، ثم فرضت اللغة التركية فضعف شأن هذا العلم ، وقل نتاج العلماء فيه وكان أغلب مؤلفاتهم مطولات أو حواشى على الشروح مثل شروح متون ابن مالك ، ومتون ابن هشام ، وكافية ابن الحاجب والفوائد الضيائية للجامى ، وغيرها كثير وتحمل الكثير من التعقيدات والالتواء فى العبارة والتهافت ، فالنهضة فى هذا العصر للحواشى ، وليس لها تأثير كبير فى تربية ملكة البحث والتمحيص ، وإن حفظت آثار العلم .

أعلام هذا العهد وهم :

ابن القاسم العَبَّادى ، الشنوانى ، الدنوشرى ، يس ، الحمصى ، الصبان ، وغيرهم كثير يمثلون المدرسة المصرية فى عصر الترك .

وغرضى من هذا المؤلف الترجمة الوافية لأعلام النحو على اختلاف عصورهم والله الموفق فأقول :

أولا : ترجمة أعلام النحو قبل التدوين

١ - أبو الأسود الدؤلي

نسبه :

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل ابن يعمر بن حُلَيْس بن نفاثه بن عدى بن الديل بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة (١) . كان من سادات التابعين ورد البصرة من عهد عمر بن الخطاب ، ولبث بها الى أن تولى بعض العمل فيها لأبن عباس رضى الله عنهما عامل على كرّم الله وجهه .

وقال فى مراتب النحويين (٢) إنّ اسمه عمرو بن سفيان ابن ظالم .

وقد زادت خزانة الأدب (٣) فى نسبه بعد ما ذكره الزبيدى الى كتابه : فقالت : ابن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن نصر بن نزار ، وهم أخوة قريش ، لأن قريشا تختلف فى الموضع افترقت فيه مع بنى أبيها ، والنسابون (٤) يقولون : ان من لم يلده فهد بن مالك بن النضير فليس قريشيا .

---

(١) طبقات النحويين ص ٢١ . (٢)، ص ٢٤
(٣) الخزانة ١/٢٨٢ .
(٤) الامالى المجلس العشرون .

مكانتـه :

قال الجاحظ : أبو الأسود الدّيلى معدود فـــى طبقات من الناس ، وهو فيها كلها مقدم ومأثور عنـه الفضـــل في جميعها ، كان معدودا في التابعين والفقهاء والمحدثـين ، والشعراء ، والأشراف والفرسان والأمراء ، والدهاة والنحويين والحاضرين الجواب ، والشيعة ، والبخلاء " (1).

وكان أعلم عصره بكلام العرب ، وله أجوبـة مسكتة في أمالي المرتضى تدلّ على ذكائه ومكانته .

عمله :

كان أبو الأسود كاتبا لابن عباس على البصرة ، فكـان يكـرمه ويقضى حوائجه ، لأنه شيعي يحب عليا ولما ولـى ابن عامر جفاه ، وأبعده ، ومنعه حوائجـه ، لما كان يعلمه من هواه في على رضى الله عنـه ، فقال فيه أبو الأسـود :

ذكرت ابن عباس بباب ابن عامـــر
وما مَرّ مـن عيش ذكرت وما فَضَـلْ
أميرين كانا صاحبيّ كلاهمـــا
فكُـلاً جزاه الله عنى بما فعـل
فإنْ كان شرا كان شرا جـــزاؤه
وإنْ كان خيرا كان خيرا إذا عدل

---

(1) ص ٢٤ .

واستعمله عليّ على البصرة بعد ابن عباس ، وقبل هذا كان استعمله عمر وعثمان على البصرة .

أمثلة من أجوبته الفطنة :

امتاز أبو الأسود بحسن الجواب فقال لصديقه المنذر ابن الجارود ، وكان معجبا بحديثه ومجالسته دائم الزيارة والتواصل وكان لأبى الأسود مقطعة من برود يكثر لبسها فقال له المنذر : لقد أدمنت لبس هذه المُقَطَّعَة فقال له أبو الأسود : رب مملول لا يستطاع فراقه ، فعلم المنذر أنه قد احتاج الى كسوة فأهدى له ثيابا فقال أبو الأسود يمدحه .

كساك ولم تَسْتَكْسِه فحمدته
أخٌ لك يعطيك الجزيلَ وناصرُ
وإنّ أحق الناس وإن كنت حامدا
بحمدك من أعطاك والعِرْضُ وافرُ

وقد لزم ولده أبو حرب منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضا ، ولا يطلب رزقا ، فعاتبه أبوه على ذلك فقال أبو حرب : إنْ كان لى رزق فيسيأتينى . فقال له أبوه :

وما طالب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجئ بملئها يوما ويوما تجئ بحمأة وقليل ماء

ومما يدل على قدرته العقلية ، وذكائه وحسن تأتيه للأمور قوله أمام زياد بن أبيه : ردًّا على امرأته التى تطلب ضم ولدها

منه اليها ، وعرضته فى فصاحة ومقدرة حيث قالت أصلح الله الأمير : هذا ابنى كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه وثديى سقاءه ، أكلؤه اذا نام وأحفظه اذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوى فصاله ، وكملت خصاله واستوكعت أوصاله ، وأملت نفعه ، ورجوت دفعه أراد أن يأخذه منى كرها ، فآذنى أيها الأمير ، فقد رام قهرى ، وأراد قسرى .

وقد رد عليها فى بلاغة ومقدرة وذكاء فقال :

أصلحك الله : هذا ابنى حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وأنظر فى أوده وأمنحه علمى ، وألهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ، ويستحكم فتله .

فقالت المرأة فى بلاغة منقطعة النظير .

أصلحك الله : حمله خفا ، وحملته ثقلا ، ووضعه شهوة ووضعته كرها .

فقال زياد : أردد على المرأة ولدها ، فهى أحق بها منك ودعنى من سجعك .

فهذا يدل على قدرة على الجدال ، واتقان التحجيج بالدليل .

ولادتــه ووفاته :

يدعى أبو حاتم عــن ولادة أبى الأسود أنه ولد فــى الجاهليــة [1] والروايات فى مولده ضعيفــة لا توضح متى ولد على التحــديد ، ولكن وفاتــه فيما ذكر المدائنى أنه مــات فى الطاعــون الجارف فى ســنة تسع وستين [2] وله خمــس وثمانــون سنة وقيل مات سنة ٦٧ هـ [3] .

شــعره :

أبو الأسود شاعر له ديوان يوضح أنه صاحب قريحــة متقــدة ، وقدروت الخزانة عنه شعرا مثل قوله :

واذا طلبت من الخلائــق حاجــة
فادع الالــه وأحسن الأعمـــالا

فليعطينــك ما أراد بقـــدرة
وهو اللطيف اذا أراد فعـــالا

إن العباد وشأنهم وأمورهـــم
بيد الأله يقلب الأحـــوالا

فدع الاله ولا تكــن متطلبهــم
لهجا تضعضــع للعبــاد سؤالا

---

(١) مراتب النحويين ص ٢٦ .
(٢) الخزانة ١/ ٢٨١ .
(٣) ضحــى الاسلام ٢/ ٢٨٤ .
(٤) الخزانة ١/ ٢٨٢ وما بعدها .

وله أبيات شعرية كثيرة سارت فى عداد قلائد الحكم منها .

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم

وكل ذلك ينم عن شاعرية مُفْلِقَةٍ ومعبرة عن حبه لعلى وشيعته .

وقصيدته الرائعة التى جمعت كثيرا من الحكم وفهم حقائق الحياة والتى يقول فيها :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا حظه
فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها
حسدا بغيا انه لذميم
والوجه يشرق بالظلام كأنه
بدر منير والسماء نجوم

كذاك من عظمت عليه نعمة

حساده سيف عليه صروم

فاترك مجاراة السفيه فإنها

ندم وعتب بعد ذاك وخيم

واذا جريت مع السفيه كما جرى

فكلاهما فى جريه مذموم

واذا عتبت على السفيه ولمته

فى مثل ما تأتى فأنت ظلوم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

واذا طلبت الى كريم حاجة

فلقاؤه يكفيك والتسليم

فارج الكريم وان رأيت جفاءه

فالعتب منه والفعال كريم

والناس قد صاروا بهائم كلهم

ومن البهائم قايل وزعيم

عُمْىٌ وبُكْمٌ ليس يرجى نفعهم

وزعيمهم فى النائبات مليم

والأحمق المرزوق أعجب من أرى

من أصلها والعاقل المحروم

ثم انقضى عجبى لعلمى أنــه
قــدر . موات وقتــه معلـــوم

فهى حكم كأنها الدرر على الصـدور تدل على عقليـة ناضجـة ، وفهـم للحياة عميق " (١).

تحقيق لقبـه :

يرى عيسى بن عمـر أنه هو أبو الأسـود الدؤلى — بفتح الهمزة منسـوب الى الدئـل بكسر الهمـزة وفتحهـا للنسـبة ، كما نسـبوا الى تغلب تغلَبىّ والى يثرب يثربَى قال والدئــل أبو قبيلة من كنانـة سمى باسم دابـة يقال لها الدئـل بين ابن عرسـى والثعلب وعلى ذلـك جاء قول الشاعر :

جاءوا بجيـش لو قيس معرسـه
ما كان إلاّ كمعـرّس الدئـــل

قال والعامـة تقول : أبو الأسود الدّيلى ، وذلك خطأ لأنهـم ينسبونه لغـير قبيلتـه ، وذلك لأن الدئـل فى كنانة

---

(١) وقـع الأغانى ص ٥٧ ت العطـار .

وهم رهط بنى الأسود ، والدول في حنيفة والديل في عبد القيس . (١)

ويرى السيرافى (٢) أن الأصل دؤلى ، وأنه يجوز فتحه استثقالا للكسرة كنمَرى في نَمِر ، ويجوز تخفيف الهمزة فيقال : الدولى بقلب الهمزة واوا محضة ، لأن الهمزة اذا انفتحت ، وكان قبلها ضمة فتخفيفها بقلبها واوا محضه كما يقال في جُؤَن جون ، وقد يقال : الديلى بقلب الهمز ياء حين انكسرت ، فاذا انقلبت ياء كسرت الدال لتسلم الياء كما تقول : قيل وبيع ، والذى يقول : أبو الأسود الديلى يريد النسبة الى الديل على تخفيف الهمزة ، لأنه لا خلاف في نسبه والذى تخلص اليه أن النسبة الى قبيلته دولى ، والذى ينسب الديلى أراد تخفيف الهمزة .

تشيعه :

كان أبو الأسود ممّن صحب عليا رضى الله عنه وكان من المتحققين لمحبته ، ومحبة ولده ، مشايعا لهم لأنهم في المكان العالى من النسب الطاهر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحق الناس بالخلافة ، لكريم صفاتهم ، وجميل أفعالهم وفى ذلك يقول :

يقول الأرذلون بنو قشير
طوال الدهر لا تنسى عليا

(١) مراتب النحويين ص ٢٤ ، ٢٥ . (٢) أخبار النحويين البصريين ص ٣٣ ، ٣٤

أحب محمدا حبا شديدا
وعباسا وحمزة والوصيّا
فإن يك حبهم رشدا أصبه
ولست بمخطئ إن كان غيّا

وكان نازلا مقيما فى بنى قشير بالبصرة . وكان يرجمونه بالليل لمحبته لعلى وولده ، فاذا أصبح وذكر رجمهم قالوا الله يرحمك فيقول لهم : لو رحمنى الله لأصابنى وأنتم ترجمون فلا يصيب أحد منكم (1) وذلك بالرغم من أنهم أصهاره وأقاربه .

كما لقى من عمال بنى أمية عنتا كبيرا ، وأذى كثيرا لحبه لعلى وولده ، فيقول من مقطوعة فى زياد .
رأيت زيادا صدعنى بوجهه
ولم يك مبرد ودنا عن الخير سائله

ومن مقطوعة أخرى فى ابنه عبيد الله .
دعانى أميرى كى أفوه بحاجتى
فقلت فما رد الجواب ولا أستمع

كذلك آذاه جيرانه ، وصبر واحتمل ، وذكر شعرا يعبر عن ضيقه وألمه مما لقى .

(1) أخبار النحويين البصريين ص ٣٣ ، ٣٤ .

يقول البغدادي :

كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب الى قبيلة أخرى ، وكان بين داره ودار أبي الأسود باب مفتوح يخرج منه كل واحد الى قبيلة صاحبه اذا أرادها وكان الرجل ابن عم أبي الأسود دنيًّا وكان شرسا سيء الخلق ، فأراد سد الباب فقال له قومه لا تفعل فتضر بأبي الأسود وهو شيخ ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مؤنة ، فأبى إلاّ سدّه ، ثم ندم على ذلك لأنه أضرّ به ، فكان اذا أراد سلوك الطريق التي يسلكها منه بعد عليه فعزم على فتحه وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه :

بليت بصاحب إن أَدْنُ شبرا
يزدني في مباعدة ذراعا
وإن أمدد له في الوصل ذرعي
يزدني فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسي له إلاّ اتباعا
وتأبى نفسه الا امتناعا
كلانا جاهد أدنو وينأى
فذلك ما استطعت وما استطاعا

كما هجاه أيضا هجاء مقذعا ، ووصفه بأقبح وصف حيث يقول :

أعطيت أمر ذوى النهى
وأضعت أمر ذوى الجهالة
أخطأت حين صرمتنى
والمرء يعجز لا محالة
والعبد يقرع بالعصا
والحر تكفيه المقالة

أخلاقه :

أبو الأسود ذا خلق نبيل ، ومروءة أصيلة ، وشهامة إسلامية كبيرة ، فكان متمسكا بالخصال الكريمة عيابا للخلق الدنئ ، أو الفعل الردئ ، ولا يصبر على عيب بل تجد فيه الأنفة والعزة والأباء ، داعيا للأدب الاسلامى الراقى والقول المفيد النافع ، المعبر عن قلب سليم ، وعمل كريم ، بعيد عن الرياء والنفاق أو الغدر والخيانة ، فهو القائل :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك إن فعلت عظيم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كما يصح به وأنت سقيم

---

(١) الخزانة ١/٥ ٢٨ ، ٢٨٦ .

وفي الأغاني[1] : لما خطب امرأة تسمى أسماء بنت زياد وأسرّ أمرها الى صديق له من الأزد ، فذهب ابن عمه في وشاية مفسدة ، وتزوجت ابن عمها فقال في ذلك :

لعمري لقد أفشيت يوما فخانني
الى بعض لم نخشى سرا ممنعا
فمزقه مزق العمى وهو غافل
ونادى بما أخفيت منه فأسمعا
وكنت اذا ضيعت سرّك لم تجد
سواك له الا أشتّ وأضيعا

وهى أبيات تنم عن عمق كبير في معرفة طبائع الانسان والتزام المحافظة على السر لأن ذلك شفاء للصدور ، وحفظ للكرامة ، وبعد عن الخصومة والقطيعة .

كما ذكر أبو الفرج قصة أخرى تدل على أنفته وشممه وعدم تحمله العيب أو النقص حينما تزوج امرأة بالبصرة ، وكانت بـرزة جميلة ، وَصَفَتْ نفسها له بقولها : هل لك أن أتزوجك ، فإني صَنَاعُ الكف حسنة التدبير قانعة بالميسور فأجابها وتزوجها ثم بعد ذلك وجدها خلاف ما ذكرت حين خانته في ماله ، وأفشت سره ، فجمع

(١) جـ ١١ ص ١٠٤ .

أهلها عنده وقال لهم :

أريت امرأ كنت لم أبلـه
فقال اتخذنى صديقا خليلا
فخاللتـه ثم أكرمتـه
فلم أستفد من لدنه فتيلا
وألفيته حين جربتـه
كذوب الحديث سروقا بخيلا
فذكرته ثم عاتبتـه
عتابا رقيقا وقولا جميلا
فألفيته غير مستعتب
ولا ذاكر الله الا قليلا
ألست حقيقا بتوديعـه
واتباع ذلك صرما طويلا

فقالوا له : بلى والله يا أبا الأسود ! فقال : تلك صاحبتكم ، وقد طلقتها لكم وأنا لا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها فانصرفت معهم (١).

وكل ما سبق يظهر بجلاء عقلية أبى الأسود ونفسه الكريمة ، وفهمه للحياة .

(١) الأغانى ١١/١٠٧ .

تلامذته :

كان أبو الأسود من أفصح الناس وأعلمهم بالعربية
وكان يقول : انى لأجد للحن غمرا كغمر اللحم ،
ولذلك أخذ عنه جماعة ، وفرع لهم ما كان أصله ، وكان
ممن تعلم منه ابنه عطاء بن أبى الأسود ، ثم يحيى ابن
يعمر العدوانى حليف بنى ليث وكان فصيحا عالما
بالغريب ، ثم ميمون الأقرن ، ثم عنبسة بن معدان المهرى
وكان يقال له عنبسة الفيل ، وكان أبرع أصحاب أبى
الأسود ، وأخذ عنه نصر بن عاصم " (١)

واضع النحو :

إنّ الروايات الكثيرة التى بين أيدينا تثبت بما لا يدع
مجالا للشك أن أول واضع للنحو هو أبو الأسود الدؤلى
بأمر أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى كان محبا
له ، ومتشيعا لولده ، وكل الروايات تؤيد ذلك فأبو
الطيب (٢) فى مراتب النحويين يقول : ثم كان أول من
رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلى ، وأسند الرواية
بعد ذلك للخليل الذى أيد القضية بقوله :

---

(١) مراتب النحويين ص ٣٠ .
(٢) ص ٢٤ .

" وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ، لأنه سمع لحنا فقال لأبي الأسود اجعل للناس حروفا ، وأشار له الى الرفع والنصب والجر ، فكان أبو الأسود ضنينا بما أخذه من ذلك عن أمير المؤمنين ، " كما يروى عن ابن عباد المهلبي عن أبيه قوله : سمع أبو الأسود رجلا يقرأ (ان الله برئ من المشركين ورسولِه) بكسر اللام ، فقال لا أظن يسعني الا ان أضع شيئا أصلح به نحو هذا أو كلام هذا معناه ، فوضع النحو .

قال : وكان أول من رسمه ، فوضع منه شيئا جليلا حتى تعمق النظر بعد ذلك وطولوا الأبواب .

وقيل : إنما وضعه ليتعلمه بنو زياد الذين كانوا يلحنون فكلمه زياد في ذلك ، وكان أعلم الناس بكلام العرب فجاء أبو الأسود الى زياد وقال له :أبغني كاتبا يفهم عني ما أقول فجيء برجل من قريش فقال له اذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة على أعلاه واذا ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف ، واذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف فإذا اتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين ففعل ، فهذا نقط أبي الأسود .

ويثبت هذا الرأى الأستاذ أحمد أمين فى ضحى الاسلام (١) حيث يقول : ويظهر لى أن نسبة النحو الى أبى الأسود لها أساس صحيح وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط ، وهو أنه ابتكر شكل المصحف ، فأخذ صبغا يخالف لون المداد الذى كتب به المصحف ، ووضع على الحرف المفتوح نقطه فوقه والمكسور نقطه أسفله ، والمضموم نقطه بين يدى الحرف ، و المنون نقطتين ، وترك الساكن وهكذا . ووضع الخطة فى ذلك وأمر الكتاب أن يسيروا على هذا النمط حتى أتم المصحف ، وواضح أن هذه خطوة أولية فى سبيل النحو تتمشى مع قانون النشوء ، وممكن أن تأتى من أبى الأسود ، ووضح كذلك أن هذا يلفت النظر الى النحو ، فعمل أبى الأسود يسلم الى التفكير فى الأعراب ، ووضع القواعد له ، أضف الى هذا أن النحو لم يكن فى العصور الأولى مفهوما منه هذا المعنى الدقيق الذى نعرفه به اليوم " .

وأستطيع أن أطمئن الى أن أبا الأسود هو أول من وضع هذا العلم ، لوجود المؤهلات التى تساعده على وضع هذا الفن ، ولا عبرة بتلك الروايات الضعيفة التى تنسب

---

(١) جـ ٢ ص ٢٨٦ .

وضع النحو الى ابن هرمزت ١١٧ هـ أو نصر بن عاصم ت ٨٩ هـ فهى روايات لا يلتفت اليها مع ظهور هذه الجمهرة من كلام العلماء التى تؤيد نسبة وضعه الى أبى الأسود . ولابد أن يكون هناك سبب قوى دعاه الى وضعه لمواجهة اللحن الذى شاع بين الموالى والمتعربين فى البصرة ، ومهما تعددت هذه الأسباب وتنوعت فكلها تجمع الى أن أبا الأسود هو رأس هذا العلم وواضعه إما من نفسه أو من تعليم على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فقد ذكر أبو عبيدة معمر[1] بن المثنى : أخذ أبو الأسود عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ـ العربية فكان لا يخرج شيئا مما أخذه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ـ الى أحد ، حتى بعث اليه زياد : اعمل شيئا تكون فيه إماما ينتفع الناس به ، وتعرب به كتاب الله ، فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئا يقرأ (ورسولِهِ) بكسر اللام . فقال ما كنت أظن أن أمر الناس صار الى هذا ، فرجع الى زياد فقال : أنا أفعل ما أمر به الأمير .. ووضع النقط بالحركات) .

كما روى عن عاصم [2] قال جاء أبو الأسود الدؤلى الى عبد الله بن زياد يستأذنه أن يضع العربية فأبى

(١) أخبار النحويين البصريين ص ٣٤ ، ٣٥ .
(٢) " " " ص ٣٥ .

قال فأتاه قوم فقال أحدهم : أصلحك الله : مات أبانا ، وترك بنوه . فقال : عليّ بأبى الأسود ضع العربية .

وتأتى رواية أخرى عنه قال أول من وضع العربية أبو الأسود الديلى ، جاء الى زياد بالبصرة فقال إنى أرى العرب قد خالطت الأعاجم وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لى أن أضع كلاما يعرفون أو يقيمون به كلامهم . قال: لا، ثم جاء ما سبق فقال زياد : ضع للناس الذى نهيتك أن تضع لهم .

وقيل: إنّ سبب ذلك أن رجلا فارسيا من أهل يوزبجان يسمى بسَعْد قدم البصرة مع جماعة من أهله فدنوا من قدامة بن مظعون الجمحى فادعوا أنهم أسلموا على يديه ، وأنهم بذلك من مواليه فمر سعد هذا بأبى الأسود ، وهو يقود فرسه قال : ما لك يا سعد لا تركب ؟ قال ان فرسى ضالعٌ ، فضحك بعض من حضر قال أبو الأسود : هؤلاء الموالى قد رغبوا فى الاسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة ، فلو علمناهم الكلام . فوضع باب الفاعل والمفعول . ولم يزد عليه .

المرجع السابق ص ٣٦ ، ٣٧ .

وقيل ان ابنته قالت له يوما (١) : يا أبت ما أحسنُ السماءِ قال أىْ بُنَيَّةَ نجومُها قالت إنى لم أرد : أى شىء منها أحسن ؟ انما تعجبت من حسنها قال إذاً فقولى ما أحسنَ السماءَ ، فحينئذ وضع كتابا .

بل قيل إنَّ ابنته قالت له : يا أبت ما أشدُّ الحرِ فى يوم شديد ؟ فقال لها : اذا كانت الصقعاء من فوقك والرمضاء من تحتك قالت أنى أردت أن الحر شديد قال: فقولى اذا : ما أشدَّ الحرَّ والصقعاء الشمس .

ويقول صاحب البُغْيَة (١) : أبو الأسود أول من أسس النحو ، وصحب على بن أبى طالب وشهد معه حطين وقدم على معاوية ، فأكرمه وأعظم جائزته ، وولى قضاء البصرة وهو أول من نقط المصحف .

ويذكر ابن سلام فى طبقات الشعراء (٢) فيقول: وكان لأهل البصرة فى العربية قدمة بالنحو وبلغات الغريب والغريب عناية ، وكان أول من أسس العربية وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلى ... وكان رجل البصرة وكان علوى

(١) المرجع السابق ص ٣٦ ، ٢٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٦ ، ٣٧ . .
(٣) ٢/ ٢٢ .

الرأى ... وانما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة ، فكان سراة الناس يلحنون فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم " .

وأبو الأسود هو واضع علم النحو فى أصوله الأولى ، وكانت بسيطة بعيدة عن الاتساع والشرح والتطويل والاعتراضات والاختيارات وغيرها مما نراها فى النحو الآن وكل الروايات السابقة وغيرها عند أبى الأسود الدؤلى بأنه أول واضع للنحو وإن كانت تختلف فيما وضعه فى هذا العلم فمن رواية تقول : إنه وضع أبواب التعجب والفاعل والمفعول به وغير ذلك من الأبواب ، ومن أخرى تقول : إنه وضع أبواب التعجب والاستفهام والعطف والنعت وإنَّ واخواتها كما نجد ابن النديم (١) يقول : انه رأى عند بعض الوارقين أربعة أوراق عن أبى الأسود كتبها يحيى بن يعمر المتوفى سنة ١٢٩هـ ، وفيها كلام فى الفاعل والمفعول كما نرى ابن سلام يروى أنه وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم ، وقد يشركون معه تلميذيه نصر بن عاصم ، وابن هرمز .

---

(١) الفهرست ص ٦٦ .

وكل هذه الروايات تدل بما لا مجال للشك فيه أنه رسم إعراب القرآن الكريم عن طريق نقط أواخر الكلمات فيه ، كما رسموا نقط الحروف المعجمة مثل الجيم والثاء والتاء ، كما وضع النحو بمعناه البسيط من حركات الاعراب ، واهتدائه الى بعض أبواب النحو كما ذكر في دراسة أولية ، وحمل تلاميذ أبي الأسود عنه هذا الصنيع من قرّاء الذكر الحكيم من أمثال نصر بن عاصم ، وابن هرمز ، ويحيى بن يعمر ، وعنبسة الفيل وميمون الأقرن فكل هؤلاء نقطوا المصحف ، ونقطوا الحروف المعجمة في المصاحف تمهيدا للاعراب وحركاته وقد وضعت على يد أبي الأسود .

ثم تلت خطوة ناشئة عن عمل أبي الأسود حيث أثار الكلام حول الرفع والنصب والجر والتنوين فكان تلاميذه يثيرون مسائل متفرقة من هذا الباب إما حول آية من القرآن الكريم أو بيت من الشعر لم يجر على الطريق المألوف كما حصل بين عبد الله الحضرمي والفرزدق فكان من أعلم أهل البصرة حتى فرّع النحو وقاسه ، ثم جمع النحو بعده في كتابين الجامع والاكمال على يد يوسف بن عيسى الثقفي ، ثم جاء الخليل الذي علق على هذا العلم يخترع و يستنبط الأصول من الفروع بصورة ليس لها مثيل

وهو الذى ظهر فى كتاب سيبويه رحم الله الجميع .

وعلى هذا فالنحو علم عربى خالص ، ليس فيه تأثير الأمم الأخرى كما يدعى البعض ، ولا مانع أن يأتى التأثير بعد ذلك نتيجة شدة الاختلاط والترجمة ودراسة المنطق الأرسطى والفلسفة ، وحديثنا فى جهد أبى الأسود أنه هو الواضع لهذه البذرة العربية الخالصة ثم نمت وترعرت حتى أتت أعظم الثمار ، وظهر النحو بأطواره الأربعة كأى شئ طبيعى على نظرية النشوء والارتقاء ، والبصرة سبقت الكوفة فى هذا العلم قرنا من الزمان ثم لحقت بها الكوفة ، فكان لها نصيبها الوافر فى هذا الفن .

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ١٢ .

وهم : ١ — نصر بن عاصم الليثى ت ٨٩ هـ ·
٢ — عنبسة بن معدان الفيل المهرى
٣ — عبد الرحمن بن هرمز ت سنة ١١٧ هـ ·
٤ — يحيى بن يعمر العدوانى ·

ودونك الحديث عن كل عالم سبق ذكره ·

١ — نصر بن عاصم الليثى ت ٨٩ هـ

نسبه :
هو نصر بن عاصم بن أبى سعيد الليثى البصرى المقرئ النحوى ، هذا ما أثبته القفطى فى إنباه الرواة ، وباقى كتب التراجم تقتصر على أنه نصر بن عاصم الليثى فقط وقيل : دؤلى وقد ذكر خليفة بن خياط فى طبقاته ص ٢٠٦ نسبه فقال : نصر بن عاصم بن عمرو بن حزم بن أسعد بن وديعة بن مالك بن قيس بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناه بن على بن كنانه " وعلى هذا يجتمع مع أبى الأسود فى بكر بن مناة ، ولم تذكر المراجع سنه ومولده ·

(١) ترجمته : أنظر بغية الوعاه ٣١٣/٢ ، وانباه الرواه ٣٤٣/٣ وطبقات القراء ص ٣٣٦/٢ · وطبقات النحويين ص ٢٧ ·

مكانتـه وأخلاقه : (١)

قال ياقـوت : كان فقيها عالما بالعربية من قدمـاء التابعين ، وكان يسند الى أبى الأسـود فى القرآن والنحو وله كتاب فى العربيـة ، كما ذكر الزبيدى فى الطبقات : أنه أول من وضـع العربيـة ، ويوافقـه القفطـى فى ذلك فيقول: أول العلماء فى علم النحـو ، وقال بعض الرواة : ان نصرابن عاصـم أول من وضـع النحـو وسبّبه ، وهـو أول من أخذه عن أبى الأسـود الدؤلى ، وفتق فيـه القياس ، وكـان أنبـل الجماعـة الذين أخذوا عـن أبى الأسود فنسبب أولـه اليـه ، وكان من التابعين « (٢)

وقيل أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدوانى ، وأخـذ عنـه أبو عمـرو بن العلاء .

قال عـمرو بن دينار : اجتمعت أنا والزهرى ونصر بن عاصم فتكلم نصـر فقال الزهرى : إنـه يفلق بالعربيـة تفليقـا » (٣).

---

(١) البغية جـ ٢ ص ٣١٣ .

(٢) انباه الرواه ٣/٣٤٣ .

(٣) أخبار النحويين البصريين ص ٣٩ .

مذهبه :

كان يرى رأى الخوارج ويسير على مذهبهم ، ولكنه ترك ذلك بعد أن ظهر له فساد مذهبهم وأعلن ذلك في شعره حيث يقول :

فارقت نجدة والذين تزرقوا
وابن الزبير وشيعة الكذّاب
وهوى النجاريين قد فارقته
وعطيةَ المتجبّر المرتاب (١)

وفاته :

توفى رحمه الله سنة تسع وثمانين (٢) ولا يعلم تاريخ ولادته وقال خليفة ص ٢٠٦ انه مات بعد الثمانين وقال الجزرى توفى قديما قبل سنة مائة " .

حقيقة عمله في النحو :

تذكر بعض الروايات أنه أول من وضع النحو ، كما تذكر الأخرى أنه أول من أخذه من أبى الاسود بدليل أنه كان يسند الى أبى الأسود في القرآن والنحو ، وعلى ذلك

(١) بغية الدعاة ٢/٣١٤ .
(٢) معجم الادباء ١٩/٢٢٤ .

تحمل أنـه أول من أخذ عنـه ثم تعلم منه كثير،منهـم أبو عـمرو بن العلاء ويحيى وغيرهـما ، وكان عالما ثقـة يغلق بالعربيـة تغليقا ، ولكن الروايات القويـة هى التى تسـند وضع النحو الى أبى الأسـود ، وغيره أخـذ عنـه فلا عـبرة بالمخالفـة فى ذلك ، وتحمل ما ورد على أنه مـن السابقين فى ذلك ، فهو كما روى من قدمـاء التابعين ، فهو أحد القراء والفصحـاء فى العربيـة المشهور عنهم الضبـط والأمانـة ".

قال الجزرى فى غاية النهاية [1] عـن نصر بن عاصـم عرض القراءة على أبى الأسـود ، وروى عنـه القراءة عرضـا أبـو عمـرو ، وعبد الله بن إسحاق الحضرمى ، ويقـال إنـه أول من نقط المصاحـف وخمسها وعشرها .

وعلى ذلك فالرجل تابع لأستاذه أبى الأسود أخـذا عنـه واستفادة منـه .

---

(1) ٢/٣٣٦ .

أمثلة لجهده في القراءات والعربية :

قال القفطي عن نصر : وكان من أقصد الناس طريقا في القراءة روى محبوب عن خالد الحذاء قال : سألت نصر ابن عاصم ... كيف تقرأ ؟ فقال : " قل هو الله أحد الله الصمد " فلم ينون :ال : فأخبرته أن عروة ينون . فيقال بئس ما قال : وهو للبئوس أصل ، قال فأخبرت عبد الله بن أبي اسحاق عن قول نصر بن عاصم فمازال يقرأ بها حتى مات " .

وتحقيق هذه القضية نحويا بأن نقول : قال في السبعة (1).

قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: أحدٌ الله) بتنوين الدال وقرأ أبو عمرو (أحدْ اللهُ) بغير تنوين فيما حدثني به الخزاز عن محمد بن يحيى عن عبيد عن هارون عنه : أحدْ . اللهُ) يقف على أحد ولا يصل ، فان وصل قال (أحدٌ . اللهُ) بالتنوين وكان يزعم أن العرب لم تكن تصل مثل هذا .

وحدثعبيد بن بن علي عن علي بن نصر عن أبيه قال : سمعت أبا عمرو يقرأ (أحدْ) فاذا وصل ينونها

(1) ص ٧٠١ .

وزعم أن العرب لم تكن تصل مثل هذا ، وروى أبو زيد عن أبي عمرو (أحدٌ الله) لا يصل المقطوع ، وقال عباس : سألت أبا عمرو فقرأ أحدْ) وقف ثم قرأ الله الصمد ۰۰۰۰ قال أبو عمرو : أدركت القراء يقفون على أحد وكذلك كانوا يقرؤونها ۰ (أحدْ ۰ اللهُ الصمد)

قال أبو عمرو : فان وصلت نونت عن هارون عن أبي عمرو (أحدٌ ۰ الله) لا ينون وإن وصل ۰

من هذا العرض يظهر لنا أن هذه القراءة نسبت الى غير نصر ، كما نسبت اليه أيضا وابن مجاهد نسبها الى أبي عمرو في احدى الروايات وفي الأخرى ينسبها الى نصر وفي البحر المحيط [1] نسبت أيضا اليه والى غيره وبيّن أبو حيان السرفى حذف تنوين أحد ، لالتقائه مع لام التعريف ، وهو موجود في كلام العرب ، وأكثر ما يوجد في الشعر نحو قوله : ولا ذاكر الله الا قليلا ، ونحو قوله : عمرو الذي هشم الثريد لقومه " فحذف التنوين لملاقاة الساكن من أل الله) ۰ ويقول الفراء [2] (والذى قرأ ۰۰۰۰ أحد ۰۰۰ الله الصمد) بحذف

---

(١) ٨/ ٢٨ ۰

(٢) معاني القرآن جـ ٣ صـ ٣٠٠

النون من أحد يقول : النون نون الاعراب ، اذا استقبلتها الألف واللام حذفت وكذلك اذا استقبلها ساكن) ثم يقول والتنوين أجود .

ثانيا : قرأ تثونى بالتاء مضارع أثونى على وزن أفعوعل نحو اعشوشب المكان كما قرأ أيضا : ينثون بتقديم النون على الثاء ، وهذا من القلب المكانى .

ثالثا : قرأ نصر فى بئس (بَأْس) المحتسب ١/ ٢٦٥ .

***

٢ ــ عَنْبَسَة بن معدان الفيل المهري

نسبه ومولده :

كان معدان والده رجلا من أهل ميسان وهي بين البصرة وواسط ، قدم البصرة ، وأقام بها وكان يقال له معدان الفيل ، لأن عبد الله بن عامر كان له فيل بالبصرة ، وقد استكثر النفقة عليه ، فأتاه معدان فتقبل نفقته ، وفضل في كل شهر ، فكان يدعى معدان الفيل (١) وقيل لقب بذلك ، لأن أباه كان يروض فيلا للحجاج فغلب عليه اللقب ثم انتقل منه اليه (٢) ثم ولد ابنه صاحب الترجمة عنبسة الذي تعلم النحو على أبي الأسود ، وعاش مدة من الزمن ولم تذكر المراجع تاريخ وفاته ، ولكن من المعروف أنه عاصر الفرزدق ، وهجاه فلعل وفاته كانت حول المائة الأولى من الهجرة +

ويروي ياقوت في معجم الأدباء سبب تسميته بمعدان الفيل فقال : كان لزياد ابن أبيه فيلة ينفق عليها في كل يوم عشرة دراهم ، فأقبل رجل من أهل ميسان يقال له معدان فقال : ادفعوها الي ، وأكفيكم المؤونة فأعطيكم عشرة دراهم كل يوم فدفعوها اليه ، فأثرى وابتنى قصرا ، ونشأ له ابن يقال له : عنبسة ٠

(١) نزهة الالباء ١٦/١٥٠
(٢) نشأة النحو ص ٥٧ ٠

مكانتـه :

لقد اختلف الى أبى الأسود لتعلم العربية منـه ، وكان أبرع أصحـاب أبى الأسـود ، وأن ميمونا الأقرن أخـذ عنـه بعد أبى الأسـود ، كما ذكر الخليل ، وروى الشـعر وظرف وفصح ، وروى شعر جرير والفرزدق ، وانتمـى الـى بنى أبى بكـر بن كلاب فقيل للفرزدق : ها هنـا رجـل من بنى أبـى بكر بـن كلاب يـروى شـعر جرير ويفضلـه عليـك ووصـفوه له : فقال رجل من بنى أبى بكر ابـن كـلاب على هذه الصفة لا أعرفه ، فأرونى داره . فـأروه فقال : هـذا ابن معـدان الميسانى ، ثـم قص قصتـه وقال :

لقد كان فى معدان ، والفيل زاجـر
لعنبـة الراوى علىّ القصائـــدا

فروى البيت فى البصرة ، ولقى عنبـة أبا عيينة بن المهلـب فقال له أبو عيينـة ما أراد الفرزدق بقـوله : لقد كـــان فى معـدان والفيل زاجر .

فقال : انما ذقال : لقد كان فى معدان " واللـــؤم زاجر .

فقال أبو عيينـة : وأبيك إنّ شيئا فررت منه الى اللؤم لعظيم (١)

(١) طبقات النحويين ص ٢٩ وأخبار النحويين ص ٤٢ .

ويذكر القفطى فى تقدير مكانته وعلو شأنه بين أقرانه فيقول (١) "قد اختلف الناس فى تقديم ميمون على عنبسة ، وفى تقديم عنبسة على ميمون الأقرن فى الفضل والعلم وسعة الرواية وهو من الطبقة الثالثة فإنه يروى عن أبى الأسود ، وأبو الأسود عن على كرم الله وجهه وهذه الطبقة حسب ما حصر الرواة فممن أخذ عن ابى الأسود وعنبسة بن معدان هذا وميمون المعروف بالأقرن وعطاء بن أبى الأسود ، وأبى نوفل بن أبى عقرب ويحيى بن يعمر ، وقتادة بن دعامة السدوسى ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ونصر بن عاصم فكل هؤلاء أخذوا عن أبى الأسود ، وتتفاوت مقاديرهم فى العلم بهذا النوع من العربية " (٢)

وبهذا يتضح لنا مكانة عنبسة فى أنه كان عالما بارعا فى النحو ، وأخذ عنه العلماء من أبرعهم ميمون الأقرن ، كما اهتم برواية الأشعار ، وكان صاحب طرف أدبية معروفا بالفصاحة ، ودخل فى معترك الخصومة بين جرير والفرزدق ، وفضل شعر جرير عليه فى جرأة عجيبة حتى هجاه الفرزدق فى شعره فجمع بين

(١) انباه الرواة جـ ٢ ص ٣٨٢ .
(٢) بغية الوعاة ٢٣٣/٢ .

العلم اللغـــوى والأدب بقســميه الشعر والنثر .

وفاتـــه :

لا نعلم متى توفى ، ولكن التعّريب والمعاصرة مـــع جرير والفرزدق يـدل على أنه مات حـول المائة الأولـــى رحـمه الله رحمـة واسعة .

* * *

٣ — عبد الرحمن بن هرمز

نسبه ومولده :

هو عبد الرحمن بن هرمز بن أبى سعد المدنى المقرئ النحوى ، ويقول ابن الجزار القيروانى فى تاريخه إنه أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج مولى محمد بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ولد بالاسكندرية ، ولم يعلم تاريخ ولادته .

مكانته وخلقه :

إن ابن هرمز كما يقول أهل العلم : إنه أول من وضع علم العربية وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش ، ويقول القفطى : والسبب فى هذا القول أنه أخذ عن أبى الأسود الدؤلى وأظهر هذا العلم بالمدينة وهو أول من أظهره وتكلم فيه بالمدينة ... ، وما أخذ أهل المدينة النحو إلاّ منه ، ولا نقلوه إلاّ عنه " (١) .

ويروى أن مالك بن أنس أمام دار الهجرة رضى الله عنه اختلف الى عبد الرحمن بن هرمز عدة سنين فى علم لم يبثه فى الناس ، فمنهم من قال : تردد اليه لطلب

(١) أخبار النحويين ص ٤٠ .

النحو والفلسفة قبل إظهارها ، وقيل كان ذلك من علم أصول الدين ، وما يرد به مقالة أهل الزيغ والضلالة (١)

وعبد الرحمن مدنى تابعى أخذ عنه نافع بن أبى نعيم القراءة فى جماعة من أهل المدينة وكان عبد الرحمن أخذ القراءة عن عبد الله بن العباس وأبى هريرة ، فهو بلاشك أحد القراء المعدودين .

جهوده فى القراءات والعربية :

يقول السيرافى عنه : كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية ، وكان أعلم الناس بأنساب قريش وأحد القراء (٢)" ويقول عنه القفطى : إنه أخذ النحو عن أبى الأسود وهو أول من أظهره بالمدينة ، وتكلم ، وهو أعلم الناس بالنحو ، بأنساب قريش" (٣) ولقد أخذ عنه نافع بن أبى نعيم القراءة فى جماعة من المدينة ، وقد تلقاها عن ابن عباس وأبى هريرة وإليه أشار ابن برهان النحوى فى أول شرحه فى كتاب اللمع لابن جنى بأن قال "النحاة جنس تحته ثلاثة أنواع ، (مدنيون ، بصريون ، كوفيون) أراد أن أصل

(١) أنباه الرواه ١٧٢/٢ والبغية ط ٢٩١ .
(٢) أخبار النحويين البصريين ص ٤٠ .
(٣) ص ٥٤ ، ٥٦ .

النحو نتج من أول علماء هذه المدن ، فهو بلا شك من أوائل العلماء فى هذه البقاع الطاهرة ، ولم تنقل الينا المراجع عن القضايا اللغوية التى شغلت ابن هرمز وعلمها الناس وإن كانت تؤثره بمزية السبق فى هذا العلم قضاياه الأولية من الرفع والنصب والجر والجزم ، وله أثره الواضح فى القراءات ، وقراءة نافع قال ابن مجاهد فى السبعة أخبرنا نافع أنه قرأ على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبى هريرة عن أبيّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذكر أبو لهيعة عن الأعرج قال سمعت ابن عباس يقرأ : تَثْنَوْنِ صدورهم كما قرئ : تثنونّ .

توجيه هذه القراءة نحويا :

إن المشهور قراءة (يَثْنُونَ) (١) وعلى ذلك فالفعل مرفوع بثبوت النون والفاعل واو الجماعة وأصله ثنا كدعا ، يثنو يدعو وعند الاسناد حذف حرف العلة وهو الواو ، لأن الضمة تدل عليه ، وحتى لا يلتقى ساكنان .

أما قراءة ابن هرمز : تثنوْن فتوجه على أنها على وزن تَفْعَوْعِل من أبنية المبالغة لتكرار العين كقولك أعشب البلدُ

(١) هود آية ٥ .

فاذا كثر فيه ذلك قيل : اعشوشب ، واخلولقت السماء للمطر اذا قويت أمارة ذلك ، وأغدودن الشعر اذا طال واسترخى .

وأما قراءة (تَشْنَونَّ) قال ابن جنى ففيها نظر لأنها تفعوعل من لفظ الشنّ ومعناه أيضا ، وأصلها تشنونَنْ ، فلزم الادغام لتكرار العين اذا كان غير ملحق فأسكنت النون الأولى ونقلت كسرتها على الواو وأدغمت النون فى النون فصار — تَشْنَونَّ " (١).

وهكذا نجد جهده كبير مبثوث فى قراءات القرآن المختلفة

<u>وفاته :</u>

توفى — رحمه الله — بعد حياة حافلة بالعمل للقرآن الكريم والعربية ، ودفن بالاسكندرية سنة ١١٧ هـ .

---

(١) المحتسب ٣٠٨/١ .

٤– يحيى بن يَعْمَر العَدْوَاني

نسبه ومولده :

هو يحيى بن يعمر العدواني النحوي ويكنى أبا سليمان ، تابعي بصري انتقل الى خراسان . قال الكلبي : يحيى بن يعمر من بني وابش بن زيد ابن عدوان . وقيل هو هذلي ، ومنهم أخو عدوان ، وقيل جزلي وجزيلة قيس : منهم وعدوان ، وقال آخرون : هو ليثي بن بني كنانة ، ليث بن بكر ابن مناة بن كنانة ، وقال خليفة بن خياط الشيباني هو عطفاني . عطفان سعد بن قيس بن عيلان ، وولد بالبصرة ولم يعلم (١) تاريخ ولادته .

مكانته وخلقه :

اشتهر بالأمانة والعلم والفقه ولقي عبد الله بن عباس وابن عمرو وغيرهما ، وروى عنه قتادة واسحاق بن سويد وغيرهما .

وهو أحد قراء البصرة وعنه أخذ ابن أبي إسحاق القراءة ، وولي القضاء بمرو وكان عالما بالقرآن والنحو

---

(١) انظر الطبقات ص ٢٧ ، ٢٨ وأنباه الرواه ص ٤/ ٢٤/ ٢٥ .

ولغات العرب ، وأخذ النحو عن أبى الأسود . ويقال : إن أبا الأسود لما وضع باب الفاعل والمفعول به ، زاد فيه رجل من بنى ليث أبوابا ، ثم نظر فاذا فى كلام العرب ما لا يدخل فيه ، فأقصر عنه ، فيمكن أن يكون هو يحيى بن يعمر ، إذ كان عداوة فى بنى ليث كما حكى القفطى (١).

مذهبه :

كان يحيى شيعيا من الشيعة الأول القائلين بفضل أهل البيت عليهم السلام وبلغ الحجاج أن يحيى بن يعمر يقول : ان الحسن والحسين عليهما السلام من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، ويحيى يومئذ بخراسان فكتب الى قتيبة بن مسلم ، أن ابعث الى بيحيى بن يعمر ، فبعث به إليه فقال : أنت التى تزعم أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ! والله لألقينَّ الأكثر منك شعرا أو لتخرجنّ من ذلك ، فهو أمانى إن خرجت منه ؟ قال : نعم ، قال : فان الله جل وعز يقول : " ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب

==========

(١) انظر الطبقات ص ٢٧ ، ٢٨ وأنباه الرواه ص ٤/ ٢٤ ، ٢٥ .

ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجـزى المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى " (١) الآيـة . وما بين عيسى وابراهيم أكثر ممـا بين الحسن والحسين ومحمد صلى الله عليه وسلم . قال ما أراك الا وقد خرجت والله لقد قرأتها وما علمت منها قـط ويقول ابن خلكان بعد ذلك : " وهذا من الاستنباطـات الغريبـة ، فلله دره ، وما أحسن ما استخرج وأدق مـا استنبط " .

ثم قال له : أين ولدت ؟ قال : بالبصـرة . قال : وأين نشأت ؟ قال بخراسان . قال : فهذه العربيـة أنّـى لك هـي ؟ قال : رزقتها ، قال : خبرني عنى هل ألحن ؟ فسكت . قال : أقسمت عليك ! فقال : أما إذ سألتـني أيها الأمـير ، فانك ترفع ما يوضع ، وتضع ما يرفـع قال : ذلك والله اللحـن السيء . قال : تقـول : (قـل ان كان آباؤكـم وأبناؤكـم ... الى قوله . أحـب اليكم " (١) تقرؤهـا بالرفـع قال : لا جرم . لا تسـمع لى لحنا ، فألحقه بخراسان ، ثم جعله قاضيا بها .

---

(١) الأنعام ٨٤ ، ٨٥ .
(٢) التوبـة ٢٤ .

قدرته في النحو واللغة :

من حديثه للحجاج وبيان خطئه في رفعه (أحب) والواجب النصب ، لأنها خبر كان وقد تقدم اسمها فهذا خبرها ويجب نصبه ٠

وكتب يزيد بن المهلب الى الحجاج من خراسان : إنا لقينا العدو ، فاضطررناهم الى عُرعرة الجبل ، ونحن بحضيضه ، فقال الحجاج : ما لابن المهلب ولهذا الكلام ٠ قيل : ان ابن يعمر هناك قال ذاك اذاً ٠

كما كان يحيى بن يعمر ينطق بالعربية واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف وقال لرجل خاصمته امرأته اليه ، فأنكر دعواها ، وتلجلج ما بين الاقرار والانكار أأن سألتك ثمن شَكْرها وشَبْرك أنشأت تطُلّها وتَضْهَلُها (٢)

(وقال عيسى بن عمر : تخاصم رجلان الى ابن يعمر فقال أحدهما : أصلحك الله ، إنه باعني غلاما بيَّاقا فقال يحيى : لو قلت : أبوقا " ما كان عليك !

قال أبو حاتم : هذا الصواب يقال : رجل أبوق وأباق ، وآبق ٠

(١) ى ابن خلكان ٢/٢٢٧ ٠
(٢) تطلها : تمطلها ٠ تضهلها : تقتر وتضيق عليها والشكر : النكاح ٠ والشبر : الجماع ٠

وقال خالد الحذاء : كان لابن سيرين مصحف منقوط نقطه يحيى بن يعمر ، وحكى ابن دريد : أن يحيى ابن يعمر اشترى جارية خراسانية ضخمة ، ودخل عليه أصحابه فسألوه عنها فقال : نعم المطخة [١]

جهده في القراءات : —

إنّ يحيى بن يعمر له قراءات :

كان عالما بالقراءات والعربية وهو أول من نقط المصاحف ، وله قراءات كثيرة ومن يطالع المحتسب لابن جني [١] يجد قراءات كثيرة منسوبة اليه مثل قراءة (يثنوني صدورهم) بالياء فذكر على معنى الجمع . وقرأ قوله تعالى في الأعراف (بعذاب بئيس) قرأ (بأس) .

وهكذا فله باع طويل في هذه الناحية رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وفاته :

توفي بخراسان سنة تسع وعشرين ومائة في أيام مروان ابن محمد وهذا ما صرحت به جمهرة المراجع ، ولكن في النجوم الزاهرة أنه توفي سنة ٨٩ هـ [٢]

(١) كناية عن الجماع .
(٢) المحتسب ٥/٢٠٢ ، ١/٢٦٩ .
(٣) نشأة النحو ص ٥٨ .

النحو قبل التدويـــــن

الطبقة الثانية البصريـة

١ — ابن أبي اســـحاق

نسبه :

هو أبو يحيى عبد الله بن أبي اسحاق زيد الحضرمـــى اشـــتهر بكنية والده ، وكان مولى آل الحضرمي وهـــو المقرئ النحوى ، ونشأ بها ولزم أبا الأسود حتى صار أعلم أهل البصرة .

علمـه ومكانته :

كان عبد الله ابن اسحاق كما يقـول أبو الطيب : كـان أعلم أهل البصرة ، وأعقلهـم ، فـرغ النحو وقاسه ، وتكـلم في الهـمز حتى عمل فيـه كتاباً له أملاه ، وكان رئيس الناس وواحدهـم ، أخذ عـن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمـــر ، وجـدّ في هـذا العلم حتى بلغ الغايـة فيه ســئل عنـه يونس : فقال : هو والنحو سواء ، أي هـو الغاية.
وقيل له : فأين علـمه من علم الناس اليوم ؟ قـــال: لو كان اليوم في الناس أحد لا يعلم الا علمه لضحك منـه ولو كان منهـم من له ذهنه ونفاذه ونظره كان أعلم الناس .

---

(١) مراتب النحويين ص ٧١ .

قال ابن سلام (١) عنه : أول من بعّج النحو أى (شرحه وعلله) ومد القياس ، وشرح العلل ، وكان معه ابن العلاء ، وكان ابن أبى اسحاق أشد قياسا ، أى هو شديد التجديد للقياس والعمل به ... وكان بلال بن أبى بردة جمع بينهما وهو على البصرة أيام هشام ابن عبد الملك . قال ابن عمرو : فغلبنى ابن أبى اسحاق يومئذ بالهمز ، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه " فابن أبى اسحاق أبرع وأوسع علما من أبى عمرو بن العلاء فله مكانة كبيرة منه .

جهده فى النحو :

كانت مسائل النحو شتاتا مبعثرة إما حول آية من القرآن الكريم استلفتت نظرهم أو حول بيت من الشعر لم يسر على الطريق المعروف لهم ، فيقفون عند رفع الكلمة لم رفعت " وبعضها لم نصبت ، فابن أبى اسحاق كان كثير السؤال والاعتراض على الفرزدق . يقول ابن هشام قد حضر الفرزدق مجلس عبد الله فقال له كيف تنشد هذا البيت ؟.

وعينان قال الله كونا فكانتا
فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

---

(١) أنباه الرواه ٢/١٠٧ .

فأنشد (فعولان) فقال له عبد الله ما كان عليك لو قلت فعولين : فقال الفرزدق لو شئت أن أسبح لسبحت ونهض ، فلم يعرفوا مراده ، فقال عبد الله : لو قلت فعولين لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما ، ولكنه أراد أنهما يفعلان ما تفعل الخمر " (١).

ويواصل ابن أبى اسحاق اعتراضه وتخطئته للفرزدق فى شعره ، بحكم القاعدة عنده فيقدمها على أصالة العربى وهو لا يخطئ فى لغته ، ولكنه يعيبه ، ويشتد فى ذلك . يسمع الفرزدق يقول :

وعض زمان يا بن مروان لم يدع
من المال إلاّ مسحتا أو مجلّف

ويرى أن (مجلف) فى رفعها لا تناسب (مسحتا) فى نصبها ، وأين تبعية المعطوف للمعطوف عليه كما تنص القاعدة النحوية فقال له : بم رفعت أو مجلّف فقال له : بما يسوءك وينوءك علينا أن نقول ، وعليكم أن تتأولوا .

كما اعترض عليه وعابه فى قوله :

مستقبلين شمال الشام تضربنا
بما صبّ كنديف القطن منثور

(١) الأشباه والنظائر (الفن السابع) .

على عمائنا يلقى وأرحلنـــا
على زواحـف تزجيهـا محاسـير

فقال : انما هـو (رير) بالرفع ، وإن رفـع أقــوى
فوجـد عليه الفرزدق وقال : أما وجـد هذا
لبيتى مخرجا فى العربيـة ، أما انى لو أشاء لقلـت
على عمائنـا يلقى وأرحلنـا
على زواحـف تزجيها محاسـير

ولكنى والله لا أقوله : ثم هجاه بقوله :
ولو كان عبد الله مولى هجوتـه
ولكن عبد الله مولى مواليـا

فقال ابن اسحاق له : عـذره شر من ذنبـه ، فقـد أخطأ أيضا ، والصواب " مولى موالٍ " ومعنى البيـت لو كان ذليلا فقـط لهجوتـه ، ولكن أذل من ذلك فهو حليف الحضرميين ، وهم حلفاء بنى عبد شمس " (١)

كما يعيب على النابغـة أيضا قوله ٠
فبت كأنى سـاورتنى ضئيلـة
من الرقـش فى أنيابها السم ناقـع

---

(١) نشأة النحو ص ٥٩ ، ٦٠ ٠

برفع ناقع ، والنكرة لا تكون وصفاً للمعرفة (السم) فيقول أساء النابغة ، وكان عليه أن يقول : ناقعاً بالنصب على الحالية .

ولو نظرنا الى ماعابه ابن أبى اسحاق . لوجدنا له تخريجا صحيحا فى العربية فابن يعيش فى باب العلم المنقول يقول : إنه معطوف على المنصوب بملاحظة المعنى كأنه قال بقى مسحت أى (مستأصل) والمجلف الباقى منه بقية .

ويقول يونس إنَّ ما قاله الفرزدق جائز حسن (١) ، فلما ألحوا على الفرزدق قال : " زواحف تزجيها محاسير " وقوله (فعولان) بالرفع على أن كانتا تامه ، ثم بدأ الكلام بعد ذلك ، وهكذا لا يصح أن نخطئ عربيا فى مثل الفرزدق والنابغة ، ولكن التعصب للقواعد بدون نظر الى باقى الأساليب هو الذى أوصل لذلك . حكى يونس (٢) أن أبا عمرو بن العلاء كان أشد تسليما للعرب ، وكان ابن أبى اسحاق وعيسى بن عمر يطعنان على العرب ، ويقول أساء النابغة فى قوله السابق .

---

(١) ضحى الاسلام جـ ٢ صـ ٢٨٩ .
(٢) انباه ٢/١٠٦ .

وابن اسحاق يعتمد الاعراب فى عبارته حرفا واحدا ، وهذا هو أساس مشكلته فى ذلك فمرت به سنورة فقال: أخسى فقال له : هذه ألا قلت أخشى وخطأه فى ذلك بكر بن حبيب السهمى عندما سأله عما يلحق فيه ، فذكر له ذلك (١) .

وكان يحاول أيضا فى قوله تعالى : " يا ليتنا نرد ولا نكذبَ بآيات ربنا ونكونَ) (٢) فكان ينصب نكذب ونكون وابن العلاء يرفع ذلك .

وعاب عليه ابن سيرين تفسيره الشعر ، وكان يكره النحويين ويقول : لقد بغض الينا هؤلاء المسجد فرد عليه ابن اسحاق بقوله : إن الفتوى فى الشعر لا تحل حراما ، ولا تحرم حلالا ، وانما تفتى فيما استتر من معانى الشعر ، وأشكل من غريبه وإعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا ، أو اجتهدنا فيها آراءنا فإن زللنا أو عثرنا فليس الزلل فى ذلك كالزلل فى عبارة الرؤيا ، ولا العثرة فيها كالعثرة فى الخروج عما أجمعت عليه الأمة من سنة الوضوء ، وكرهته الجماعة من الاعتداء فى الطهور ، فبلغ

---

(١) انباه الرواه جـ ١ صـ ٢٨٠ .
(٢) الأنعام ٢٧ .

ذلك ابن سيرين فأقصر عما كان عليه من الافراط في الوضوء ، وكان الرجل يسأله عن الرؤيا قال : هات حتى أظن لك .

وكان ابن أبي اسحاق بعد أن بلغه كلام ابن سيرين يقول : أظن الشاعر أراد كذا واللغة توجب كذا ثم اجتمع هو وابن سيرين في جنازة فقال ابن سيرين (كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء) [1] فقال : ابن ابن أبي اسحاق : كفرت يا أبا بكر بعيبك على هؤلاء الذين يقيمون كتاب الله . فقال ابن سيرين : ان كنت أخطأت فأنا استغفر الله ورجع الى حلقته " [2].

كان ابن اسحاق من أسبق البصريين في استعمال القياس وتوسيع مسائل النحو وإفراد الكتب فألف في الهمز كتابا أملاه ، وقد بدأت الخطوة الثانية على يديه حتى جمع مسائل النحو المعروفة في كتاب [3] ويروى أن يونس ابن حبيب سأله عن كلمة السويق ، وهو الناعم من دقيق

---

(١) فاطر ٢٨ .
(٢) انباه الرواه ص ٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٣) ضحى الاسلام ٢/٢٩٠ .

الحنطة ، هل ينطقها أحد من العرب (الصويق) بالصاد ؟

فأجابه : نعم قبيلة عمرو بن تميم تقولها ، ثم قال له : عليك بباب النحو يطرد وينقاس " (١) ولذلك كان متمسكا شديد التمسك بتلك القواعد المعللة والقياس عليها قياسا دقيقا بحيث لا يصح الخروج عليها ، ويخطئ كل من ينحرف في تعبيره عنها مهما كان وصفه كما حصل له مع الفرزدق .

كما كان لا يرى بأسا في أن يخالف جمهور القراء في بعض قراءاتهم لآيات الذكر الحكيم تمسكا بالقياس النحوي ، فكان يقرأ آية المائدة (والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله)

بالنصب على المفعولية ، لا بالرفع لقراءة الجمهور ، لأن الخبر فعل أمر ، .وكان ابن اسحاق بمحاضراته واملاءاته على طلابه وكل ما أثر عنه كتاب الهمز عالج رسمها حين توصل أو تقطع أو تسهل أو تدخل على همزة أخرى ، وحين تتصل بحروف العلة خدمة لكتاب الله عز وجل . وكان أول الطبقة الرابعة من النحاة ، لأنه

---

(١) المدارس النحوية ص ٢٣ .
(٢) المائدة ٣٨ وأنظر شواذ القراءات لابن خالويه ص ٣٢ .

أقدم أخذا فيمن شاركه فى الطبقة وأقدمهم موتا ٠٠٠٠
وكان لتقدم وقت الطلب زاحم عنبة وميمونا الأقرن فى
آخر عصرهما فجعل فى أول هذه الطبقة " (١)

جهوده فى القراءات :

كان ابن أبى اسحاق من القراء النابهين أخذ قراءته عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وهو صاحب قراءات تجدها منشورة فى المحتسب فى شواذ القراءات مثل قراءته بالنصب والتنوين فى قوله : " وأما ثمود فهديناهم " فقد قرأ ثمودا منونة منصوبة (١).

قال سيبويه (٢) : وانما حسن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملا فى المضمر وشغلته به ، ولولا ذلك لم يحسن لأنه لم تشغله بشىء ، ثم جوز النصب على إضمار فعل يفسره ، ولا يظهرون هذا الفعل المضمر حتى لا يجمع بين المفسَّر والمفسِّر ٠

وعلى هذا جاءت قراءة ابن أبى اسحاق وغيره فكانت جائزة عربية ٠

(١) الانباه ٢/١٠٧ ٠
(٢) الآية ١٧ من فصلت البحر المحيط ٧/٤٩١ ٠
(٣) الكتاب ١/٨١ هارون ٠

ويقول بعد ذلك : فالنصب عربى كثير ، والرفع أجود .

ومثل ذلك اختياره النصب فى قوله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) [١] وقوله أيضا : (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) [٢] قال سيبويه [٣] : وقد قرأ أناس (والسارقَ والسارقةَ والزانيةَ والزانىَ) وهو فى العربية على ماذكرت لك من القوة ولكن أبت العامة الا القراءة بالرفع .

وكذلك قراءته (من قبلُ ومن دُبُرُ) بثلاث ضمات بثلاث ضمات كما قرأ باسكان الباء مع بنائهما على الضم جعلوهما غاية نحو من قبلُ ، ومعنى الغاية أن يصير المضاف غاية نفسه بعد كان المضاف اليه غايته ، والأصل إعرابهما ، لأنهما اسمان متمكنان وليسا بظرفين ، وقال أبو حاتم وهذا ردئ فى العربية ، وانما يقع هذا البناء فى الظروف ويروى عن ابن اسحاق أيضا فيهما أنه قرأ من قبلَ ومن دبرَ بالفتح قال أبو حيان : كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلية والتأنيث) [٤]

---

(١) المائدة ٣٨ .
(٢) النور ٢ . (٣) الكتاب ١/١٤٤ .
(٤) البحر المحيط ٥/٢٩٨ .

وكلام أبى حاتم فى الحكم على قراءة ابن اسحاق بالرداءة كلام مردود من جهة العربية أيضا ، فالعربية بعد القراءة وتابعة لها ، وكلام أبى حيان وقيق فى أنها قد صارا غاية كقبل وبعد وقراءاته كثيرة لا تحصى وثبوته فى كتب اللغة والتفسير فهو علم فى القراءة بلا شك .

وفاته :

توفى عبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى رحمه الله - سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثمان وثمانية سنة وصلى عليه بلال بن أبى بردة وهو أمير البصرة ، ومات كثير من نسله كزيد ابنه ويعقوب حفيده ، وكلهم قراء مجودون ومات مع قتادة بن دعامة فى يوم واحد ، فشيع جنازته الأدباء والأشراف والنساك والفقهاء مع جنازة قتادة رحم الله هذه الصفوة الكريمة من العلماء " (١)

(١) أنباه الرواة جـ ٢ / ١٠٨ .

٢ - عيسى بن عمر الثقفى

نسبه :

هو أبو عمر عيسى بن عمر الثقفى ، مولى خالد بن الوليد نزل فى ثقيف فنسب اليها وقيل إنه مولى لبنى مخزوم وهو من ولد الحكم بن عبد الله الأعرج الذى روى الحديث وقيل : كان من ثقيف ، وهو من البصرة نشأ فيها وعاش بين أهلها .

مكانته وعلمه :

كان إماما فى النحو والعربية والقراءة مشهورا أخذ عن [1] أبى عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبى اسحاق وروى عن الحسن البصرى والعجاج بن رؤبة وجماعة وروى عنه الأصمعى وغيره فهو من مقدمى نحوى أهل البصرة ، وأهم تلاميذ ابن أبى اسحاق حيث صار على طريقه تعميما للقياس ، واطرادا له ، وحكما به على الوارد عن العرب ، وعن عيسى بن عمر أخذ صاحب العقل الزكى النابغة الذى عدم النظير بين علماء عصره ، والذى عكف على العلم يخترع فيه ، ويستنبط أصوله من فروعه على طريقة مبتكرة ذلك هو الخليل بن أحمد الفراهيدى

(١) انباه الرواه جـ ٢ / ٣٧٥ .

ولعيسى كتابان فى النحو أحدهما الجامع والآخر الأكمال وروى أن الخليل قال فيها ٠

بطل النحو جميعا كله
غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع
فهما للناس شمس وقمر

وهذان الكتابان لم نرهما ، ولم نر أحدا رآهما كما يقول ابن الأنبارى[(1)] ، وقال المبرد قرأت أوراقا من أحد كتابى عيسى بن عمر وكان كالاشارة الى الأصول ، فهى محاولة أولية لجمع النحو ، وهى خطوة لها أثرها تلت بعدها خطوات على يد تلميذه الخليل ٠

وكان عيسى بن عمر فصيحا ، وصاحب تقعير ، واستعمال الغريب فى حديثه[(2)] وكان من طبقة ابن العلاء ، وله فى النحو مع ما سبق نيف وسبعون تصنيفا عدمت وذهبت كلها ، وكان يتقعر فى كلامه حكى الجوهرى فى الصحاح وغيره أنه سقط عن حمار فاجتمع اليه الناس فقال : مالى أراكم تكأكأتم على كتكأكئكم على ذى جِنَّة افرنقِعُوا عنى " (3)

(1) انباه الرواه جـ ٢ ص ٣٧٥ ٠ (2) أخبار النحويين البصريين ص ٤٩
(3) بغية الوعاه جـ ٩ ص ٢٣٨ ٠

قال أحد العلماء لعيسى بن عمر : أخبرني عن الذى وضعته فى كتابك يدخل فيه كلام العرب كله فقال : لا، قلت فمن تكلم خلافك واحتذى ما كانت العرب تتكلم به تراه مخطئا ؟ قال لا، قلت : فما ينفع كتابك .

وقال ابن سلام الجمحي : كان عيسى بن عمر ينزع إلى النصب اذا اختلفت العرب ويقال ان أبا الأسود لم يضع من النحو إلا باب الفاعل والمفعول فقط ، وأن عيسى ابن عمر وضع كتابه على الأكثر وبوبه وهذبه ، وسمى ما شذ عن الأكثر لغات ، وكان يطعن على العرب ويخطئ المشاهير منهم مثل النابغة فى بعض أشعاره ، وغيره وقال يحيى بن معين : عيسى بن عمر (1) بصرى ثقة وجمع الحسن بن قحطبة عند مقدمه مدينة السلام الكسائى والأصمعى وعيسى بن عمر فألقى عيسى بن عمر مسألة على الكسائى فذهب الكسائى يوجه احتمالاتها فقال له عيسى بن عمر : عافاك الله إنما أريد كلام العرب ، وليس هذا الذى تأتى به بكلامها وكانت المسألة (هنّك ما أهنّك) وجاء يوما الى عمرو بن العلاء فقال له مررت بقنطرة قرة فلقيني بعيران مقرونان فى قرن فما شددت شعرة حتى وقع قرانهما فى عنقى ، فليج لى

---

(1) انباه الرواه جـ ٢ ص ٣٧٦ .

(أى صرع) فافرنقع عنى والناس قيام ينظرون قال الأصمعى : فكاد أبو عمرو ينشق غيظا من فصاحته ولما كان فى السوق فغُشِّى عليه فدار الناس حوله وهم يقولون : مصروع مصروع ومنهم القارئ والتعوذ من الجان فلما أفاق من غشيته قال عبارته السابقة الشهيرة فقال أحد الحاضرين : إنَّ جِنّيه هذا يتكلم الهندية (١) لتقعّره فى كلامه .

قال أبو العباس ثعلب (٢) : مُقاصراً للكسائى فى تجويزه فى مسألة (همّك ما أهمّك) وليس يقدر أحد أن يخطئ فى هذه المسألة لأنه كيف عَرَّب فهو مصيب وانما أراد عيسى من الكسائى أن يأتيه باللفظة التى وقعت اليه .

ولقد اشتهر عن عيسى بن عمر جده فى التحصيل وخدمة العربية حتى حكى أبو عبيدة عنه قوله : قال عيسى كنت وأنا شاب أقعد بالليل فاكتب حتى يتقطع سَوائى أى وسطى ، ويحكى عنه أنه جاء الى أبى عمرو فقال له : يا أبا عمرو ما شئ بلغنى أنك تجيزه قال : وما هو ، بلغنى أنك تجوزه (ليس الطيبُ إلاَّ المسكُ)

(١) أنباه الرواه ٢/ ٣٧٧ .
(٢ ، ٣) طبقات النحويين ص ٤٢ ، ٤٣ .

بالرفع فقال أبو عمرو . نمت يا أبا عمر وأدلج الناس ،
ليس في الأرض حجازي إلّا وهو ينصب ، وليس في الارض
تيمي إلّا وهو يرفع قال أبو محمد . راوي الخبر :
ثم قال أبو عمرو تعال يا يحيى وتعال أنت يا خلف
اذهبا الى أبي المهدي فلقّناه الرفع ، فانه لا يرفع
واذهبا الى المنتجع التيمي فلقّناه النصب ، فإنه
لا ينصب قال : فذهبت أنا وخليف فأتينا أبا المهدي ،
فاذا هو يصلي ـ وكان به عارض ـ واذا هو يقول في
الصلاة . اخسأنان عني ، قال . ثم قضى صلاته
وانفتل الينا ، فقال ما خطبكما قلنا : جئنا نسألك
عن شيء من كلام العرب فقال : هاتيا . فقال
له خلف تقول : ليس الطيبُ إلّا المسكُ ؟ فقال أتأمرانني
بالكذب على كبرة السن . فأين الجاريُّ (الزعفران)
وأين كذا وكذا فقال له خلف (ليس الشرابُ إلّا العسلُ
قال فما تصنع سُوَدانُ هَجَر ؟ ما بعمان شراب الا هذا
التمر ، قال أبو محمد فلما رأيت ذلك منه قلت له :
ليس ملاكُ الأمر إلّا طاعةُ الله ، والعمل بها فرفعت
فقال هذا كلام لا دخل فيه ، ثم قال : ليس ملاك
الأمر إلّا طاعةَ الله والعمل بها فنصب قال أبو محمد
فقلت له : ليس ملاك الأمر إلّا طاعةُ الله والعمل بها

فرفعت فقال ليس بهذا من لحنى ولا لحن قومى قال فكتبنا منه ما سمعنا قال : فقال ألا أنشدكما أبياتا قلتها حين سمعت تراطن هذه الأعاجم حولى قلنا بلى، فأنشدنا :

يقولون لى شَنْبِذْ ولست مشنبذا
طوال الليالى أو يزول ثَبِيرُ
ولا قائلاً زوراً لأعجل صاحبى
وبستان فى صدرى على كبير
ولا تاركا لحنى لأحسن لحنهم
ولو دار صرف الدهر حيث يدور

قال : فكتبنا هذه الأبيات، ثم أتينا المنتجَع، فأتينا رجلا يعقل فقال له خلف : ليس الطيبُ الا المسكُ قال فرفع قال فلقناه النصب وجهدنا به فى ذلك فلم ينصب، وأبى الا الرفع، قال فأتينا أبا عمرو وأخبرناه وعنده عيسى بن عمر لم يبرح قال : فأخرج عيسى بن عمر خاتمه من يده، فقال لك الخاتم، بهذا والله فقت الناس (١).

(١) طبقات النحويين ص ٤٣، ٤٤ .

يحكى القفطى وغيره أن بعض جلساء خالد بن عبد الله القسرى قد استودعه وديعة فنمى ذلك الى يوسف بن عمر فكتب الى واليه بالبصرة يأمره أن يحمله اليه مقيدا ، فدعى به ، ودعى بالحداد ، وأمره بتقييده ، فلما قيد قال له الوالى . لا بأس عليك إنما أرادك لتأديب ولده ، قال : فما بال القيد إذن فبقيت هذه الكلمة مثلا بالبصرة ، فلما أتى به يوسف ابن عمر سأله عن الوديعة فأنكر ، فأمر به فضرب بالسياط ، فلما أخذه السوط جزع فقال : أيها الأمير إنما كانت ثيابا فى أَسْنَفْاط (وعاء) فتسلمها عشّارك (قابض الزكاة) فرفع السوط عنه ، ووكل به حتى أخذت الوديعة منه ، وأدركه بعد ذلك ضيق النفس فكان يداويه بإجّاص يابس وسكر يضعه فى فيه فيسكن ما به ، وكان رقيق الصوت ، فلزمه هذا المرض طول عمره من هذا الضرب الذى آذاه إيذاء شديدا .

قال على بن محمد بن سليمان قال أبى : فرأيته طول دهره يحمل فى كُمّه خرقة فيها سكر العشر والأجّاص اليابس (المشمش)

تطبيقه القياس ومجادلته فى مخالفته :

كان عيسى بن عمر يطعن على العرب ويحكم القياس فى الأسلوب كأستاذه ابن أبى اسحاق ومن أقيسته (١) ما حكاه سيبويه عنه أنه كان يقيس النصب فى كلمة (يا مطرا) فى قول الأحوص

سلام الله يا مطرًا عليها

وليس عليك يا مطر السلام

على النصب فى كلمة (يا رجلًا) وكأنه يجعل مطرا فى تنوينها ونصبها كالنكرة غير المقصودة (٢).

يقول سيبويه بعد ذلك ، ولم نسمع عربيا يقوله ، وله وجه من القياس اذا نوّن وطال كالنكرة ونتيجة لذلك فقد أساء الى النابغة فى قوله :

أبيت كأنى ساورتنى ضئيلة

من الرقش فى أنيابها السم ناقع

ويقول : وجهه أن يكون (السم ناقعا) بالنصب لا بالرفع ، تنصب على الحال والسم مبتدأ خبره فى أنيابها

(١) المدارس النحوية ص ٢٥ .
(٢) الكتاب ٢/٢٠٣ .

وقدم على المبتدأ ، والقافية مرفوعة ، والقصيدة كلها كذلك ، فكيف الخروج على ماروى ، اتباعا لقياس ، ولا مانع أن تكون الصفة نكرة لمعرفة اذا كانت صفة خاصه ويقول سيبويه : هذا باب ما ينصب فيه الخبر لأنه خبر لمعروف يرتفع على الابتداء قدمته أو أخرته وذلك كقولك فيها عبد الله قائما وعبد الله فيها قائما .. .... وان شئت ألغيت فيها فقلت فيها عبد الله قائم

قال النابغة : البيت السابق وقال الهذلى :

لا دَرَّ دَرِّىَ ان أطعمت نازلكم
قِرْنَ الحَنِىِّ وعندى البر مكنوز

فإذا نصبت القائم ففيها قد حالت بين المبتدأ أو القائم واستغنى بها ، فعمل المبتدأ حين لم يكن القائم مبنيا عليه .... ثم قال ومما جاء فى الشعر مرفوعا أيضا .

لا سافر المنىِّ مدخولٌ ولا هَبِجٌ
عَارى العظام عليها لودع منظوم

وقد قرئ هذا الحرف على وجهين ((قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة) [1]. بالرفع والنصب ...

" (١) سورة الأنعام ١٢٩

وبعض العرب يقول: هولك الجمَّاء الغفير يرفع كما يرفع الخالص ، والنصب أكثر ، ومما جاء فى الشعر قد انتصب خبره وهو مقدم قبل الظرف قوله :

إنَّ لكم أصل البلاد وفَرْعُها
فالخير فيكم ثانيا مبذولا (١)

وبذلك تقرر أن ما ورد عن النابغة سليم عربية فصيح نطقا ، ولكن الرفع ملتزم للسماع المراعى فيه قافية القصيدة وقياسه فى غير الوارد .

ومن قياسه أيضا فى القراءات قوله تعالى : " هؤلاء بناتى هن أطهرَ لكم " (٢)
والنصب هنا على الحال ، والضمير هنا ضمير فصل وعماد ، ونسى أن القراءة شبه متبعه يراعى فيها الوارد ، وقد أجمع القراء على الرفع ، كما أجمع النحاة على الرفع أيضا ، ولكنه خالف الأجماع للفريقين ، وأنكرها أبو عمرو بن العلاء عليه فقال كيف نقول : هؤلاء بنىَّ هم ماذا ؟ فقال : عشرين رجلا ، فأنكرها أبو عمرو .

(١) الكتاب ٢ ص ٨٨ ـ ٩٢ .
(٢) الاية ١٣٩ الأنعام .

وكان عيسى وأبو عمرو يقرآن (يا جبال أوبي معه والطيرَ) (١) بالنصب ويختلفان في التأويل .كان عيسى يقول : .هو على النداء كما تقول : يا زيد والحارث كما لم يمكنه يا الحارث لوجود أل في المنادى ، ولا منادى ما فيه أل وقال أبو عمرو : لو كان على النداء لكان رفعا ،ولكنها على اضمار وسخرنا الطير لقوله على اثر ذلك (ولسليمان الريح) (٢)

فكان عيسى لا يدع الاعراب في شيء محكما قياسه في جميع ما ورد بدون نظر لما ورد عنه .

ومن ذلك ما رواه سيبويه عنه من أنه كان يلفظ قولهم : ادخلوا الأولُ فالأولُ برفع الكلمتين الأخيرتين على تقدير أنهما مرفوعتان بفعل مضارع محذوف تقديره ليدخل . (٢) فحمله على المعنى .

ويرى عيسى أن العَلَم اذا كان منقولا من قبل سواء كان وزنه بالاسم أولى ،ككاهل أوكان وزنا هو فيهما سواء طالما كان علما منقولا من الفعل محتجا بقول الشاعر :

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا

متى أضع العمامة تعرفوني

---

(١) سورة سبأ ١٢ . (٢) الكتاب ١/٣٩٨ .

ولكن الجمهور يأبى رأى عيسى ، ويقول إن كان وزنه مشتركا بين الاسم والفعل أو هما فيه سواء كوزن فَعَل وفَعْلَل لم يمنع من الصرف ، ثم رد عليه استشهاده بأن ما ذكره من باب المحكيات ففيه ضمير ، فهو جملة أو جلا ليس علما بل صفة لموصوف محذوف والتقدير : أى ابن رجل جلا الأمور وكشفها " (١).

وكل ما قدم يدل على أن عيسى بن عمر خدم النحو خدمة كبيرة بتفريعاته وبيان قواعده التى سار عليها تلميذه الخليل ومن جاء من بعده من البصريين سواء فى محاضراته وإملاءاته ومصنفاته وخطى بالنحو خطوة كبيرة مهد بها السبيل لمن بعده .

جهوده فى القراءات :

هو من أئمة القراء المشهود لهم بالثقة والضبط ومن يطالع كتب القراءات تجد كثيرا منها منسوبا اليه وسنسوق أمثلة توضح هذه الحقيقة فنقول :
قرأ بالنصب فى الآيتين الكريمتين ، الزانية والزانى ،

(١) أوضح المسالك ٤ ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

وكذلك والسارق والسارقة ، وكذلك قرأ بالنصب أيضـــا
قوله " هـن أطهرَ لكم " بالنصب ، وكل ذلك له توجيـه
نحوى سبق أن تحدثنا عنه ، ومن ينظـر الى المحتسب
بجزئيـه يجـد له قراءات كثيرة نسبت اليـه ، وانظـر
الى صـ ٨ ، ١٦ ، ٤٤٤ ، ٦٣ ، ٧٦ ، ٧٩ ، فى الجـزء
الأول وغيرهـا وفـى الجـزء الثانى صفحات ١٠ ، ١١
١٤ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٥٣ ، ٥٥ الى صـــ ٣٤٧ ،
يجـد له قراءات عديده .

وفاتـه :

توفـى عيسى بن عـمر سنة ١٤٩ هـ قبـل وفـــاة أبى عـمرو بن العلاء بخمس سنين أو ست وهـذا ما أجمعت عليـه المراجع ، ولكن لا يعلم تاريخ مولده ـ رحمه الله .

***

٦ - أبو عمرو بن العلاء

نسبه :

هو زبّان بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازنى التيمى ، واختلف فى اسمه على واحد وعشرين قولا وهو أحد القراء السبعة المشهور ، وسبب الاختلاف فى اسمه أنه كان لجلالته لا يسأل عنه ، والأصح أنه زبّان لما روى أن الفرزدق جاء معتذرا إليه من هجو بلغه عنه ، فقال أبو عمرو .

هجوت زبّان ثم جئت معتذرا
من هجو زبّان لم تهجو ولم تدع

فاعتذر إليه الفرزدق ومدحه بمقطوعه منها قوله :

ما زلت أفتح أبوابا وأغلقها
حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وقد ذكر السيوطى أسماء فقال : اسمه كنيته ، وزبان الأصح ، وجبر ، جنيد ، جزء ، حماد ، حميد ، خير ، ريان براء مهملة ، عتيبة ، عثمان ، عريان ، عقبة عمار ، عيار يعينه ، نائد ، قبيضة ، محبوب ، محمد يحيى " (١)

---

(١) البغية ٢/ ٢٣١ .

وقيل نسبه ابن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين ابن الحارث بن جلهمة بن خزاعى بن مازن بن مالك ابن عمرو بن تميم وقيل بن جلهمة بن حجر ابن خزاعى " (١).

ولد سنة ٧٠ هجرية ونشأ وعاش بالبصرة

علمه وخلقه :

تتلمذ لابن أبى اسحاق فى النحو ولم يقتصر عليه كعيسى بن عمر ، بل أقرأ الناس القرآن فى المسجد الجامع بالبصرة فهو أحد القراء السبعة بل كما قال أبو عبيدة : أعلم الناس بالقراءات وبالعربية ، وأيام العرب والشعر ، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف ثم تنسك فأحرقها وكان من أشراف العرب ووجهائها " (٢) وكان رجلا صالحا .

قال يونس : لو كان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله كله فى شىء واحد لكان ينبغى لقول أبى عمرو أن يؤخذ كله ، ولكن وليس من أحد الا وأنت آخذ من قوله وتارك .

(١) السبعة ص ٧٩ .
(٢) البغية ٢/٢٣١ .

وكان يقرىء الناس فى المسجد ، والحسن بن أبى الحسن حاضر ، وكان يسلم للعرب [1] ولا يطعن عليهما ، مدحه الفرزدق ، ووثقه يحيى بن معين وغيره ، وكان الرواية للحديث ، وهو صدوق حجة فى القراءات ، وكان نقش خاتمه ·

وإنَّ امرأً دنياه أكبرُ همِّه
بمستمسك منها بحبلِ غُرورِ

ولقد سأله الأصمعى عن نقش خاتمه فقال : كنت فى ضيعتى نصف النهار أدور فيها فسمعت قائلا يقول هذا البيت ، ونظرت فلم أر أحدا ، فكتبته على خاتمى ·

ابن أبى العلاء والشعر :

يثبت أبو الطيب أن البيت السابق له ثم قال ولا نعرف له شعرا الا هذا البيت ولكن يذكر أن الرياشى عن ابن مناذر قال : قال أبو عمرو أنا قلت :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت
من الحوادث إلا الشيب والصلّعا

(١) طبقات النحويين ص ٣٥ ·

فألحقه الناس فى شعر الأعشى (١) ، أى والحقيقة أنه لأبى عمرو بن العلاء .

وما يحكى عنه أنه قال : سمرت ليلة عند سَلْم ابن قتيبة بالبصرة ، فهجم بى السمر والنشيد على قول الفرزدق .

فان عطست قيس بن عيلان خيلُه
فلا عطست إلا بأجدع راغم
أتغضب أن أذنا قتيبة حُزَّتا
جهارا ولم تغضب لقتل ابن حازم
وما منهما الا بعثنا برأسه
إلى الشام فوق الشاحجات الرواسم

ثم فطنت فأمسكت ، فقال لى سلْم ، لا عليك يا أبا عمرو ، لست قائلها فاضرب بها وجوهنا فى ظلمة الليل " (١)

وأنشد المازنى قال أنشدنا الأصمعى عن أبى عمرو لرجل من اليمن وقد سماه غيره فقال امرؤ القيس ابن عابس :

---

(١) مراتب النحويين صـ ٣٣ و ٣٤ .
(٢) السابق صـ ٣٥ ، ٣٦ .

أيا تملك يا تَمْــــــل ذرينى وذرى عذلــــــى
ذرينى وسلاحــى ثم شـــــدِّى الكف بالعُــــزْل
ونبلــى وفقاها كعـــــرا قيب قطا طبحــــــل
وشـــوبــاى جديـدان وأرخـى شُــرْك النعــل
ومنى نظــرة خلفـــــى ومنى نظــرة قَبْلــــــى
فانما مــت يا تمّــــل فموتى حسـرة مثلـى

قال أبو عمرو ، وزادنى

وقد أســبأ للندمـــــا ن بالناقــة والرحــــــل
وقد اختلس الطعنـــة تنفى ســنن الرحــل

يقول : يخرج منها من الدم ما يمنع الرجل من الطريــق

وقد اختلس الطعنـة لا يدْمى لها نصلــــــــــى
يعنى من السرعـة والحـذق .

كجيب الدِّفْيــس الورهــــاء وهى تستَفْلِـــــــى
يعنى من ســعة الطعنــة .

ويروى عنه عــن شيخ من أهل نجـد كان أسَنَّهـم .

استقدر الله خــيرا وارْضَيَنَّ بـــــه
فبينما العسرإذْ دارت مياسير
وبينما المرء فى الأحياء مغتبـــــط
إذا هو الرمس تعْفوه الأعاصــير

يبكى عليه غريب ليس يعرفه
وذو قرابة فالحى مسرور
حتى كأن لم يكن إلا تذكره
والدهر أينما حال دهارير

فأبو عمرو راوية للشعر لا يشق له غبار ، وروى عنه العلماء وأهل الأخبار ، وصار حديثه فى الرواية على كل لسان والكتب حاملة ما رواه ، ونحن قد ذكرنا أمثلة من بحره الواسع ومحيطه الممتد .

تمكنه فى اللغة وسعة معارفه فيها :

لقد سئل عن قوله تعالى " فعزّزنا بثالث " مثقلة فقال الأصمعى شددنا ثم أنشد للمتلمس : أَجُدٌ اذا ضَمَرَتْ تعزّز لحمها
واذا تشد بنِسْعِها لا ينبس (١)

وتحدث الأصمعى قال : كنا عند الأعمش وعنده أبو عمرو ابن العلاء ، فحدث عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود " كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة ثم قال الأعمش : يتعاهدنا فقال له أبو عمرو : إنْ كان

(١) أخبار النحويين البصريين ص ٤٦ .

يتعاهدنا فيتخوننا وفى نهاية ابن الأثير : وقال أبو عمرو : الصواب " يتحولنا " بالحاء أى يطلب الحال التى ينشطون فيها للموعظة ، فيعظهم فيها و لا يكثر عليهم فيملوا ، وكان الأصمعى يرويه " يتخوننا " بالنون أى يتعهدنا " .

فقال له الأعمش : وما يدريك ؟ فقال : لن شئت يا أبا محمد أن أعلمك الساعة أنّ الله ما علمك من جميع ما تدعيه شيئا فعلت .

وقال أبو الطيب :

والأمر على ما قال أبو عمرو . يقال : تخولت الشىء أتخوله تخولا إذا تعهدته بالاصلاح وهو من قولهم : رجل خائل مال وخالُ مالٍ . إذا كان حسن القيام عليه والاصلاح له ، وقد خال المال يخوله خوْلا إذا رعاه . قال الشاعر :

أخول على أهلى وأكفى عشيرتى
أمورىَ ، والاصلاح للمال أفضل

والتخون : التعهد فى الوقت بعد الوقت ، يقال تخونه يتخونه تخونا .

قال ذو الرمة يصف ولد الظبي ، وتعهد أمه له بالرضاع.

لا ينعش الا ما تخونه
راع يناديه باسم الماء مبغوم

وينعش : يرفع ، وأراد بالداعي أمه ، واسم الماء حكاية صورتها والبغوم : الضعيف الصوت " .

ويروى يونس [1] : قال قيل لأبي عمرو بن العلاء ما الثفر ، فقال الأسف فقيل له : إنه القبل فقال : ما أقرب ما بينهما . فذهب قوم من أهل اللغة الى أن هذا غلط من أبي عمرو ، وليس كما ظنوا ، فان أبا عمرو الشيباني في نوادره قال في تفسيره قول الراجز :

قد بعثوا ثفر الحمار المنسلق
مهما أخا كل لئيم وحمق
يحمى ذمار نسوة مثل النبق
أستاهن وخصاهم تصطفق
صوت تغال القوم بالقاع الغرق

قال ثفر الحمار : دبره . وكذا قول

---

(1) مراتب النحويين ص ٤٠ .

الأخطل :

أصخ يا ابن ثغر الكلب عن آل دارم
فانك لا تستطيع تلك الروابيا

ثم يستعار لغيرها قال الشاعر وهو الأخطل

جزى الله فيها الأعورين ملامة
وعبدة ثغر الثورة المتضاجم

وقال الراجز فاستعاره لبني آدم نحو :

نحن بنو عمرة في انتساب
بنت سهيد أكرم الضباب
جاءت بنا من ثغرها المنجاب (٢)

وكان أبو عمرو يميل الى القول بشيء من الأرجاء فلقي عمرو بن عبيد فقال له : شعرت أنكم من اللكنة أتيتم ، إنَّ العرب اذا (وعدت وفت ، واذا أوعدت عفت وعدت ذلك كرما ، أما سمعت قول قائلهم (وهو عامر ابن الطفيل)

لا يرهبُ ابنُ العم والجار صولتي
ولا يختتي من سطوة المتهدد

---

(١) الديوان ص ٦٦ . (٢) ديوانه ص ٢٧٧ .
(٣) الابيات في اللسان (ثغر) .

واني اذا أوعدتــه أو وعدتــــه

لأخلف إيعادى وأنجز موعـدى

وقال له عمرو : أبا عـمرو شغلك الأعراب عـن الصواب أفيكون مخلفـا أم ما سمعت قول الآخـر :

إنّ أبا ثابت لمشـترك الخـير

شريف الآبـاء والبيـــت

لا يخلف الموعـد والوعيـد ولا

يبيـت من ثأره على فـوْت

قوله : لا تختتى " الاختتاء الانكسار من الذل ،

وهو مهموز يقال : اختتأ يختتئ فى الحى فقال الآخر :

كذبت لقد كان أبى يختات فـى الحى ، والاختيـال

التبختر قال أبـو عبيدة : فقال : اختتأت : أى انكسرت واستخدأت . قال ويترك الهمز فيقال : اختتيت .

وأنشـد :

يأيها الكاسـر نحـوى العينـا

مالك تسرى بالخنـا إلينـا

محبنطئا منتفخا علينـــا

من خلفنـا ويختتى لدينـا

وأنشد غيره :

كلب عوى بالمغيب قسورةً حتى اذا ما رآه من كثب

صال عليه فظل مختتيا
ولف خرطومه على الذنب

والاختتاء : الاستحياء يقال : اختتأت منه أى استحييت منه ومن لم يهمزه قال : احتتيت " (١)

والواقع يشهد بعلو مكانة عمرو وتمكنه فى اللغة مع إحاطة شاملة بأسرارها .

قال أبو الطيب اللغوى : ولم يوجد على أبى عمرو خطأ فى شىء من اللغة إلا فى حرف قصر عن معرفته علم من خطأه فيه وروايته " .

وأخافه الحجاج بن يوسف ، فكان يتيسر قال : فخرجت فى الغلس أريد التنقل من الوضع الذى كنت فيه إلى غيره فسمعت منشدا ينشد .

ربما تكره النفوس من الأمـ ـر له فرجة كحل العقال

وسمعت عجوزا تقول : مات الحجاج ، فما أدرى بأيهما كنت أسر ، أبقول الناشد (فرجه) بالفتح أم بقول العجوز : مات الحجاج ؟

قال أبو على : الفرجة فى الأمر (بالفتح) والفرجه

(١) مراتب النحويين ص ٣٩ ، ٤٠ .

(بالضم) فى الحائط وغيره [1] .

وأبو عمرو رجـل لغوى متمكن من اللغة ، لا يسكت عـن خطأ يسـمعه ، ولذلك لما سـمع رجـلا ينشد :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمـره

ومن يغو لا يعدم على الغى لائمـا

فقال له : أقَوِّمك أم أتركك تتسـكع فى طَمَّتك ؟ فقـال بل قَوِّمْنى فقال : قل : ومن يغـو (بكسر الواو ، ألا ترى الى قول الله عز وجـل (فغوى) [2]

ويقـول : معللا قول النبى صلى الله عليه وسلم " فى الجنـين غـرة عبد أو أمـة) لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أراد بالغـرة معنى لقال : فى الجنين عبد أو أمـة) ولكنه عنى البياض لا يقـبل فى الديـة إلاّ غـلام أبيض أو جاريـة بيضـاء " [3] وهذا يدل على دقـة فهمه ، ومعرفـة أسـرار الأسلوب العربى .

ومما يدل أيضـا على قدرتـه فى اللغة روايـة الأصمعـى

---

(١) طبقات النحويين ص ٣٥ .
(٢) طـه ٢٠ .
(٣) طبقات النحويين ص ٣٦ .

الذى يقول فيهـا : سألت الخليل عن قول الراجـز .

حتى تحاجزن عـن الـــزواد

تحاجز الرىّ ولم تكـــادى

لما قال (تكادى) ولم يقـل (لم تكـد) . قــال فطحـن يوما أجمع قال : وسألت أبا عـمرو بن العلاء ، وكأنما كـان على طـرف لسانه فقال : ولم تكادى أيتها الآبل (١)

ويذكـر أن ما شرحه فى النحو والعربية ليس شامـلا لكـلام العرب كلـه ، وإنما يسـير على الأكثر فقط ، ويسمى الباقـى المخالف لغـات ، وهذا شـىء مهـم أشار اليه فى ((عربيـة القبائل)) ، ويوجـد ما خالفـه فيحكـم عليه بأنه لـغـات عن العرب ، وهى صحيحـة ولا يصح أن يحكم عليها بالخـطأ ، ولذلـك يقول ابـن نوفل سمعـت أبى يقـول : لابن عمرو ابن العلاء : أخـبرنى بما وضعت كما سميته عربيـة ، يدخل فيها كلام العرب كلـه ؟ فقال لا . فقلت كيف تصنع فيمـا خالفتـك فيـه العرب وهـم حجـة ، قال أعمل على الأكثـر وأسـمى ما خالفنى لغـات " وأبو عمرو رجل أمين ثقـة لا يلحـن فى حديثه ، ولا يجـيب عن شـىء إلا إذا كـان واثقا فى كلامـه ، لأنـه يقول علما يعتمـد على الضبـط

(١) طبقات النحويين ص ٣٦ .

والنقل الأمين ، ولذلك لما سئل عن اشتقاق الخيل ، لم يجب ، لأنه لا يعرف ، فمر أعرابى مُحْرِم ، فأراد السائل سؤال الأعرابى ، فقال له أبو عمر : دَعنى فأنا ألطف بسؤاله وأعرف. فسأله فقال الأعرابى . اشتقاق الاسم من فعل المسمى ، فلم يعرف من حضر ما أراد الاعرابى فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال : ذهب الى الخيلاء التى فى الخيل والعجب ، ألا تراها تمشى العرضة خيلاء وتكبرا " (١).

يقول الجاحظ عنه : كان أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب ، وأيام الناس " (٢) وله نظراته النحوية والتصريفية التى تجعله من أوائل النحويين يقول ابن جنى عنه : كان ممن نظروا فى النحو والتصريف وتدرسوا وقاسوا " ويظهر أن هذا الجانب لم يكن شغله الأكبر فلم يرد سيبويه عنه رأيا ولا عن تلاميذه ، وكل ما روى عنه بعض شواهد لغوية عن تلميذه يونس بن حبيب وكأنه لم يلقه ، ولم يجلس اليه ، والحكاية المروية عن أبى نوفل تدل أنه كان يأخذ بالاطراد فى القواعد ، ويستعمل

---

(١) طبقات النحويين ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) ٧٣/٣ المدارس النحوية ص ٢٨ .

القياس ويحكم على ما خالف الكثرة بأنه لغات .

وتُروى له كتب النحاة بعض آراء نحوية قليلة مثل قوله بأن ألف التثنية حرف إعراب وقد اعتمد هذا الرأى سيبويه ، وذكر ذلك ابن جنى فى الخصائص (١) ، وأيَّد هذا الرأى وأنه كان يرى أن المنصوب فى قولهم : حبذا محمدٌ رجلاً ، حال لا تمييز ، وكان يذهب إلى أن بنى تميم تهمل ليس مع إلّا حملاً على (ما) كقولهم : ليس الطيب إلا المسك بالرفع ، وكان يترك صرف (سبأ) فى قوله تعالى : (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) وذلك بتأويله بأنه علم للقبيلة (٢) ، وكل ما روى عنه يجعله لغويا وراويا ثقة من رواة الشعر القديم ، وقارئا من المشهورين ، الثقاة المقرئين ، ولكن نحوه قليل ، ويروى عنه الأصمعى قوله لقد علمت من النحو ما لم يعلمه الأعشى وما لو كتب لما استطاع أن يحمله ، ويقول أيضا : سألت أبا عمرو بن العلاء عن ألف مسألة فأجابنى فيها بألف حجة ، وأنه جلس اليه عشر حجج فلم يسمعه يحتج ببيت إسلامى أى كله جاهلى (٣) ، ويظهر أن قلة نحوه تعود الى أنه

---

(١) ٣/٧٣ وأنظر المدارس النحوية ص ٧٣ .
(٢) انظر المغنى ص ٥١٥ والهمع ١/١١٥ .
(٣) انباه الرواة جـ ٤ ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

أحرق ما ألفه كله لما تعبّد ، فلما رجع الى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بعلمه ، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية ، والواقع أن أبا عمرو كان حجة فى علمه ، موضوعى فى معارفه ، ضبط أمين ثقة شهد له الجميع بذلك

مناقشاته وصفاته وأسرته :

لقد عرف ابن العلاء بصفات فاضلة تشهد له بالفضل والكرم وحسن النظر فى الأمور وله مناقشاته مع العلماء نذكر من ذلك أمثلة توضح ما سبق فنقول :

هو من أسرة كريمة تحب العلم وتشتهر به فله أخوة يطلبون العلم مثله ويَجِدّون فى تحصيله مثل أخيه أبى سفيان ابن العلاء واسمه كنيته ، ولا اسم له غيره وكان يعرف الأنساب ، ويجيد ذلك ، وأخوه معاذ وقد تحدث عنه ابن معين وأبو عمرو من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم فهو أصيل فى العروبة نسبا قال محمد بن سلام : مر أبو عمرو بن العلاء بمجلس قوم فقال رجل من القوم : ليت شعرى فمن هذا ؟ أعربى اليوم أم مولى ؟ وهو على بغلة له فقال : النسب فى مازن والولاء فى العنبر وقال عدس للبغلة ومضى .

وقال يحيى بن معين : معاذ بن العلاء أخو عمرو ، ولهم أخ آخر يقال له أبو سفيان ابن العلاء ، ثقة ، وهم من خزاعى بن تميم ، وقدما إلى الكوفة ، وأخذ الناس عنهما وكان لهما بنون " (١)

وقال العريان بن أبى سفيان بن العلاء : كنت عند عمى أبى عمرو (٢) وأتاه أكّار له ، فأخبره عن أرض بما كره فقال : ما أبالى أكثرت

قرعتْ مروتى الحوادثُ حتى
ما أبالى أكثرَتْ أم قلَّت

ولابى العلاء أولاد منهم ولد يقال له بشر قال بشر لما حضرت والدى الوفاة جزعت فقال : يا بنى لا تجزع فإنك لم تمتْ أباك إنما أفنيته .

وهو رجل نبيل مشاعره الانسانية رقيقة فقد سأله رجلٌ حاجة فوعده بها ثم إن الحاجة تعذرت على أبى عمرو فلقيه الرجل بعد ذلك فقال له : يا أبا عمرو وعدتنى وعدا فلم تنجزه فقال له أبو عمرو . فمن أولى بالغم ؟ أنا أو أنت ؟ قال الرجل : أنا قال أبو عمرو لا بل أنا والله قال : وكيف ذلك أصلحك الله . قال : لأنى وعدتك

(١ ، ٢) انباه الرواه ، جـ ٤ ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

وعدا ، فأنت بفرح الوعد ، وأنا بهم الانجاز ، وبت ليلتك فرحا مسرورا ، وبت ليلتي مفتكرا مهموما ، ثم عاق القدر عن بلوغ الارادة ، فلقيتني مذلا ، ولقيتك محتشما " .

وهذا تعليل يمتاز بالرقة والخلق الحسن ، وأنه يقدر مشاعر الناس (١) .

كما عرف عنه عزة النفس وعدم الخضوع لأحد من ذوى السلطان ، فكان يظهر بغضه لما لا يعجبه مهما كانت النتيجة ، ولذلك لما دخل على سليمان بن على فسأله عن شيء فصدقه فلم يعجبه ما قال ، فوجد أبو عمرو في نفسه وخرج وهو يقول

أنفت من الذل عند الملوك
وإنْ أكرموني وان قربّوا
إذا ما صدقتهم خفتهُم
ويرضون مني بأن يكذبوا

وله ولع بحب كل شيء جميل ، وحب التصدق على الفقراء من ذلك ما حكاه الأصمعي ، كان أبو عمرو بن العلاء

---

(١) أنباه الرواة جـ ٤ ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

يَغُلُّ من دار له في كل يوم فلسين وكان يشترى بفلس في كل يوم كوزا يشرب فيه يومه ، فإذا أمسى تصدق به ، ويشترى بفلس ريحانا فيشمه يومه ، فاذا أمسى أمر الجارية أن تجففه ، ويُدَقَّ في الأسنان .

وكان لا يسكت على خطأ في نظره ، وخاصة فيما كان من أمر اللغة فقد روى أن أبا عمرو بن العلاء سأل أبا حنيفة النعمان (١) بن ثابت عن رجل ضرب رأس آخر بصخرة عظيمة ، لا ينجو منها من ضرب بها فقال : لا قَوَدَ عليه ولو ضرب رأسه بأبا قبيس فقال له أبو عمرو : هذا كلام بشع فقال أبو حنيفة — وما بشع ؟ فقال أبو عمرو : ولا تعرف البشع أيضا ؟ .

وبذلك ترى أن ابن العلاء قد حكم على النطق بالخطأ اتباعا على قياسه الذى أوقفه على اللغة المشهورة وهذا يعتبر امتداد لآراء أستاذه عبد الله بن أبى اسحاق ، ومعارضة الشعراء وأهل اللغة . ولذلك ترى القفطى يرد قوله فيقول : وهذا ليس يقدح في الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فإن الفرقة النازلة بالكون من العرب كانوا

---

(١) انباه الرواه جـ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

لا يظهرون الاعراب فى تثنية مثل هذا ومنه قول الشاعر :

إنّ أباها وأبا أباها
قد بلغا فى المجد غايتاها

فالامام أبو حنيفة يسير على طريقة من يلزم الاسماء الستة الألف دائما فى كل أحوالها وليس هذا بمعيب ولا خطأ .

وأما قوله " بشع " فيرد عليه القفطى (١) بقوله : فليست باللغة المستعملة الشائعة فى ذلك الوقت ، ولا مما سار على ألسن أهل المدر نقلا عن أهل الوبر وإن نقلها أبو عمرو بن العلاء عن أعراب المربد ، فما نقلها أبو حنيفة عن قاطنى الكوفة ، واذا أردت أن تعرف قلبها وشذوذها ، فتتبعها فى منظوم الشعراء من أهل البادية ، ومنثور البلغاء منهم فلا تجدها سارية سائرة بل هى كلامهم كالحوشى الوحشى ، ثم إذا قطعتها بآلة ذوق الألفاظ ، وجدتها غير جلية الجرس ، واذا وزنتها بميزان الألفاظ ألفيتها غير خفيفة على النفس .

وهكذا يضع القفطى نفسه ناقدا أدبيا والقضية مردها الى الصحة والخطأ ، ولا شك أننا لو نظرنا إلى معجمات اللغة لوجدنا أن الكلمة سليمة دقيقة ، ولكن لا تناسب

(١) أنباه الرواه جـ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

الواقع من الحكم بالخطأ والبشاعة على لغة نطقها العرب ولكن عمرو (١) يأباها ويحكم عليها بذلك. قال صاحب المصباح " بَشِع الشيء بشعا من باب تعب، وبشاعة إذا ساء خلقه، وعشرته، ورجل بشع إذا تغيرت ريح فمه، وهو بَشِع المنظر أي دميم، وبشع الوجه عابس، واستبشعته عددته بشعا، وطعام بشع فيه كراهة ومرارة (١) فالمادة موجودة ولا عبرة بإنكار الادغام لها ولكن الخطأ في وصف قوله بابا قيس " بذلك.

وتكلم أبو عمرو في قوله تعالى: ((ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم) (٢).

قال كيف خرج القول من الفريقين بلفظ واحد، وهو وعد فقال لأن العرب تقول: وعدته خيرا ووعدته شرا فلو أسقطوا الخير والشر قيل في الخير وعدت، وفي الشر أوعدت، لأن الوعد غير الوعيد، والعرب لا تعد خلف الوعيد عارا ولا خُلْفا، والله عز وجل إذا وعد وفى

---

(١) ص ٦٨ الباء مع السين وما يثلثهما.
(٢) الأعراف آية ٤٤.

وان أوعد ثم لم يفعل كان ذلك كرما وتفضلا ، وانما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله ، وتجد هذا فى كلام العرب قال الشاعر :

وإنى وإنْ أوعدته أو وعدته
لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

وعلى ذلك نرى أن الرجل عالم واسع العلم فى العربية إمام الناس فى عصره متبعا ما جاء عن الائمة غير مخالف لهم ، وله أخوة وأبناء ساروا على طريقه .

جهده فى القراءات :

أبو عمرو إمام القراء فى البصرة ، وأحد السبعة الذين ميزهم ابن مجاهد بأنه هو وابن عامر عربيان والباقون من الموالى ، وليس فى القراء السبعة أكثر شيوخا منه .

قال أبو بكر : " وكان مقدما فى عصره ، عالما بالقراءة ووجوهها ، قدوة فى العلم باللغة إمام الناس فى العربية وكان مع علمه باللغة وفهمه بالعربية متمسكا بالآثار لا يكاد يخالف فى اختياره ما جاء عن الأئمة قبله ، متواضعا فى علمه ، قرأ على أهل الحجاز ، وسلك فى القراءة

طريقهم ، ولم تزل العلماء فى زمانه تعرف له تقدمه وتقوله بفضله ، وتأتم فى القراءة بمذاهبه (١) " لقد اشتغل بهذا العلم النفيس وهو صغير ، ومازال محصلا له ، مشهورا به حتى توفى وهو ابن ست وثمانين ويقول عن نفسه نظرت فى هذا العلم قبل أن أختتن ، وهو يومئذ قد نيّف على الثمانين وكان حسن الاختيار ، سهل القراءة غير متكلف ، يؤثر التخفيف ما وجد اليه السبيل ، وكان فى عصره بالبصرة (٢) جماعة من أهل العلم بالقراءة لم يبلغوه منهم عبد الله بن أبى اسحاق ، وعاصم بن أبى الصباح الجحدرى ، وعيسى بن عمر الثقفى النحوى وكان هؤلاء أهل فصاحة أيضا ولم يحفظ عنهم فى القراءة ما حفظ عن أبى عمرو ، والى قراءته صار أهل البصرة أو أكثرهم " . (١)

وكان ثقة أمينا ضابطا يقول ابن عيينة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله قد اختلفت على القراءات فبقراءة من تأمرنى أن أقرأ ؟ قال : اقرأ بقراءة أبى عمرو بن العلاء ، ولقد ذكر شجاع ابن أبى نصر قال لقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى

(١) السبعة لابن مجاهد ص ٨١ .
(٢) السبعة ص ٨٤ .
(٣) البقرة آية ١٢٨ .

المنام فعرضت عليه أشياء من قراءة أبى عمرو فما رَدَّ علىّ إلاّ حرفين وهما (وأَرِنا مناسكنا) وقوله تعالى (أو ننسأها) مهموزه " (١) .

وتحدث نصر بن على فقال : قال لى أبىّ (٢) : قال لى شعبة : انظر ما يقرأ به أبو عمرو مما يختار لنفسه فاكتبه فإنه سيصير للناس أستاذًا ، وقال الأصمعى سمعت أبا عمرو يقول : لولا أنه ليس لى أن أقرأ الا بما قرئ به لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا وقراءاته مشهورة نضرب بعض أمثلة لها مثل فقد قرأ (خطْوات) ساكنة خفيفة وقرأ بضم الواو فى قوله : أوُاخرجوا " واللام والواو من قوله قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن " والواو من (أو انقض) (المزمّل) وقرأ أيضا بضم التاء وقالتُ أخرج) .

كما قرأ بضم الغين فى الغيوب والباء فى (البيوت) والعين من (العيون) والجيم من (الجيوب) والشين من (الشيوخ) فى الجموع فيما سبق .

كما قرأ فى قوله : " فلا رفثٌ ولا فسوقٌ " بالضم والتنوين

---

(١) البقرة ١٠٦ .
(٢) السبعة ص ٨١ ، ٨٢ .
(٣) السبعة ص ٨٢ .

حيث أعمل لا عمل ليس .

كما قرأ بالرفع فى قوله : (إلا أن تكون تجارةٌ عن تراض منكم) بجعلها اسم تكون .

كما قرأ فى معايش (معائش) بالهمزة مع أنها مد أصلى وقد أجاز ذلك مجمع اللغة العربية بقياس المد الأصلى على المد الزائد .

كما قرأ فى قوله (ومن نعمّره ننكّسه) نَنْكُسه بفتح النون الاولى وتسكين الثانية ، وضم الكاف خفيفة من باب نكس ينكس نحو حصد يحصد .

كما قرأ " أو من وراء جدار " فى جُدُر ، وفتح الياء فى إنىَ أخاف " لأن ياء المتكلم يجوز تسكينها وفتحها عن العرب ، وقرأ بالتشديد فى قوله : "فسوّاك فعدّلك " قصدا للمبالغة ، كما قرأ فى قوله " كُفُواً أحد " كُفُؤًا (١) متقلا غير مهموز وغير ذلك كثير وكلها قراءات تشذ عن المشهور الوارد فى القواعد النحوية .

أساتذته :

قرأ أبو عمرو على أساتذة أجلاء وهم مجاهد ، وسعيد ابن جبير ، ويحيى بن يعمر وابن كثير ، وحمد بن قيس ،

---

(١) انظر كتاب السبعة .

وقد قرأ مجاهد على ابن عباس رضى الله عنهما وقرأ ابن عباس على أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه ، وقرأ أبىّ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال أبو عمرو لقد سمع سعيد بن جبير قراءتى فقال : الزم قراءتك هذه ، ويقول أيضا : أخذنا عن الأشياخ نصر ابن عاصم وأصحابه عن أهل الحجاز ، وقراءته من القراءات السبع ، وتجدها مثبوته فى كتب القراءات المختلفة "(١)

تلامذته :

روى عنه القراءة على بن نصر ، وحماد بن يزيد ، وعبد الوارث بن سعيد وهرون بن موس الأعور العتكى وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى ، ويونس بن حبيب وعبيد بن عقيل ، ويحيى بن المبارك اليزيدى ، وعبد الملك بن قريب الأصمعى ، وشجاع بن أبى نصر أبو نعيم الخراسانى ، ومعاذ بن معاذ العنبرى وسهل بن يوسف ، ويوسف بن على الجعفى وخارجه ابن مصعب وداود بن يزيد الأزدى ، ومحبوب بن الحسن وعبد الرحيم بن موسى ، وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف

---

(١) انظر كالسبعة ص ٨٤ .

وأحمد بن موسى اللؤلؤى والعباس بن الفضل الأنصارى قاضى الموصل .

وقد روى غير هؤلاء حروفا ليست على كثرة ما روى هؤلاء " (١).

وفاته :

توفى رحمه الله سنة تسع وخمسين ومائه فى الكوفة ، وحدث وكيع بن الجراح قال قرأت بالكوفة على يد أبى عمرو بن العلاء هذا قد أتى عمرو بن العلاء مولى بنى حنيفة والحقيقة أنه عربى صريح من تميم فليس مولى لبنى حنيفة (٢) ولم يترك أثر مكتوبا وقيل مات سنة أربع وخمسين ومائه عندما كان عائدا من دمشق .

---

(١) السبعة ص ٤، ٨٥ .
(٢) أنباه الرواه جـ ٤ ص ١٣٦ .
(٣) قصة الوعاء ٢/٢٣٢ .

٤ - يونس بن حبيب

نسبه :

هو يونس بن حبيب ، الضبي الولاء البصري ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وكان من أهل جَبُّل ، وهي بلدة بالعراق بين النعمانية وواسط ، ولد سنة ٩٤ وقيل سنة ٩٠ هـ ومتعه الله بعمر طويل قضاه في العلم حتى صار شيخا كبيرا حتى دخل المسجد في البصرة ، وهو يهادى بين اثنين من الكبر فقال له رجل كأنيتهم على مودته بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمن قال : هو الذي ترى ، فلا بلغته (١) . وقال المبرد انه مولى لبني الليث .

علمه ومكانته :

لقد اختلف الى حلقات عيسى بن عمر ولازم أبا عمرو بن العلاء ، ويقول عن نفسه : أول من تعلمت منه النحو حماد بن سلمة ، ويقول أبو عبيدة عنه : لم يكن عند يونس علم إلا ما رآه بعينه . ويقول ابن الخطاب مثل يونس كمثل كوز ضيق الرأس لا يدخله شيء إلا بعسر فاذا أدخله لم يخرج منه يريد أنه لا ينسى ، ويروى عن أبي

(١) انباه الرواه ٤/ ٧٤ وطبقات النحويين ص ٥١ وبغية الوعاة ٢/ ٣٦٥ والمدارس النحوية ص ٢٨ ، ومراتب النحويين ص ٤٤ .

زيد النحوى : ما رأيت أبذل لعلمه من يونس ، فالرجل خلص لرسالة العلم ، وتفرغ لها ، ورحل إلى البادية وسمع عن العرب كثيرا ، ما جعله راوية كبيرا من رواة اللغة والغريب ، حتى صنف كتابا باللغات يظهر فيه براعته وقدرته ..

لقد روى عن سيبويه فأكثر ، وله قياس فى النحو ومذاهب تفرد بها كما سمع منه الكسائى والفراء ، وكانت حلقته بالبصرة ينتابها أهل العلم ، وطلاب الأدب وفصحاء الأعراب ، وكان منهله عذبا يكثر رواده تحصيلا وفائدة ، ويغترفون من علمه الغزير يقول أبو عبيدة : اختلفت الى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحى من حفظه ، وذلك كما يقول فى البغية : لقد قارب يونس تسعين سنة ، ولم يتزوج ولم يتسرَّ " أى لم تشغله مشاغل الحياة فكان نتاجه جيدا ، وعطاؤه كبيرا .

خلقه وأمانته :

امتاز يونس بالخلق النبيل والغيرة الكبيرة على العلم ونصر الحق مع حسن أدب ، وسعة خلق فلا يقبل الاحراج لأحد ، وانما يحافظ على كرامة الحاضرين لمجلسه فيروى السيرافى (١) : أن مروان بن سعيد سأل الكسائى بحضرة

(١) ص ٥١ .

يونس " أى شىء يشبه " أىّ من الكلام فقال : ماء من . فقال له : فكيف تقول : لأضربنّ من فى الدار ؟ قال : لأضربنّ من فى الدار قال فكيف تقول : لأركبن ما تركب ؟ قال فكيف تقول . قال : لأركبن ما تركب قال فكيف تقول ضربت من فى الدار ؟ قال قال ضربت من فى الدار قال : فكيف تقول : ركبت ما ركبت . قال : ركبت ما ركبت قال فكيف تقول : لأضربن أيهم فى الدار ؟ قال : ضربت لمن فى الدار . قال : فكيف تقول : لأضربن أيهم فى الدار . قال لأضربن أيهم فى الدار . قال : فكيف تقول ضربت أيهم فى الدار . ؟ قال لا يجوز ذلك قال : لم ؟ قال : (أىّ) كذا خلقت . فغضب يونس وقال : تؤذون جليسنا ، ومؤدب ولد أمير المؤمنين

وهذه قضية معلوم فيها أن الكسائى لا يجوز وقوع أىّ الموصولة بعد الماضى . وهى منصوبة بالفعل قبلها سواء حذف العائد من الصلة أم لم يحذف فيقولون : لأضربن أيهم فى الدار ، ولا يجوز عندهم التعبير بالماضى قبلها فلا تقول : ضربت أيهم فى الدار ، فهم يفرقون بين الواقع والمستقبل فيجيزون ذلك مع المضارع ويمنعونه من الماضى وينصبون " أيّا " إذا وقع عليها فعل ، ويروى أبو عبيدة (١)

(١) انظر ابن يعيش ج ٣ ص ١٤٥ ، ٤٦ ، ١٠٠

عن يونس قال : كنت عند أبى عمرو بن العلاء ، فجاء شبيل بن عزرة الضبعى فقام اليه أبو عمرو فألقى له لبد بغلته فجلس عليه ثم أقبل عليه يحدثه فقال شبيل يا أبا عمرو سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه – يعنى رؤبة – فلم أملك نفسى عند ذكره ، فرجعت اليه ثم قلت له : لعلك تظن أن معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه أفتعرف أنت ما الروبة ، والروبة ، والروبة ، والروبة ، والرؤبة ، فأنا غلام رؤبة ، فلم يحر جوابا وقام منتصبا فأقبل على أبو عمرو ، وقال : هذا رجل شريف يقصد مجالسنا ويقضى حقوقنا وقد أسأت فيما فعلت مما واجهته به ، فقلت له : لم أملك نفسى عند ذكر رؤبة فقال أبو عمرو : أو سلطت على تقويم الناس ؟ ثم فسر لنا يونس فقال : الروبة خميرة اللبن ، والروبة قطعة من الليل ، وفلان لا يقوم بروبة أهله أى بما أسندوا اليه من أمورهم ، والروبة جمام مد الفحل ، والرؤبة (مهموز) القطعة التى يشعب بها الاناء[1] وبذلك نجد ، قد اعترف بالحق فى انه تعجل من أمره ، وانه أخطأ فى ذلك ، والاعتراف بالخطأ أمر يحمد لصاحبه .

---

(١) طبقات النحويين ص ٥٢ .

وقال ابن سلام قلت ليونس : تجيز إياك زيداً فقال : قد أجاز ابن أبى اسحاق للفضل بن عبد الرحمن فى قوله

إياك إياك المراء فإنه
إلى الشر دعاء وللشر جالب

وقال أبو عبيدة : كنت فى حلقة يونس فجاء أعرابى فوقف علينا فقال من ينصرنى نصرة الله . فقال يونس : أنتكم والله من قرب ، من يرزقنى رزقة الله قال الله عز وجل : " من كان يظن أن لن ينصره الله)

ولما مات سيبويه قيل ليونس : إن سيبويه ألف كتاباً من ألف ورقة فى علم الخليل فقال يونس : ومتى سمع سيبويه من الخليل هذا كله ، جيئونى بكتابه فلما نظر فى كتابه ورأى ما حكى قال : يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه ، كما صدق فيما حكى عنى .

وبذلك حكم على قضيته بأمانة ودقة ، وأصبحت شهادته حقا للأجيال فالرجل عالم متمكن عاش للعلم ، ورفع شأنه وأعلى قدره . قال ثعلب : جاوز يونس المائة وقد تفرغ من الكبروبات فى سنة ثلاث وثمانين ومائة ومن حفظ اسحاق بن ابراهيم الموصلى : عاش يونس ثمانياً وثمانين سنة

لم يتزوج ولم يتسرّ ، ولم تكن له همة إلا طلب العلم ومحادثة الرجال " .

وبذلك نرى أمانته وخلقه وعلمه ونبله .

مناقشاته :

جرت مناقشات كثيرة مع يونس ، وكانت إجابته رقيقة تشهد له بالعلم والفضل ، وسرعة البديهة والاحاطة بقضايا اللغة ، كما نعترف له بالامانة فى ما يرويه وسأسوق لك أمثلة توضح هذه الأمور فأقول :

قال الأصمعى : كان أصل يونس من جَبُّل ، فلقيه ولد أبى عمير ، فقال يا أبا عبد الرحمن ما تقول فى جَبُّل أينصرف ، فأفترى عليه ، والتفت العميرى فلم يجد أحدا يشهد عليه فتركه حتى إذا كان من الغد وجلس يونس للناس ، أتاه العميرى فقال يا أبا عبد الرحمن ما تقول فى جَبُّل أينصرف قال يونس : الجواب ما قلته لك أمس . وهى قصة تنبىء عن ثقة الرجل واعتزازه بنفسه لأنه رأى فى الرجل حبا للسخرية به فأبت نفسه عليه وردّه ردا شديدا حتى يعود الى الاحترام الواجب للعلماء وقد كان .

وقال القفطى : وكان يونس بارعا فى النحـو ، وقد سـمع من العرب كما سـمع من قبلـه ، وروى عنـه سيبويـه وأكثـر ، ولـه قياس فى النحو ومذاهب ىتفـرد بها ، وقد سـمع منه الكسائى والفراء وكـان من الطبقـة الخامسـة من اللغويين

وقال أبو زيـد النحوى : جلست الى يونس بـن حبيب عشـر سـنين ، وجلس إليـه قبلى خلف الأحـمر عشرين سـنة ،
وقال يونس : قال رؤبـة بن العجاج . حتـام تسألنى عـن هـذه البواطـل وأزخرفها لك ! أما ترى الشيب قـد بلغ فى لحيـتك " (١).

ويروى محمد بن سـلام قصـة تدل على فصاحـة يونـس وحسـن تأتيـه للأمور وإصابتـه الموفقـه فمـع العلم دماثـة الخلـق قال . قدم الكسائى البصـرة على الرشـيد ،فجلس إلى يونس فى حلقتـه ، فألقى عليـه بعض من حضـر فى المجلـس بيت الفرزدق :

غداةَ أحلّتْ لابن أصرمَ طعنـةً
حُصَيْنٍ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ (٢) »

---

(١) أنباه الرواة ، ج ٤ ص ٧٦ ، ٧٧ .
(٢) فى ديوانـه ص ٣١٧ والعبيط اللحم الطرى والسدائف : هو شحْمُ السـنام وغيره مما غلب عليه السن .

وأنشده هكذا فقيل للكسائى - على أى شىء رفعت الخمر ؟ فقال أضمرت فعلا كأنه : وحلت له الخمر فقال يونس : ما أحسن والله ما وجهته . غير أنى سمعت الفرزدق ينشد :

غداة أحلت لابن أصرم ضربة
حصين عبيطات السدائف والخمرْ

جعل الفاعل مفعولا كما قال الحطيئة :

فلما خشيت الهون والعير ممسك
على رغمه ما أمسك الحبل حافره (١)

والقصيدة على الرفع ، جعل الفاعل مفعولا ، فقال الكسائى . هذا على هذا وجه .

وهذا ما يظهر لنا حسن فهمه لسر الحركة الاعرابية ومراد المتكلم من كلامه ، والأسلوب فى خدمته يوجهه حسب ما يريد طالما لم يناقض المعنى ، ولم يفسد مقصود الكلام ، فشكر للكسائى تقديره للعامل أى وحلّت له الخمر " .

وأقره الكسائى على فهمه ، وقال: إن هذا وجه يبيحه الكلام ولا يمنعه ولا غرو فى ذلك فيونس قد جاوز المائة ، وكان

(١) فى ديوانه ١٠ .

قد بلغ فى العلم شأواً بعيداً من طول الممارسة .

ومما يدل على سعة معارفه اللغوية قوله : تقول العرب طَسٌّ وطست فمن قال : طس قال : طساس ، ومن قال طست قال : طسات ، وقال : انما سميت اللمة لمة لأنها ألمت بالأذنين ، وقال عندما سأله بكار بن محمد بقوله : ما العجيز من الرجال فقال : لا أعرفه . قال: فى المليخ ، قال : أمَّا إذَنْ جئت بالمليخ فالعجيز الذى لا يأتى النساء ، والمليخ الذى لا يولد له " (١)

والرجل لا يتدخل فى قضايا لا يحسن معرفتها ولا الحديث عنها فيعتذر فى أدب قال ابن سلام : وتذاكرنا القدر مرة فى مجلس يونس فقالوا : ما تقول يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : لا فكر لى منه " وهذا يدل على أمانته واحترامه لنفسه وعلمه كما يعرف عنه الفصاحة والقدرة على التعبير عن المقصود بصورة واضحة ، يروى عنه ابن سلام أيضا فيقول : كان يونس يزورنى فأطلب له النبيذ الحلو فيتهافت فيه الذباب ، فيشرب منه القدح ثم يقول :

---

(١) طبقات النحويين البصريين ص ٥٣ .

قاتله الله ! انه ليشحنهنّ شحنا ، وربما أتى بالنبيذ الحاذر (الحامض الشديد) فيشرب منه قدحا ثم يقول : قاتله الله إنّه ليقصعهنّ قصعا . ثم يقول : إنه كان يشرب المطبوخ " (١).

والرجل صاحب فكر ناضج واسع ، يريد الوقوف على معرفة كل شيء في دقة ويقين فإذا لم يجد المسئول عنه أمامه تمنى أن يسأله ويناظره يوم القيامة عن هذه الأمور التي تشغله وتؤرقه ، ويريد معرفة الحقيقة بها ، فكأن الدنيا لا تكفيه ، ولا ترد بغيته ، فيطيل نظره إلى الاجتماع بأصحاب الأسئلة يوم القيامة .

يروى السيرافي فيقول : ذكر عمر بن شبه عن خلاد بن يزيد عن يونس النحوي قال : " ثلاثة والله – أشتهي أن أمكن من مناظرتهم يوم القيامة – آدم – عليه السلام فأقول له قد مكنك الله من الجنة ، وحرم عليك شجرة فقصدت لها حتى ألقيتنا في هذا المكروه ! ويوسف – عليه السلام – أقول له : كنت بمصر وأبوك عليه السلام – بكنعان بينك وبينه عشر مراحل – يبكي عليك حتى ابيضت عيناه ولم لم ترسل اليه أني في عافيه ، وتريحه مما كان فيه من الحزن ؟ وطلحة والزبير أقول لهما : علي بن أبي طالب

---

(١) طبقات النحويين البصريين ص ٥٣ .
(٢) ص ٥٤ أخبار النحويين .

رضى الله عنه - بايعتماه بالمدينة ، وخلفتماه بالعراق لم ؟ أى شئ أحدث ؟

وأنا لست مع يونس فى السؤال الأول والثانى فان آدم عليه السلام قال الله عنه (إنى جاعل فى الأرض خليفة " فخلقه للأرض وجعله فى الجنة فترة تدريب ليعرف الحلال والمنهى عنه فنفذ أمر الله ، ووقع فى الخطأ وتاب وعفا الله عنه ، وأهبطه الأرض ، لأنه مخلوق لها هو وذريته فلا يصح أن يوجه اليه لوم فى ذلك ، ويوسف رسول الله ونبيه وأبوه يعقوب كذلك ولا يفعل شيئا الا بأمر الله ، وطالما يأمره ربه بذلك فلا يصح أن يخرج عن الأمر الى أن أتت الفرصة ، وحل الوقت المناسب فبلغ البشير فارتد بصيرا بأمر الله .

وأما الثالث فأنا معه ولا ألوم صحابيا جليل القدر ، وانما كل واحد تأول واجتهد وعلينا أن نتجنب الحكم على الصحابة فهم عدول ثقات .

ويونس ثقة فيما يرويه فقد روى عنه (غَطى) بتخفيف الطاء والمشهور التشديد ، وروايته يعمل بها ولا ترد قال الفراء حدثنا يونس النحوى :

رب حلم أضاعه عدم المال وجهلٍ غطَى عليه النعيم

بتخفيف (غَطَى) (١) قال السهيلى : غطى - بتخفيف الطاء - أنشده يونس ابن حبيب ، وغطى معناه (ارتفع وعلا) (٢).

ويونس يروى عنه الأصمعى قول رؤبة : أما ترى الشيب قد بلغ فى لحيتك ؟ قال أبو سعيد : هذا صحف فيه ابن الأعرابى فقال : بلّع بالعين . وهو أحد ما أخذ عليه .

قال أبو سعيد : بلع منه الشيب إذا وقع فيه الشيب .

كما يروى عن يونس ، وإسناده قوى - يقول : كنا على باب ابن عمير فمرت بنا امرأة يدفع بعضها بعضا كأنها خلفة أى حامل من النوق ، فما لبثنا أن أقبل فتى من قريش عليه قميص قُوهِى (٣) ورداء ، فلما رآنا ارتدع فقلنا : ها هنا طلبتك ؟ فتبعها وقال :

اذا سلكت قصد السبيل سلكته
وإن هى عاجت عجت حيث تعوج

(١) أخبار النحويين ص ٥٢ .
(٢) الروض الأنف ٢/١٦١ .
(٣) قوهي منسوب الى قوهستان وهى بنواحى هراة .

وبهذا الاسناد قال يونس : يقول العرب : الآل : من غدوة الى ارتفاع الضحى الأعلى ثم هو سراب سائر اليوم واذا زالت الشمس فهو فيء . وغدوة ظل . وأنشد لأبي ذؤيب (١) :

لعمري لأنت البيت أكرم أهله
وأقعد في أفيائه بالأصائل

وكان كفنا ، كفنا الليلة ، يقولون ذلك الى ارتفاع الضحى ، واذا جاوز ذلك قالوا : كان البارحة .

وبهذا الاسناد قال عبد الملك بن عبد الله منشداً :

اذا أنت لم تنفع فضر ، فانما
يرجى الفتى كيما يضر وينفعا

ويونس يفرق بين الآل والسراب ، وبين الظل والفيء

فالظل : ما كان قبل الشمس والفيء : ما كان بعد .

فقوله " وغدوة ظل " يعني ما يسمى فيئا هو في الغدوة ظل . والغدوة صلاة الغداة الصبح وطلوع الشمس . (٢) ويقول مخبرا عن علمه وبصره بطبائع العرب

---

(١) ديوان الهذليين ١/١٤١ .
(٢) انظر أخبار البصريين ص ٥٢ حاشيتها ٤ .

ومشاعرهم . ما بكت العرب شيئا ما بكت الشباب ، وما بلغت كنهه " .

آثاره :

خلف يونس بعض الكتب صنفها وهى كتاب " معانى القرآن ، وكتاب اللغات ، وكتاب النوادر الكبير ، وكتاب الأمثال ، وكتاب النوادر الصغير ، وفى معجم الأدباء ومن تصانيفه كتاب معانى القرآن الكبير ، وكتاب معانى القرآن الصغير .

جهوده النحوية :

تردد اسم يونس فى كتاب سيبويه كثيرا وخاصة فى شواهد اللغة ، أما الآراء النحوية ، فهى نادرة ، لأن سيبويه مع سماعه له ، وحضوره حلقته العلمية ، لم يعجب بآرائه ، وخاصة حبه وتعلقه بالخليل استولى عليه ، فلم يترك لغيره بقية ، لأن علما مثل الخليل كالشمس المشرقة لا يترك مجالا لغيره ، وهذا ما حدث مع سيبويه حتى سار على قواعد الخليل وأقيسته النحوية ، وآثار الكتاب تشهد بذلك ، أما يونس فكان أمة فى أقيسته

---

(١) الفهرست ص ٤٢ .

ونظرائه النحوية وحده ، وقد تفرد بها ، وصار متميزا
في ذلك مخالفا في آرائه لسيبويه والخليل ، مع اعتزازه
بما ذهب اليه وأيده وسار فيه .

منها : أن تاء أخت وبنت ، ليست للتأنيث ، لأن ما قبلها
ساكن صحيح ، ولأنها لا تُبْدَل في الوقف هاء
فينسب إلى لفظها فتقول : أُختِيّ وبِنْتِيّ .
فخالفت حقيقة تاء التأنيث ، والصيغة كلها للتأنيث
والجمهور يضعف رأي يونس ويرى أن أخت وبنت
أصلها : أَخَوٌ ، بَنَوٌ حذفت لامهما وعوض عنهما
تاء التأنيث لا هاء التأنيث ، والفرق أن تاء التأنيث
فيها لا تبدل في الوقف هاء ، وتكتب مجرورة وهاء
التأنيث يوقف عليها بالهاء وتكتب مربوطة ، وبذلك
يظهر لنا أن رأي يونس غير دقيق وخاصة أنه ترك
قاعدة في باب النسب وهو أنه يرد الأشياء التي
أصولها (أخو ، بنو) فالتاء فيها بدل وليست
للتأنيث كما ادّعى ، وقيل التاء فيها للالحاق بجذع
وقفل إلحاقا للثنائي بالثلاثي " (١)

---

(١)ـ شرح التصريح جـ ١ ص ٧٤ .

ومنها : أنه يرى أن الثلاثى المضعف مثل : قَتَّل فهَتَّم زائده هو الحرف الثانى المضعف ، لأن الثقل حصل به ، وأما سيبويه والخليل فيريان أن الحرف الزائد هو الأول ، ولكل منهما له وجهة نظر فيما رآياه ، فالخليل يرى أن الحرف الأول من المضعف هو الزائد قياسا على واو حوقل ، وياء بَيْطر ، والقياس عنده معتمد ، أما يونس فإن الحرف الثانى هو الزائد من المضعف قياسا على واو جَهْوَر ، وهَوْوَر كما جعل الخليل باء جلبب الأولى كواو جَهْوَر ، وهَوْوَر وجعل يونس الثانية كياء سلقيت ، جعبيت . قال ابن جنى : وهذا قدر من الحجاج مختصر وليس بقاطع ، وانما فيه الأنس بالنظر لا القطع باليقين " (١) . والواقع أن الخلاف لفظى لا يترتب عليه كبير فائدة ، لعدم اختلاف الصورة اللفظية فيها .

ومنها : كان يونس يرى أن المحذوف يرد فى التصغير فيقول فى تصغير : هار هُوَيْئر ، وفى يضع اسم رجل يُوَيْضِع

---

(١) الخصائص ١/ ٦١ .

وفى بالـه من قولك : ما باليت به بالـة . بهيلـــــة

ولكن سيبويـه يرى عدم الـرد فى المحذوف اعتبـــــارا
بما صار عليـــه الاسم فيقول : هُـنَير ، يُضَيْع ، بُنَيَّة
وسيبويـه على حق فــى ذلك ، لأن العــودة الى الاصل
تُبْعِـد بالكلمـة عما صارت إليـه ، ونظـرا لأن الحالـة
الطارئـة تراعى ، والتصغير كالنسـب فى ذلك .

ومنها : أن يونس يرى أنه يقال عشـرون غيرك على قولـــه :
عشـرون مثلك ، وزعـم يونس والخليل رحمهما الله ـ أن
الدرهـم ليست نكرة ، لأنهـم يقولون : مائـة الدرهم
التى تعلم فـهـى بمنزلة عبد الله ، وزعـم يونــس
والخليل أن هـذه الصفات المضافـة إلى المعرفة التـى
صارت صفـة للنكـرة قد يجـوز فيهـنّ كلهنّ أن يكنّ
معرفـة ، وذلك معـروف فى كلام العرب ، يدلـــك
على ذلك أنـه يجوز لك أن تقـول : مررت بعبد الله
ضاربـك ، فجعلت ضاربـك بمنزلة صاحبك ، وزعـــم
يونس أنه يقول : مررت بزيد مثلك ، اذا أرادوا مررت
بزيـد المعروف بشبهـك ، فتجـعل مثلك معرفـة ،
يدلـك على ذلك قوله هذا مثلـك قائما كأنـه قال هذا

أخوك قائما ، الأحسن الوجه فإنه بمنزلة " رجل " لا يكون معرفة " (١)

وكلام يونس هذا منقول من الكتاب لسيبويه ، الذى عنى بعرض آرائه فى باب مجرى النعت على المنعوت ، والشريك على الشريك والبدل على المبدل منه وما أشبه ذلك ؟

وهو يحكم القياس فى كل قضية عرضها عشرون غيرك يجوز مثل الوارد بعشرون مثلك حملا للنقيض على النقيض ، وأن وصف النكرة قد يطابق المنعوت ، وقد تكون معرفة لعمومها

والواقع أن نظرته فى قياسه النحو جيدة ، ومذهبه سار عليه الخليل وأيده .

ومنها : أنه قدر أن المفعول فى قوله تعالى (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد) (٢) ولا يجوز أن نقدره محذوفا كما ذهب الخليل وهو (الفريق) بل يرى أن المفعول مذكور وهو جملة (أيهم أشد) لأن المذكور أولى من تقدير محذوف وعلقت تنزع عن العمل كما علقت فى قوله : " لنعلم أى الحزبين أحصى " (٣) "

(١) الكتاب ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

(٢) مريم ٦٩ . (٣) الكهف ١٢ .

ولكن الواقع أن رأي يونس غير سديد ، لأن التعليق مختص بأفعال القلوب ، وأنه لا يجوز لاضربنّ الفاسقُ بالرفع بتقدير الذي يقال له الفاسق وأنه لم يثبت زيادة (مِنْ) في الايجاب فكان رأيه ضعيفا .

ومنها : جوازه عطف الجملة الاسمية على الجملة الشرطية ، وتقدير مبتدأ قبل الفعل وذلك في قول الشاعر :

إنْ تركبوا فركوبُ الخيل عادتنا
أو تنزلون فإنَّا معشر نُزُلُ

والتقدير : أو أنتم تنزلون فعطفها على جملة الشرط ، وسيبويه والخليل يريان الى أن ذلك من باب العطف على المعنى أو التوهم " (١).

وأيضا : يرى يونس أن التصغير في قبائل قُبَيِّل بالعودة الى تصغير المفرد ، وأما الخليل وسيبويه فيذهبان الى تصغير الكلمة على ما هي عليه بحذف ما يخل بصيغة التصغير وهو الألف هنا وتصغر عندهما على قُبَيْئِل

(١) المغنى ٧٦٠ والكتاب ٥١/٣ والمدارس النحوية ص ٢٩ .

حتى لا يباعد التصغير بالكلمة عن أصلها ، ولا داعي للعودة الى المفرد (1) وله كثير من هذه النظرات النحوية

وبذلك نستطيع أن تقرر أنه كان بارعا فى النحو ، وسمع من العرب سماع مشافهة ورواية ، كما سمع من قبله واستفاد منهم ، وأفاد كثيرا كالكسائى وسيبويه والفراء وذكره سيبويه كثيرا فى الكتاب ، وله قياس فى النحو ومذاهب تفرد بها وهو من الطبقة الخامسة البصرية ، وحلقته فى البصرة كانت حافلة بالأدباء والفصحاء ، وشهد له الجميع بالفضل والتقدم ، ولكن نظراته فى النحو لم تنتظم قواعد شاملة يحتكم اليها فى الأسلوب ، ولم تكون نظرية فى النحو كما فعل الخليل وسيبويه ، لأنها كانت نظرات فردية لحل مشكلات جزئية فى الأسلوب العربى ، وقد أكثر سيبويه من النقل عنه فى كتابه حيث بلغ ٢٠٠ رواية فكان ثانى العلماء الذين أكثر النقل عنهم ، وهو طريقه فى الرواية عن ابن العلاء وابن أبى اسحاق وقد يستعملها فى الرواية والنقل معا .

---

(1) المنصف ٢/٨٥ .

وفاتـه :

توفـى رحـمه الله بَعْدَ حياة حافلة بالعلم والتحصيـل ولم يكن لـه فيهـا مـن غرض إلا طلب العلـم ومحادثـة الرجال ، وكانت وفاتـه سنة اثنتين وثمانين ومائة ما بين السبعين والثمانين ،وفى بعض الروايات أنـه جاوز المائـة ودفن بالبصرة ٠

***

٥ - الأخفش الأكـــبر

نسبه :

هو عبد الحميد بن عبد المجيد أبو الخطاب مولى بني قيس بن ثعلبة ، وهو شيخ يونس ، وهو المعروف بالأخفش الأكبر ، وهو من أئمة اللغة والنحو وكان ديّناً ورعاً ثقة وله ألفاظ لغوية ، انفرد بها ونقلها عن العرب وكان قد لقي الأعراب وأخذ عنهم وعن أبي عمرو بن العلاء وطبقته حتى صار من أكابر علماء العربية وأئمتها المشهورين وهو أحد الأخافش الثلاثة المشهورين ، أكبرهم أبو الخطاب ، والأوسط سعيد بن مسعدة الآخذ عن سيبويه ، والصغير علي بن سليمان وهو من تلامذة المبرد وثعلب وهم من الأخافش الأحد عشر الثلاثة السابقة وباقيهم هو كالآتي : فالرابع أحمد بن عمران ابن سلامة الالهاني مصنف غريب الموطأ مات قبل الخمسين ومائتين ، والخامس أحمد بن محمد الموصلي أحد شيوخ ابن جني مصنف كتاب تعليل القراءات السبع ، والسادس خلف بن عمرو اليشكري النفسي مات بعد الستين وأربعمائة ، والسابع عبد الله محمد البغدادي من أصحاب الأصمعي ، والثامن عبد العزيز بن أحمد الأندلسي

من مشايخ ابن عبد البر ، والتاسع على بن محمد الادريسى مات بعد الخامسة وأربعمائة ، والعاشر على بن اسماعيل ابن رجاء الفاطمى ، والحادى عشر هارون بن موسى بن شريك القارى مات سنة احدى وسبعين ومائتين (١)

وقد روى يوسف بن يعقوب عن الجَمَّاز : أنه فى طبقة عيسى بن عمر ، ويونس ، وأخذ عنه سيبويه .

جهوده اللغويه والنحوية :

لأبى الخطاب ألفاظ لغوية انفرد بها منها ما رواه الزبيدى (٢) عنه أنه قال : لا أقول جثة الرجل الا لشخصه على سرج أو رحل ، ويكون معمما ، ولم تسمع من غيره ، وحكى ابن دريد عن أبى الخطاب أنه قال : الخفخوف طائر ولم يذكره أحد من أصحابنا وفى اللسان (خ ف ف) عن المتصل . الخفخوف : الطائر الذى يقال له الميساق وهو الذى يصفق بجناحيه اذا طار (٣) .

---

(١) نشأة النحو ص ٦٣ حاشية ١ ، (٢)، (٣) صـ ...

قال صاحب النجوم الزاهرة :

هو شيخ العربية أخذ عنه سيبويه ، ولولا سيبويه لما كان يعرف ، فإن الأخفش الأوسط الذى أخذ عن سيبويه هو المشهور ولأبى الخطاب الأخفش هذا أشياء ينفرد بها عن العرب " (١)

وهو أول من فسر الشعر بيتا بيتا ، يعقب كل بيت تفسيره ، وكان الناس قبله إذا فرغوا من القصيدة فسروها جملة ، وأخذ عنه الكسائى يونس وأبو عبيدة وسيبويه وكان ثقة ورعـًا ديّنًا " .

ـ سيبويه وأبو الخطاب :

لقد أخذ سيبويه عنه اللغة وشيئا من النحو ، وهو يذكره فى الكتاب بكنيته ، وكل ما يروى عنه شواهد ومفردات ، وقد روى عنه فى كتابه ٤٧ (٣) مرة نذكر منها أمثلة تبين منهجه فى النحو ، ونظريته فى القياس

---

(١) نشأة النحو ص ٣٠ .
(٢) نزهة الالباء ص ٥٣ ، ٥٤ . الكتاب ١/ ٣٦٨ / ٣٦٩ .
وخزانة الأدب ٣/ ٤٠٦ .
(٣) سيبويه أمام النحو ص ٩٥ .

فنقول :

(هذا باب ما تكون فيه أَنَّ وأَنَّ مع صلتهما بمنزلة غيرهما من الأسماء " .

وذلك كقولك . ما أتاني الا أنهم قالوا ... ومثل ذلك قولهم : ما منعني إلاَّ أن يغضب على فلان : والحجة على أن هذا في موضع رفع أن أبا الخطاب حدثنا أنه سمع من العرب الموثوق بهم من ينشد هذا البيت رفعا .

لم يمنع الشرب فيها غير أن نطقت
حمامة في غُصُون ذاتَ أَوْقَال (١)

قال الرضي في شرحه على الكافية باب أسماء الأفعال المنقوله من الظروف .

" ويقال عليك زيدا أي خذه ، كأنَّ الأصل عليه أخذه ، ويقال : إليك عني والأصل ضم علتك اليك وتنح عني فاقتصر كما ذكرناه أي من الجملة الاسمية والفعلية بعدها على الظرف فكثر استعماله حتى صار بمعنى خذ فعمل عمله ، والظروف مبنية على الفتح ، لأنه الحركة التي استحقها في أصلها حين كانت ظروفا ، وسمع

(١) البيت من قصيدة لأبي نجيش بن الأسلت . الأوْقال : جمع وقل بفتح فسكون وهو المثل الباب وروى (غير) بالفتح مبنية جوازا لاضافتها الى معنى .

أبو الخطاب من قوله : إليك فقال : اليّ أن أتنحى فهو خبر شاذ مخالف لقياس الباب ، إذ قياس الظروف وشبهها أن تكون أوامر فلا يقال : عليّ ودونى قياسا عليه ، وأما عليّ بمعنى أدلّنى أو أعطنى فهو مخالف للقياس من وجه آخر إذ هو أمر لكن الضمير المجرور به فى معنى المفعول يقال على زيدا أى قربنيه ، والقياس أن يكون المجرور فاعلا " .

والرضى لقد كفانا الرد على أبى الخطاب ، وبيان ضعف ما ذهب إليه

وما رواه سيبويه عنه يدل على أنه راو ثقة أمين فى اللغة حيث روى (غير) بالرفع ويقول فى الخزانة معلقا على هذا البيت وهو الشاهد السابع والثلاثون بأن غير مبنية على الفتح لإضافتها الى أنْ أو أنّ المشددة ، فلا خلاف فى جواز بنائها على الفتح ، ثم يقول وقد روى بالرفع أيضا وهذا ما ذكره سيبويه بقوله (٢) والحجة على أنّ هذا فى موضع رفع أن أبا الخطاب حدثنا أنه سمع من العرب الموثوق بهم ، من ينشد هذا البيت رفعا " فكان حجة فى ذلك .

(١) شرح الكافية ٢/٧٥ .
(٢) الكتاب ٢/٣٢٩ .

ويروى سيبويـه عنـه فيقول : وزعـم أبو الخطـاب - وسألتـه عنه غـير مرة - أن أناسا من العرب يوثـق بعربيتهـم ، وهم بنو سليم يجعلـون باب : قلت أجمـع مثل ظننـت " .

أى يجرون القول مجرى الظن مطلقا .

ويروى عنه فى باب التنـازع فى أعمال الأول دون الثانى قـول الشاعر وهـو المراد الأسـدى وقيل ابن أبى ربيعة .

وقد نغـنى بها ونـرى عصـورا
بها يقتدننـا الخرد الخدالا

فأعمل نرى ، وأضـمر فى الثانى وهـو : يقتدننـا مع أن البصريين يجعلون أولى العمل بالثانى ولكنهـم لا يمنعـون عمـل الأول كما جاء فـى البيت ، وقد علـق على ذلك سـيبويه بقوله : حدثنـا أبو الخطاب عـن شاعره . ويقـول سـيبويه (٣) هذا باب ما يجوز فيـه

---

(١) الكتاب ١/١٢٤ . (٢) الكتاب ١/٠٧٩
() بها أى المنزل . العصور : الدهور .
: يملنه بنا الى الصبا . الخرد : جمع خريدة وهى المرأة الحيية والخدال : هى الغليظة الساق الناعمة جمع خدله . (٣) الكتاب ٢/٠٨٣

الرفع مما ينتصب فى المعرفة) ، وذلك قولك هذا عبد الله منطلق . حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب " .

فرفع مع أن المشهور النصب بعد المعرفة على أنه حال ورفعه . إمّا على أنه خبر لمبتدأ محذوف أو الاثنان خبر للأول كما ذكر الخليل .

ويروى عنه أيضا فيقول : وزعم أبو الخطاب أن العرب الموثوق بهم يقولون "لا أنا هذا وهذا أنا " ويقول أيضا : إنّ العرب تقول : هذا أنت تقول كذا وكذا كما روى سيبويه عنه تقديرا لعامل عن العرب ، مما يؤيد كلام العلماء فى ذلك ، والرد على من زعم أنها من اختراع النحويين ، ولكن العرب لحظوها بفكرها وقدروها عندما نطقوا بكلامهم : يقول : وهذه حجج سمعت من العرب ، وممن يوثق به ، يزعم أنه سمعها من العرب ، من ذلك قول العرب فى مثل من أمثالهم : "اللهم ذئبا وضبعا" إذا كان يدعو بذلك على غنم رجل واذا سألتهم ما يعنون : قالوا : اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعا وذئبا ، وكلهم يفسر ما ينوى ، وانما سهل تفسيره عندهم ، لأن المضمر عندهم قد استعمل فى هذا

عندهم باظهار . حدثنا أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب وقيل له : لم أفسدتم مكانكم هذا فقال : الصبيانَ بأبي كأنه حذر أن يلام فقال " لُم الصبيان " . وبذلك قدر عامل المنصوب وهو لُمْ .

ويتحدث سيبويه عن فتح همزة أَنَّ بعد الفعل ويستدل بقول ساعدة بن جؤية فيقول :

وأنه على شيب القذال وأنها
تواقع بعلا مرة وتئيم

وزعم أبو الخطاب أنه سمع هذا البيت من أهله هكذا قال سيبويه وسألته عن قوله عز وجل : " وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون " ما منعها أن تكون كقولك مايدريك أنه لا يفعل ؟ فقال : لا يحسن ذا في ذا الموضع ، وانما قال : وما يشعركم ثم ابتدأ فأوجب فقال : إنها إذا جاءت لا يؤمنون ، ولو قال وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ، كان ذلك عذرا لهم " (٢)

---

(١) الكتاب ٢/٣٥٤ .
(٢) الكتاب ٣/١٢٣ .

وينقل سيبويه هذه الصيغة فيقول وزعم أبو الخطاب انهم يقولون : أرض وآراض أفعال ، كما قالوا أهل وآهال " ويرى السيرافي أن هذا خطأ وأن سيبويه ذكر أنهم لم يقولوا : آراض ولا آرض ، وأن ذلك جرى على الواحد كفَرْخ وأفراخ وهذا قليل " (١).

ويروى سيبويه عن أبي الخطاب فيقول (٢) وزعم أبو الخطاب أنهم يقولون رجل أهيم وهيمان يريدون شيئا واحدا وهو العطشان ، ويروى عنه فيقول : وحدثنا أبو الخطاب أن أُناسا من العرب يقولون : كِيدَ زيدٌ يفعل ، وما زيل زيدٌ يفعل ذاك يريدون زال وكاد لأنهم كسروها في فَعَل كما كسروها في : فَعَلت حيث أسكنوا العين ، وحولوا الحركة على ما قبلها ولم يرجعوا حركة البناء الى الأصل كما قالوا : خاف ، وقال ، وباع ، وهاب وغير ذلك . ولكنها لا تجمع نظرة متكاملة ، فهي إجابات لأسئلة فرديةلا تنتظم قواعد كلية ، ولكنها تشهد له بالبراعة في النحو ، وحسن معرفة الأسلوب ، وسر الحركة الأعرابية .

---

(١) الكتاب ١١٦/٣ .

(٢) الكتاب ٢٠/٤ ، ٣٤٢ .

وفاتـه :

توفى رحـمه الله بالبصـرة سـنة ١٧٧ هـ وقيـــل لا يعرف وفاتـه .

***

٦ - يحيى بن المبارك اليزيدي

نسبه :

الأشهر هو يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد العدوي المعروف باليزيدي المقرئ النحوي اللغوي وقيل اسمه عبد الرحمن مولى بني عدي بن مناة بن الرباب بصري سكن بغداد ، وحدث بها عن أبي عمرو بن العلاء والخليل ، وعبد الملك بن جريج ، وعن الخليل أخذ اللغة والعروض والعربية عنه وعن عمرو بن العلاء ، وكذلك ابن جريج ، وإنما سمي باليزيدي ؟ لأنه كان منقطعا الى يزيد بن منصور الحميري خال ولد المهدي ، يؤدب ولده فنسب إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعل المأمون في حجره وأدبه وقد سأله مرة عن شيء فقال : وجعلني الله فداءك فقال المأمون لله درك ، ما وضعت الواو في مكان أحسن من موضعها هذا ووصله .

علمه ومكانته :

كان اليزيدي مشهورا له بالبراعة في معرفة أنساب العرب ، وله كتاب (نوادر في اللغة) على أمثال كتاب

(١) طبقات البصريين ص ٦١ .

نوادر الأصمعي الذي عمله لجعفر بن يحيى ، وفي مثل عدد ورقه وكان ثقة أمينا ضابطا ، وأحد القراء الفصحاء ، كما كان أحد الشعراء وله جامع شعر وأدب قال أبو حاتم : اليزيدي هو مولى لبني عدى وليس أيضا منهم ، ولكن كذا يقولون : كان نازلا فيهم ينسب الى اليزيد ، وكان مؤدبا ليزيد بن مزيد بن زائد أي ابن أخي معين بن زائدة الشيباني " .

وكان يمتاز بالظرف وحسن الأدب مع جمال الأسلوب وحسن النكتة ، وقد حكى أبو حنيفة الدينوري عن اليزيدي قال انصرف اليزيدي من كتابه يوما فقصد المأمون مع علمائه ومن يأنس به وأمر حاجبه ألا يأذن لأحد لأحد - وهو صبي في ذلك الوقت - فبلغ اليزيدي خبره فصار الى الباب فمنع فكتب اليه .

هذا الطفيلي على الباب
يا خير إخواني وأصحابي
فصيروني رجلا منكم
أو أخرجوا لي بعض أترابي

فأذن له فدخل : فانقبض المأمون فقال : أيها

---

(١) أنباه الرواة جـ ٤ ص ٣٢ ، ٣٣ .

الأمير عد الى انبساطك فانى إنما جئت على أن أكون نديما لا معلما .

قال القفطى (١) : وحكى عن أبى حمدون قال شهدت ابن أبى العتاهية ، وكتب عن أبى محمد اليزيدى قريبا من ألف جلد ، عن أبى عمرو بن العلاء خاصة يكون ذلك عشرة آلاف ورقة ، لأن تقدير الجلد عشر ورقات .

فهذا يدل على سعة محفوظ اليزيدى العلمى ، وتمكنه فى اللغة والرواية ولقد أخذ عن الخليل من اللغة أمرا عظيما ، وكتب عنه العروض فى ابتداء صنعته إياه الا أن اعتماده كان على أبى عمرو بن العلاء لسعة محفوظ أبى عمرو فى اللغة ، وكان اليزيدى يعلم بحذاء منزل أبى عمرو ، وكان يدنيه ، ويميل إليه لذكائه ، وكان اليزيدى صحيح الرواية ، صدوق اللهجة ، أمينا فى نقله .

ويقول الأثرم : دخل اليزيدى على الخليل بن أحمد يوما وعنده جماعة ، وهو على وسادة جالس ، فأوسع له ، فجلس معه اليزيدى على وسادته ، فقال له اليزيدى . أحسبنى قد ضيقت عليك ، فقال الخليل ماضاق شئ على اثنين

---

(١) أنباه الرواة جـ ٤ ص ٣٢ ، ٣٣ .

متحابين ، والدنيا لا تسع متباغضين وكانت له حظوة ومكانة عند المأمون فى محبة وتقدير ، تحدث بذلك الأصمعى فقال (١) سمعت أبا محمد اليزيدى يقول: كنت أؤدب المأمون وهو فى حجر سعيد الجوهرى فأتيته يوما ، فوجهت اليه بعض خدمه ليخرج إلىّ فأبطأ ،فوجهت رسولا آخر فأبطأ . فقلت لسعيد : ان هذا ربما تأخر واستغل بالبَطالة (الهزل) فقال لى سعيد : اذا فعل ذلك فقوّمه بالأدب ،فلما خرج أمرت بحملة فقوّمته بسبع درر ، فإنه ليدلك عينيه بالبكاء إذ قيل جعفر بن يحيى بن برمك قد أقبل ، فأخذ منديلا فمسح عينيه ، وقام الى فراشه مسرعا فجلس عليه ثم قال : يدخل ، فدخل ، وقمت عن المجلس الى فراشه مسرعا وخفت أن يشكونى إليه ، فألقى منه ما أكره قال : فأقبل عليه بوجهه وحدّثه بوجه طلق ، وضحك فلما همّ بالحركة قال يا غلام ، دابته ، وأمر غلمانه فمضوا بين يديه ، ثم سأل عنى فجئته فقال : ما حملك على ما صنعت من خروجك عنا ؟ فقال أيها الأمير لقد خفت أن تشكونى الى جعفر : ولو فعلت لنكل بى! فقال : أنا لله يا أبا محمد . ما كنت لاطلع الرشيد

(١) طبقات النحويين ص ٦٣ ، ٦٤ .

على هذا ، فكيف جعفرا يطلع على أنى احتجت الى الأدب يغفر الله لك ، لقد خطر ببالك ما لا يكون قال : فكنت أهابه بعد ذلك وأجله .

اليزيدى والكسائى :

لقد كان اليزيدى يؤدب المأمون ، وكان الكسائى يؤدب أخاه محمد الأمين ونشأت بينهما من أجل ذلك مقارضة ومعارضة ، بسبب تأديبهما الأخوين وهذه مناقشة يحاول كل واحد منهما أن يكون له الفوق على زميله ، وزاد عليه بالعمل السيء والقول الهادىء ، وازدادت منهما المشاحنات والهجاء واليزيدى شاعر يستطيع أن ينفس عن نفسه وأن يهجو الكسائى فى شعره فصنع قصيدة يهجو الكسائى وأصحابه ، ويمدح نحوى البصرة وهذه عصبية كانت واضحة وشديدة بين علماء البلدين سجلها يحيى فى قصيدته التى ذكر منها السيرافى فى كتابه فقال :

يا طالب النحو ألاَ فابكه
بعد أبى عمرو وحمَّاد

---

(١) صـ ٥٦ ـ ٥٨ .

وابن أبي إسحاق في علمه
والزين في المشهد والناد

عيسى وأشباه لعيسى وهل
يأتي لهم دهر بأنداد

هيهات إلا قائلا عنهم
أرسوا له الأصل بأوتاد

فهو لمنهاجهم سالك
لنقلهم ليس بجحاد

ويونس النحوي لا تنسه
ولا خليلا حية الوادي

وقل لمن يطلب علما ألا
ناد بأعلى شرف ناد

يا ضيعة النحو به مضرب
عنقاء أودت ذات إصعاد

أفسده قوم وأزروا به
من بين أغتام وأوغاد

ذوي مراء وذوي لكنة
لئام آباء وأجداد

لهم قياس أحدثوه هم
قياس سوء غير منقاد

فَهُمْ من النحو ولو عمَّروا
أعمار عاد في أبي جاد
أما الكسائي فذاك أمرؤ
في النحو عارٍ غير مزداد
وهو لمن يأتيه جهلا به
مثل سراب البيد للصادي

ولذلك ترى تفضيله لأهل البصرة وطعنه في أهل الكوفة وزعيمهم الكسائي .

وقال أيضا اليزيدي في الكسائي وأصحابه .

كنا نقيس النحو فيما مضى
على لسان العرب الأول
فجاءنا قوم يقيسونه
على أشياخ قُطْرُبُّل
فكلهم يعمل في نقض
ما به يصاب الحق لا يأتلي
إن الكسائي وأشياعه
يرقون في النحو إلى أسفل

وهذه عصبية ما كان ينبغي أن تزاد الى هذا الحد من العلماء ، ولكن يظهر أن السياسة قد دخلت فأشعلت النار بينهم .

اليزيدي والشعر :

قال اليزيدي الشعر في أغراض مختلفة ، ويصوره فيروى عنه أبيات يخاطب بها المأمون فيقول :

يا أيها الملك الموحد ربه
قاضيك بشر بن الوليد حمار
ينفي شهادة من يدين بما به
نطق الكتاب وجاءت الآثار
ويعد عدلا من يقول برأيه
شيخ تحيط بجسمه الأقذار
عند المريسي اليقين بربه
لو لم يشب توحيده إجبار
لكن من جمع المحاسن كلها
كهل يقال لشيخه مسوار (١)

فهذه الأبيات التي يخاطب بها المأمون توضح مذهبه في القصيدة ، وأنه عدلي معتزلي فيما يزعم المعتزلة أنهم أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون أنفسهم بالعدلية وأن العبد قادر على خلق أفعاله ثوابا وعقابا

---

(١) أخبار النحويين ص ٣٦

وكان اليزيدى صاحب مروءة ونبل وانسانية لايفوتـــه واجـــب حـــتى يؤديـــه ، وعند الشدائد تذهب الأحقـــاد فبالرغـــم مما بينـــه وبين الكسائى من مشـــاحنات ومخاصمـــات وهجـــاء سجله فى شـــعره ، وطعن فيها صاحبـــه ، ولكننـــا نراه عندمـــا مات الكسائى حـــزن عليه وأظهـــر مشاعـــره علـــى فقده وأبان فضائله ، وسَـجَّـــل ذلك بقصيدة يرثى فيهـــا الكسائى عـــلم القراءات والعربيـــة ، وكذلك محمد بن الحسن الفقيـــة صاحب أبى حنيفـــة ، وكانـــا قد خرجا مع الرشـــيد الى خراسان فماتا فى الطريق .

فقـــال :

تصرّمـــت الدنيا فليس خـــلود
وما قد تـــرى من بهجـــة سيبيد

لكل امـــرىء منا من الموت منهـــلٌ
وليس له إلاَّ عليْـــهِ وُرودُ

ألم تـــر شيئا شاملا يُنْـــذِرُ البِلَـــى
فإنّ الشباب الغضّ ليس يعود

ســـيأتيك ما أفنى القرون التى خلت
فكن مســـتعدا فالفناء عتيـــدُ

أسيتُ على قاضى القضاة محمـــدِ
فأذريـــت دمعى والفؤادُ عَميدُ

وقلت اذا ما الخَطْبُ أشْكَلَ: من لنا
بإيضاحه يوما وأنت فقيدُ

وأقلقنى موتُ الكسائىّ بعده
وكادت بى الأرضُ الفضاءُ تَميدُ

فأذهلنى عن كل عيشٍ ولذة
وأَرَّق عَيْنى والعيونُ هُجودُ

هما عالمانا أوْدَيا وتُخُرِّما
وما لَهُما فى العالمين نَديدُ

فحزنى أِنْ تخطر على القلب خطرة
بذكرهما حتى المَمات جديدُ

فهذه الأبيات تنبئ عن شاعرية قوية ، معبره خير تعبير عن المواقف المختلفة كما تظهر بجلاء مدى حزنه على فقد العالِمَيْن الكبيرين ، وأن حدثهما ضخم حرك الأرض لهذا الرحيل ، وأنه لا خلود فى المعيش ولذة الحياة ، ولا مثيل لهما فى علمهما ، وأن الناس كانوا فى حاجة ماسة لهما ، وبكاؤه عليهما لا ينقطع وتلك عاطفة حميدة ومشاعر نبيلة تحمد لليزيدى فى هذا الشعر الممتاز القوى البناء ، المتين القافية ، المتضمن كثيرا من الحكم والفوائد وهو بعد هذا يعبر عن كل مناسبة قيلت فيه ، ولليزيدى

أشعار كثيرة فى الرشيد والمأمون وغيرهما قال ولده :
واختلفنا عند موته ألا نخرج شيئا من شعره الا ما كان
فى المواعظ وقد نقل ذلك الزبيدى فى الطبقات ص ٦٤
عن ابنه اسماعيل ، وأنه لما حضره الموت أخذ علينا الا
نخرج غير المواعظ ومن أمثلة شعره فى هجاء الأصمعى :

ومن أنت ؟ هل أنت إلّا امرؤٌ
وإن صحّ أصلك من باهلَهْ
وحسبك لؤمٌ قبيلٍ بـه
لمن هى فى كفّه حاصلَهْ
فكيف لمن كان ذا دِعْوة (١)
وكفة نسبته شائلهْ (٢)

فهجاؤه مقذع وشديد ، وقد عرف بذلك .

ومن شعره فى عنان جارية الناطفى وأبى ثعلب الأعرج
وكان شاعرا :

أبو ثَعْلب للناطفى زَوُورُ
على خبثه والناطفى غيورُ
وبالبغلة الشهباء رقة حافر
وصاحبنا ماضى الجنان جسور

---

(١) الدعوة بكسر الدال ادعاء الولد غير أبيه .
(٢) شالت كفة الميزان ارتفعت .

ولاشك فى أن الاعيرج آرها

وما الناس الا آير ومنبر

ومن قوله الشعر قصيدته المشهورة :

من يلم الدهر ألا .·. فالدهر غير معتبه

وفيها أمثال وحكم ، تدل على متانته وأحكامه هذا الباب

ومثال شعره فى الاعتذار الى المأمون من شئ تكلم به وهو سكران .

أنا المذنبُ الخطّاءُ والعفوُ واسعٌ

ولو لم يكن ذنبٌ لما عُرِفَ العفو (١)

سكرت فأبدت منى الكاس بعض ما

كرهت وما إنْ يستوى السكر والصحو

ولا سيّما إذّ كنتَ عند خليفة

فى مجلس ما إنْ يَحوزُ به اللّغْوُ

فإنْ تَعْفُ عنى ألْفِ خَطْوىَ واسعا

وإلاّ يكنْ عفوٌ فقد قَصَّر الخطو

وشعره متنوع الأغراض ، ويدل على نفسية مرحة .

---

(١) الطبقات ص ٦٣ ، ٦٤ .

جهوده في القراءات :

كان أبو محمد اليزيدي الغاية في قراءة أبي عمرو وروايته يقرأ أصحابه ولقد سجل ابن مجاهد أنه من تلاميذ أبي عمرو المجيد في نقل القراءة عنه ، فهو تلميذ ماهر ثقة صدوق ، وليس له قراءة باسمه ، وانما هو مقرئ ثقة علامة كبير ، أخذ القراءة عرضا عن أبي عمرو وهو الذي خلفه بالقيام بها وأخذ أيضا عن حمزة وروى القراءة عنه أولاده وغيرهم .

جهوده في اللغة :

إن طبقته في النحو دون طبقة الخليل ودون سيبويه والأخفش ، كما كان حسن الجواب حاضر البديهة ، لقدرته الفائقة على التعبير اللغوي الجيد ، فقد حكى أحمد [٢] بن عبيد قال : أخبرنا الزبيدي قال : دخلت على المأمون يوما والدنيا غضة ، وعنده (نُعْم ـ وكانت من أجمل أهل دهرها تغنيه .

وزعمت أنك ظالم فهجرتني

ورميت في قلبي بسهم نافذ

---

(١) ص ٨٥ .
(٢) أنباه الرواة ٤/٧ ، ٨ .

ونعم هجرتك فاغفري وتجاوزي
هذا مقام المستجير العائذ
ولقد أخذتم من فؤادي إنه
لا شك ربي كفا ذاك الآخذ

واستعادها الصوت ثلاث مرات ، وشرب ثلاثة أرطال في ثلاثة أقداح ثم قال يا يزيدي يكون شيء أحسن مما نحن منه . قلت نعم يا أمير المؤمنين فقلت : وما هو قلت الشكر لمن خولك هذا الانعام العظيم الجليل فقال : أحسنت وصدقت ، ووصلني ، وأمر بمائة ألف درهم .

كما كان الرجل حريصاً على اللغة والفصاحة فكان يكلم الأمين والمأمون بكلام يتفصحان به ، ويقول لهما : كان أولاد الخلفاء من بني أمية يخرج بهم الى البدو حتى يتفصحوا وأنتم أولى بالفصاحة منهم ، فأكلا معه يوما كَمْأَة (1) وقَشْرا فقال لهما :

كُلا كُلا كُلَا كُلْأَ كَمَا كَمَا
لا تَنْبُوا ان تَنْبُشُوا لا تنبسلا

(1) الكمأة : نبات ينفض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر والقشر : القشر على الحب .

فمضى الخادم الموكل بهما الى الرشيد وقال : علمهما اليوم كلام الزنجية فاستدعاه الرشيد وقال له : ما حاجتهما الى كلام الزنج ، فلم علمتها فقال اليزيدى : والله ما أحسنها فقال الخادم : بلى فعرفه الحال وقال : أنا آخذهما بأمثال ذلك ليفصحا فقال له الرشيد لا تكلم الخادم فلولا التقدمة لظننته بالزنجية وأنشد

لكل أناس مألف من طباعهم

فالرجل لغوى يهتم بالتفاصح باللغة ، وليس له مذهب معين فى النحو .

أولاده وأسرته

كانت له أولاد ساروا على طريق والده علما وأدبا وتحصيلا ويقول السيوطى ونشأ له أولاد وأولاد أولاد علماء فى هذه الطبقات منهم جملة، ويقول أبو بكر الزبيدى ووجدت بخط المستنصر ـ رحمه الله ـ ولد أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى : محمدا وعبد الله أبا عبد الرحمن وأبا يعقوب اسحاق ، وأبا اسحاق ابراهيم ، واسماعيل ابن أبى محمد يحيى بن المبارك ، فولد محمد بن أبى محمد

العباس أبا الفضل ، والفضل أبا العباس ، وعبيد الله أبا القاسم وأحمد وجعفرا فولد العباس محمد وكان كأعمامه فى الآداب ، وكلهم أديب عالم ، وممن نبل من أولادهم وحمل عنه محمد بن عبيد الله محمد ، واسحاق بن ابراهيم ابن أبى محمد ، وأحمد أخوه [1]

كتبه ومؤلفاته :

ترك بعض كتب ألفها عرفت أسماؤها ، ولكنها بادت وما وصلت الينا وهى : مختصر فى النحو ، والمقصور والممدود ، والنقط والشكل والنوادر . وهى مؤلفات تتناسب حال العصر الذى عاش فيه فهى كالأصول .

ذكاؤه ونوادره :

امتاز اليزيدى بحسن الحيلة والذكاء البارع ، فمن ذلك أنه قد شكا الى المأمون خلة أصابته ، ودَيْنًا لحقه فقال : ما عندنا فى هذه الأيام ما إنْ اعطيناكه بلغت به ما تريد قال يا أمير المؤمنين إنّ الأمر ضاق علىّ ، وإنّ غرمائى أرهقونى

---

(١) الطبقات ص ٠٩٥

فاحتـل لى فأفكـر واستقر الأمـر على أن يحضـر اليزيـــدى فى الباب ، اذا جلس المأمـون للشرب ، وعنده ندماؤه ، يكتـب رقعـة يطلب فيها الدخـول أو إخراج بعض الندماء اليـــه فلما جلس المأمون حـضر اليزيدى الباب ، ودفـع الى الخادم رقعـة مختومة فأدخلها الى المأمون ففضهـا فاذا فيهـــا مكتوب :

يا خـير إخـوان وأصحــــاب
هذا الطفيلـى على البـــــاب
فصـيرونى واحـدا منكـــم
أو اخرجـوا الى بعض أصحابـــى

فقرأ ها على من حضـره قال : ما ينبغى أن يدخـل مثل هذا الطفيلى على مثـل هذا الحال فأرسـل اليه المأمـــون دخـولك فى مثل هذا الوقت متـعذر فاختر لنفسك من تفـارق فاختار عبد الله بن طاهـر وأنف من ذلك ودفـع له مبلـغ مائـة ألف درهـم حـتى لا يقاوم هذا الطفيلى ، ونجحت الحيلة وتـم لليزيدى مراده " (١)

---

(١) أنباه الرواه جـ ٤ صـ ٣٩ .

وفاتـه :

توفى اليزيـدى سنة اثنين ومائتين ، وهى السنة الـتى خرج فيها المأمون مـن مرو الى العراق[١] ودخـل سنة أربـع فى صفر منها - رحمه الله

(١) الطبقات ص ٦٥ .

٧ - النضر بن شميل

نسبه :

هو النضر بن شميل بن خرشه بن يزيد بن كلثوم ابن عبده بن زهير بن السكب الشاعر بن عروة بن حليمة ابن حجر بن خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم المازنىّ التميمى هذه سلسلة النسب الذى ذكرها القفطى (١) وقد ذكر السيوطى فى البغية (٢) النسب مقتصرا على ابن حليمة فقط ولم يكمل واستبدل عنترة بعروة ، واختلاف هذا الاسم لا يؤثر فى النسب فضلا عن أن الطبقات (٣) أثبتت (عبده) مما يؤيد رأى القفطى ، ويجمعون على أنه من قبيلة مازن ، وكان من أهل البصرة ، فانتقل الى مرو ، ويكنى أبا الحسن ، ولا يعلم تاريخ ولادته .

علمه وفضله :

لقد أخذ النضر عن الخليل اللغة والنحو فهو من أصحابه ومن زملاء سيبويه الذين أخذوا العلم معه وقد غلبت عليه (٤)

(١) الانباه ٣/٣٤٨ .
(٢) البغية ٢/٣١٦ .
(٣) ص ٥٥ .
(٤) المزهر ٢/٤٠٥ والمعارف ٥٤٢ .

اللغة كما روى اللغة عن العرب ، وأقام بالبادية أربعين عاما ، وهو ثقة ثبت صاحب غريب وشعر ونحو وحديث وفقه ومعرفة بأيام الناس " (١)

وكانت معيشته بالبصرة ، ولما أضرت به ضيق العيش بها ، تركها ، وانتقل الى مرو ، فشيعه من البصرة عدد كبيرة قدرته البغية بسبعمائة رجل ، والطبقات بثلاثة آلاف رجل ، ما فيهم الا محدث أو نحوى أو لغوى أو عروضى أو اخبارى ، فلما صار بالمربد مسقط من مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء جلس فقال : يا أهل البصرة يعز علىّ مفارقتكم ، والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلا ما فارقتكم ، فبكوا لذلك ، توجعا لمفارقته . قال الراوى فعجبت من أنه لم يكن فى هذا الجمع الكبير من المتفجعين عليه من يقوم له بهذا ، وسار حتى وصل خراسان ، واستغنى وأفاد مالا كثيرا من جهة المأمون . قال أبو عليس (٣)

وطلب المأمون يوما — وهو بمرو — رجلا من أهل الأدب

(١) أخبار النحويين ص ٦٤ وسيبويه ص ١٠٢ .
(٢) كيل معروف لأهل العراق المعرب ص ٢٩٢ .
(٣) الطبقات ص ٥٥ .

يسامره فخرج الحاجب يسأل عن رجل يصلح لمجالسة المأمون ومسامرته فقيل له : ها هنا النضر بن شميل فبعث به فأدخله على المأمون فسامره . فقال المأمون في بعض كلامه " سَداد من عَوَز " بفتح السين فأنكره النضر ، ولم يغير عليه ، ثم حدثه بأحاديث كثيره حتى ذكر هشيما بن بشير السلمى ت ١٨٣ هـ فقال : قال هشيم . وكان لحانا " سَداد من عوز " فقال له المأمون : يا نضر وكيف تقول ، قال : سِداد من عوز " بكسر السين ، فأمر له بخمسين ألف درهم " تقديرا لعلمه حيث أبرز له الحجة بعد قوله عن هشام عن مجاهد عن الشعبى عن عباس قال قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم من تزوج امرأة ذات جمال ومال فقد أصاب سِدادًا من عوز فقلت له يا أمير المؤمنين :

حدثنا عوف الأعرابى عن الحسن عن على بن أبى طالب رحمة الله عليه و رضوانه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من تزوج امرأة ذات جمال ومال فقد أصاب سِدادا من عوز ، فقال أتلحنني يا نضر ؟ فقلت : أمير المؤمنين أفصح من ذلك وهذا لحن

هشيم ، وكان لحانا - فقال وما حجتك فقلت قول العرجى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا

ليوم كريهة وسِداد ثغر

فقال فسكت ووصله بخمسين ألف درهم (١)

وقال النضر (٢) : دخلت يوما على المأمون ، وعلى إزار مرقوع

فقال : يا نضر ما هذا التقشف ؟ فقلت

يا أمير المؤمنين أنا شيخ وحَرُّ مرو كما ترى فأحببت

أن أتبَرَّد بهذى الخلقان ، فجرى بنا الحديث عن

النساء ، فذكر المأمون الحديث السابق بفتح السين

فى سداد فذكر النضر أن هذا اللحن من هشيم أن

الفصيح سداد بكسر السين ، وكان متكئا فاستوى

جالسا ثم قال يا نضر كيف قال : هشيم سَداد ولم

يقل سِداد وما الفرق بينهما ؟

قال : قلت يا أمير المؤمنين : السَداد : القصد فى

الدين والسبيل ، والسِداد بالكسر من الثغر والثلمة

(١) الطبقات ص ٥٦ .
(٢) الانباه ص ٣٤٩ ص ٥٦ .

وكل ما سددت به شيئا فهو سِداد قال وتعرف العرب

ذلك وذكر بيت العرجي السابق فقال : قبح الله اللحن قلت : يا أمير المؤمنين : إنه لحن هشيم

ثم قال لي يا نضر : مالك قلت فريضة يا أمير المؤمنين لي بمرو أتمززها قال : أفلا أفيدك الى مالك مالاً ؟

قلت : إني لذلك لمحتاج ، فتناول الدواة والقرطاس وكتب شيئا ثم قال لي يا نضر : كيف تقول : إذا

أمرت أن تترب كتابا ، قال : قلت : أتربه قال فهو ماذا ؟ قلت مترب قال : فمتى الطين ؟ قلت : طنه قال : فهو ماذا ؟ قلت : مطين قال : فمتى السّحاءة قال : قلت أسْحِه قال : فهو ماذا ؟ قلت: مسحيّ

ومسْحوّ قال يا غلام أتربه وطنه ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه : تبلغ معه ، وأمر بختمه وسيرني مع رسوله

الى الفضل بن سهل وزيره ، فدخلت عليه ، فتناول الورقة وقرأها وقال قد أطلق لك يا أمير المؤمنين خمسين ألف درهم ، فما الخبر فأعلمته ، فقال: لحنت أمير المؤمنين قلت : إنما أخبرته لحن هُشَيْم فأطلق لي ثلاثين ألف درهم ، قال : النضر : فأخذت بكلمة واحدة ثمانين ألف درهم .

وهذا حضور ذهني متألق للغة ، وقدرة على العرض والاستدلال بالوارد عن العرب ، ومن أمثلة دقته في اللغة ، ومعرفته بأسرارها ما يحكيه محمد بن حاتم قال : مرض النضر بن شميل فدخل الناس يعودونه ، فقال له رجل من القوم مسح الله ما بك ، فقال النضر : لا تقل مسح ولكن قل : مصح الله ما بك ألم تسمع الى قول الأعشى :

وإذا ما الخمر فيها أزبدت

أفل الازباد فيها فمصح

فقال الرجل : لا بأس : السين تعاقب الصاد وتقوم مقامها فقال النضر : ان كان هكذا في كل شيء فينبغي أن تقول لمن اسمه سليمان ، صليمان وتقول : قال رصول الله : وتقول لمن يكنى أبا صالح أبا سالح ، ثم قال : لا يكون هذا في السين الا مع أربعة أحرف وهي الطاء ، الخاء ، القاف ، الغين فيبدلون السين صادا في هذه اذا وقعت السين قبلها ، وربما ابدلوها زايا كما قال : سراط ، زراط " (١) فهذا دليل قوي على سعة

(١) الانباه ٣/٣٥١ .

محفوظه ومعرفة بأسرار اللغة وتراكيبها ، وسر حروفها
في افادة المعنى وفي عكسه ما يشهد له بالفوق
في هذه اللغة . وقال محمد (١) : صح الظل : اذا
زال وذهب ، وقال اذا ولى لون الزهر قيل : صح
يصح صوحا وأنشد أبو زياد في صفة الهودج

يُكْسَيْنَ رَقْمَ الفارسيِّ كأنه
زهرٌ تتابع لونه لم يُصْحَ

(١) الطبقات ص ٦١ واللسان (صح) .

النضر والشعر :

لم يعرف عن النضر أنه قال الشعر ، وانما عرف عنه ذوقه الأدبى وحسن اختياره لمحفوظه الشعرى ، وقدرته على إيراده فى الموقف المناسب فى بلاغة وقدرة

من ذلك ما حكاه الزبيدى فى طبقاته أن المأمون سأله يا نضر هل تروى من الشعر شيئا ؟ قلت نعم يا أمير المؤمنين قال : فأنشدنى أخلب بيت قالته العرب

قال : قلت : قول حمزة بن بيض الحنفى الأموى الكوفى حيث يقول فى الحكم :

تقول لى والعيون هاجعة
أقِمْ علينا يوما فلم أُقِم

أىَّ الوجوه انْتَجعتْ قلت لها
وأين وجه إلاّ إلى الحَكَم

متى يقل صاحبا سرادقه
هذا ابن بيض بالباب يبتسم

قال أحسن والله ما شاء . قال فأنشدنى أنصف

بيت قالته العرب .

قال : قول أبي عروة المدني يا أمير المؤمنين إذ يقول :

إني وإنْ كان ابنُ عمي واغراً

لمزاحمٌ من خلفه ووراءه

ومعده نصري وان كان امرأً

متباعدا في أرضه وسمائه

وأكون والِيَ سره وأصونه

حتى أصير الى زمان إخائه

واذا الحوادث ألحقت بسوامه

قرنت صحيحتنا الى جَرِبائه

واذا دعا باسمي ليركب مركبا

صعبا ركبت له على سيسائه

واذا رأيت عليه بردا ناضرا

لم يلقني متمنيا لردائه

قال : أجاد والله ما شاء . فأنشدني اقنع بيت قالته

العرب قال : قلت بيت الراعي حيث يقول :

أطلب ما يطلب الكريم من الر　　زق لنفس فأجمل الطلبا

وأطلب الشرة الصيفى ولا
أطلب أخلاف غيرها حلبـا

إنى رأيت الكريم وهو ذا
رغبته فى ضيعة رغبا

والنذل لا تطلب العلا فهولا
يعطيك شيئا اذا رهبا

كمثل غير موقع هولا
يحسن شيئا إلّا إذا ضُرِبا

ولم أجد عزة الحياة سوى ذا الد
ين لما اختبرت والحسبا

قد يدرك الخافض المقيم وما
شدّ لعنس رحْلا ولا قتبا

ويحرم الرزق ذو المطية الر
حل ومن لا يزال مغتربا (١)

قال المأمون أحسن والله ما شاء .

---

(١) الطبقات ص ٥٩ ، ٦١ .

فهذه أمور تدل على حفظه الواسع للشعر العربي وتذوقه لمعاني اللغة وأسرارها والقدرة الفائقة على الحفظ والاستشهاد ، مع الضبط والدقة في الأداء ، وهذا ما كان يشتهر به النضر ـ رحمه الله فقد روى (١) ابن أبي رزمة قال سأل رجل النضر ابن شميل أن يقرأ عليه مترسل ميزيد في الدَّوْلة فقال النضر :

تسألني أم الحسين جملا

يمشي رويدا ويكون أولا

فهذا دليل على الاستحضار الجيد ، والمعرفة الواسعة للشعر واللغة ٠

جهوده في القراءات والسنة واللغة :

يروى السيوطي في البغية عنه أنه أول من أظهر السنه بمرو وخراسان ، وكان أروى الناس عن شعبة وروى أيضا عن ـ حميد الطويل وهشام ، وروى عنه

(١) الطبقات ص ٥٩ ، ٦١ ٠

يحيى بن معين وعلى بن المدينى شيخ البخارى ـ وكافة من أدركه ـ من أئمة عصره منهم النيسابوريون ومنهم يحيى بن يحيى ، وإسحاق بن ابراهيم ، وبشر بن الحكم المصرى ، وعامر بن خداش ، وأحمد بن عمرو الحرشى ومحمد بن رافع ، وأيوب بن الحسن وغيرهم .

كما سمع هشام بن عروة ، واسماعيل بن أبى خالد وجميلا ، وعبد الله بن عوف ، وهشام بن هشام وغيرهم من التابعين .

وولى قضاء مرو التى بها صنف غريب الحديث ، وكان صدوقا ثقة فيما يرويه ، وقصته مع المأمون فى بغداد بكسر السين تدل على فطانته ودقته ، وإحاطته بضبط الحديث الشريف .

أما جهوده فى القراءات ، فلا نرى له فيها شىء مما يدل على أنه ركز جهوده فى اللغة ، أما النحو فكان قليلا ، ولم تظهر له أفكار حتى نرويه وإن كانوا يقولون انه أخذ اللغة والنحو عن الخليل ، وعن العرب فى فى البادية أربعين عاما .

آثاره :

صنف على مثال كتابه الغريب في الحديث كتابا في الأجناس وسماه كتاب الصفات ، وجزؤه الأول يشتمل على خلق الانسان والجود والكرم وصفات النساء والثاني يحتوي الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشباب والأمتعة والثالث على الابل والرابع يحتوي على الغنم والطير والشمس والقمر والليل والنهار والالبان والكمأة ، والآبار والحياض والأرشية والدلاء ، وصفة الخمر .

والخامس الزرع والكرم والغيث ، وأسماء البقول والأشجار والرياح والسحاب والأمطار ، وله كتاب السلاح ، وخلق الفرس وكتاب الأنوار ، وكتاب المعاني ، وكتاب المصادر ، وله كتاب المدخل الى كتاب العين ، وكتاب الجيم .

وفاته :

مات رحمه الله بعمرو سنة ثلاث ومائتين للهجرة الشريفة وقيل ٢٠٤ هـ بعد عمر طويل قضاه في خدمة علوم الاسلام لغة وحديثا وغريبا وشعرا وفقها ومعرفة بأيام العرب ، حتى صار مضرب الأمثال في كل ما سبق .

٨ - أبو زيد سعيد الأنصارى

نسبه : —

هو أبو زيد النحوى سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد ابن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبه بن كعب ابن الخزرج هكذا نسب أبى زيد فى هذه الرواية وهذا غير دقيق كما قال القفطى ثم قال والصواب ما ذكره ابن سعيد (٢) قال أخبرنا أبو زيد النحوى واسمه سعيد ابن أوس بن ثابت بن بشر بن أبى زيد . قال : ثابت ابن زيد بن قيس هو جدى وقد شهد أحداً ، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن الكريم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد نزل البصرة مع أبى موسى الأشعرى مع عشرة بعث بهم عمر بن الخطاب ، واحتفظ بها ثم قدم المدينة ، فمات بها فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فوقف عمر على قبره فقال : رحمك الله أبا زيد ! لقد دفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانة .

---

(١) أنباه الرواه ٢/٣١ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩/١٨٢ .

ولكن الزبيدى فى الطبقات يذكر نسبه على خلاف ما سبق فيقول : (١)

هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن العتيك ابن حرام بن محمود بن رفاعة بن بشر بن الضيف ابن الأحمر بن القيطوم بن عامر بن ثعلبة بن حارث الأنصارى .

ويروى عن ابن الكلبى نسبا مخالفا لما ذكره فيقول :

أبو زيد صاحب العربية بالبصرة ، وهو عمرو ابن عزرة بن عمرو بن أخطب بن محمود بن رفاعة بن بشر ابن عبد الله المغيب بن الأحمر بن القيطوم بن عامر ابن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن الحارث بن عامر بن ماء السماء ، دخلوا فى الأنصار

وأجمع الرواة أن أبا زيد سعيد بن أوس بن ثابت ، فإما

---

(١) ص ١٦٥ الطبقات .

غلطا أو هو غير سعيد بن أوس ، وقد نسبه غير ابن الكلبي النسب الذي تقدم (والله أعلم) .

والذي أجمع عليه الرواة في نسبه أنه : أبو زيد سعيد ابن أوس بن ثابت من الأنصار .

وهو كما يقول السيرافي : أنصاري صليبة من الخزرج فهو عربي خالص النسب في ذلك .

ولد بالبصرة وعاش فيها ١٢٢هـ/ ٧٣٩م في خلافة هشام بن عبد الملك .

علمه ومكانته :

كان أبو زيد من رواة الحديث ،ثقة عند الناس مأموناً وكان عالما بالنحو ولم يكن مثل الخليل وسيبويه ، وكان يونس من باب أبي زيد في العلم باللغات فكان أحفظ الناس للغة بعد أبي مالك ، وأوسعهم رواية ، وأكثرهم أخذا عن البادية ، وقال: ابن مناذر : كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها ، وكان أبو زيد يجيب في ثُلُثَيْهَا ، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها (١)

(١) مراتب النحويين ص ٧٣ وما بعدها .

فهم يتوسعون فى الرواية والفتيا وكان أبو زيد كثير السماع عن العرب ثقة ، ضابطا ، فيقول الرواية ، قال أبو زيد سألت الحكم بن قنبر عن (تعاهدت صنيعتى) فقلت: تعهدت فقال : وكان عنده ستة من الأعراب الفصحاء فقلت : اسألهم ، فسألهم فكل قال : تعهدت فقال يا أبا زيد : رب علم كنت سببه أو شيئا نحو هذا[1] .

ويقول أبو عثمان المازنى : كنا عند أبى زيد فجاء الأصمعى فأكب على رأسه وجلس وقال هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشر سنين ، ويروى السيرافى عن أبى بكر القرشى قال : سمعت قوما يذكرون أبا زيد فى حلقة الأصمعى ، فساعدهم على ذلك ، ثم قال الأصمعى : رأيت خلفا الأحمر فى حلقة أبى زيد .

وكان الأخفش يقول [2] : أبو زيد أعلم من أبى عمرو ويقول سمعت أبا حاتم يقول : كان أبو زيد يتسع فى اللغات وكان يعيب على يونس اتساعه فى اللغات ، وكان أسحق بن أبى عبيدة والأصمعى ، وأغزر فى اللغات منهما ، وله كتب كثيرة ونوادر فى اللغة مشهورة قال ابن الفارى[٢] :

(١) القفطى ٢/٣٤ .

(٢) طبقات النحويين ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

أبو زيد كثير الرواية عن الأعراب ، كثير النقل ، ويقال أن بعض الأعراب من مضر مثل عقيل وشير نزلوا البصرة من مَحْلٍ أصابهم فتعلم عندهم أبو زيد " .

وله حلقة علمية مشهورة بالبصرة يغشاها كبار اللغويين والعلماء مثل سيبويه والأصمعي ونحوهم ، ويروى أن أعرابيا وقف على حلقة حاديا أي مُسْتَجيا ، فظن أبو زيد أنه جاء ليسأل مسألة في النحو فقال له أبو زيد : سل يا أعرابي عما بدا لك فقال على البديهة :

لست للنحو جئتكم ... لا ولا فيه أرغب
أنا مالي ولامرئٍ ... أبد الدهر يضرب
خل زيدا لشأنه ... حيثما شاء يذهب
واستمع قول عاشق ... قد شجاه التطرب
همه الدهر طفلة ... فهو فيها يشبب

فالرجل معجب بأبي زيد في فصاحته ولحنه ، لا في نحوه وقواعده ، وأمثلته التي لا يستريح اليها وكان أبو زيد جميل الخلق [1] مُحَبَّبا ، وكان يلقب الناس ، ويُلقّب الجرمي

(١) مراتب النحويين ص ٧٥ .

بالكَلْب لحوله واحمرار عينيه ، ولقب المازنى . تُدْرُج (١)

ولقب أبا حاتم : رأس البغل لكبر رأسه ، ولقب التوّزى أبا الوزواز (١) لخفة حركته وذكائه ، ولقب الزيادى طارقا لأن كان يأتيه بليل ، وأبو زيد رحمه الله كان من أهل العدل والتشيع ولم يأخذ أحد من علماء البصريين عن الكوفيين الا أبا زيد ، فإنه روى عن المفضّل فى أول كتابه النوادر الكبير ، وهو كتاب جامع للغرائب الكثيرة ، والألفاظ النادرة ، والأمثال السائرة (٢) قال أنشدنى المفضل لضمرة بن ضمرة :

بكرت تلومك بعد وَهْن فى الندى
بُسْلٌ عليك ملامتى وعتابى

قال أبو زيد فى النوادر :

قال أبو حاتم : بكرت أى عجلت ، ولم يرد بكور الغدو ومنه باكورة الرطب والفاكهة للشئ المتعجل منه ونقول أنا أبكر العشية فآتيك ، أى أعجل ذلك وأسرعه ، ولم

---

(١) طائر الجراد يغرد فى البساتين بأصوات طيبة (حياة الحيوان للدميرى) . (٢) طائر خفيف الحركة .

(٣) طبع بيروت ت سعيد الخورى ٢٠٣/١ .

يرد الغدو ألا تراه يقول بعد وَهْن ، أى بعد نومه

والندى : السخاء والعطاء ، فلا منه فى ذلك وأمرته بالامساك — بَسْل عليك — حرام عليك وكذلك قول زهير :

بلاد بها نادمتهم وألفتهم
فإنْ تقويا منهم فإنهم بَسْل

قال أبو حاتم : " هى بسل ، وهما بسل " ، وهن بسل ، الواحد والاثنان والثلاثة والذكر والأنثى فيه سواء " فهو مثال لنوادره اللغوية ، وبها اشتهر وعرفت عنه .

وكان أبو زيد الأنصارى إماما من أكبر أئمة اللغة والنحو والشعر والأدب فى العصر العباسى الأول يختلف الى مجلسه كثير من رواد العلم ينهلون من فيضه ويشهدون له بالتقدم والفضل .

وحلقته بمسجد البصرة الجامع يدرس فيها الشعر والأخبار وعلوم اللغة والحديث والقراءات . وماذا نقول فى حلقة يؤمها النابهون من أمثال المازنى والتوّزى والجاحظ والجرمى والسجستانى والرياشى وخلف الأحمر والزيادى

---

(١) أنباه الرواه ٢/٣٢ ، ٣٣ .

وغيرهم وكان موضع احترام وتقدير من تلاميذه ومريديه ومعاصريه ، وكان يحضر اليه الأعراب فمن ذلك قول أعرابي له بعد قول أبي زيد له أنتم أهل خشونة يا أهل البادية ، ونحن أهل لين وغزل فقال الأعرابي : كيف تكونون أغزل منا ، ومنا من يقول :

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة
لم تجن طولا ولا أزرى بها قصر

غراء كالقمر المشهور طلعته
لا بل ترى مثلها لما استهى القمر

مالان قلبي كفاه عن مودتها
وهل يلين لقول الواعظ الحجر

قال فكتبنا ، قال وفينا من يقول أيضا : —

هيفاء فيها اذا استقبلتها قصف
عجزاء خامصة الكشحين معطار

غراء لم يرها ما يخدرها
بساحة الدار لا بعل ولا جار

هذا وقد طال عمر حلقته بطول عمر صاحبها ، وقد اعتمد سيبويه قوله وعبر عنه بالثقة ومن لا يتهم كما كانت

آراؤه موضع ثقة المازنى فى كتبه ، كذلك ابن السكيت يعتمد كثيرا على أقواله فيورد اسمه فى اثنتين وأربعين صفحة من إصلاح النطق ، وكذلك الفارسى انتفع بآرائه وكتبه ووصفه بالضبط فى الرواية ، كما شغف ابن جنى بمؤلفات أبى زيد والرواية عنه فى كتبه فى المحتسب وسر صناعة الأعراب والمنصف ، والتمام فى تفسير أشعار هذيل ، ونقل المبرد فى كتبه عنه ، وكذا كان مصدرا من المصادر المهمة للمعاجم اللغوية التى أُلفت بعد زمانه كالجوهرى وابن سيده وابن منظور وغيرهم ، كما برع فى النحو والاشتقاق ، وكانت لغته تشبه لغة الأعراب الخلّص ، وحكم ابن زيد قاطع فى كل قضية لغوية تعرض عليه كمسألة الحكم بن قنبر فى تعاهدت وتعهدت ، وأرعد وأبرق ورعد وبرق فى التهديد ثلاثيا وغير ثلاثى وشهد الأعرابى بذلك ، ولم يؤيد رأى الأصمعى فى التهديد ثلاثيا فقط ، كما كان عالما بالغريب وتفسيره ، لتمكنه من ذلك لمشافهة الأعرابى فى البادية ، وهو من أئمة الأدب وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب وقد شهد لكثير من العلماء باتساعه فى اللغات والنوادر ومعرفة النحو حتى فضله الأخفش على ابن العلاء ، وكان ثقة أيضا ، أمينا يجله الأصمعى وغيره .

المآخذ : —

لم يسلم من التنقص في علمه وفي روايته فقال عنه الساجي "كان قدريا ضعيفا غير ثبت" وقال ابن حبان يروى عن ابن عون ماليس من حديثه ولا يجوز الاحتجاج بما انفرد به من الاخبار ولا الاعتبار الا بما وافق الثقات مثل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لبلال :أسفروا بالفجر فانه أعظم الأجر ، ونسبه الى ابن عون وابن سيرين وأبي هريرة ليس لهم وانما هو من حديث رافع بن خديج ولكن ابن حجر ردّ قولهم بأنه كان ثقة ثبتا [1] وان أبا داود والترمذي رويا عنه ، أنه صحف في اللغة مثل حمنطيا — يراغم ربه والصحيح بالطاء والزاي ، ومن ذلك ما رد به على سائل في النحو بأن سيبويه لا يرضى بهذا فقال : اسكت يا صبي فلقد جلستُ هنا قبل أن يولد سيبويه بثلاثين سنة وكل ذلك لا يغض من قيمة الرجل ولا ينقص من قدره فله آثاره الجلى وتلاميذه الكثار رحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) النوادر ص ٣٩ ، ٤٠ .

فكاهته وظرفه وحسن أدبه : ـ

امتاز أبو زيد بهذه الصفات فيما يرويه قوله : وقفت بباب سليمان بن أبي العاص الثقفي على قَصَّاب وقد أخرج بطنين سمينين موثورين فعلقهما فقلت : بكم البطنان فقال : بمصفعان يا مضرجان قال : فغطيت رأسي وفررت لئلا يسمع الناس فيضحكوا منه ، وقال أيضا : كنا ببغداد فأردت الانحدار الى البصرة فقلت لابن أخي : اكتر لنا فجعل ينادي : يا معشر الملاحون فقلت له : ويلك ما تقول ؟ قال : جعلت فداك ، أنا مولع بالرفع .

وقال روح بن عبادة : كنا عند شعبة بن الحجاج فضجر من الحديث ، فرمى بطرفه فرأى سعيد بن أوس في أخريات الناس فقال يا أبا زيد :

استعجمت دار مَيّ ما تكلمنا
والدار لو كلمتنا ذات أخبار

اليّ أبا زيد فجاء ، فجعلا يتناشدان الأشعار فقال بعض أصحاب الحديث يا أبا بسطام ، نقطع اليك ظهور الابل لنسمع منك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فَقَدَعْنا وتقبل على الأشعار قال : فرأيت شعبة قد غضب غضبا شديدا ثم قال : يا هؤلاء أنا أعلم بالأصلح لي .

أنا والله لا اله الا هو فى هذا أسلم منى فى ذاك .

وقال : أحمد بن يحيى أبو زيد يقول (١) لأصحابه:

اقترفوا قِرْف القمع إنى اذاً الموت كنع
لا أتوقى بالجزع ما طار شئ وارتفع (٢)
الا كما طار وقع

قال وأنشدنى فيها ابن الأعرابى :

حسبى بعلمى أن نفع
ما الذل الا فى الطمع
من راقب الله نزع
عن قبح ما كان صنع

وقد أرسل الكسائى الى أبى زيد كتابا ردا على كتابه الذى أرسله اليه حيث قال :

منينا سوء ما عليه أصحابه ، وهم مشتركون فى ذلك مع أصحاب أبى زيد ، ولولا السلامة لصارا مثلهم ، ولكن الله هو العاصم .

(١) أخبار النحويين البصريين ص ٧٠ ، ٧١ .
(٢) قرف القمع ما كان عليه من الوسخ .

شكوت الى مجانينكـــــم

فأشكو اليك مجانينـــــا

لئن كان أقداركم قد نُمُوا

لأ قـدرٌ وأنتن بمن عندنـــا

فلولا المعافاة كُنّا كهـــم

ولولا البلاء لكانـــوا كُنـــا

فأبو زيد يمتاز بحسن الحديث والفكاهة ، والنـادرة ما جعله أهلا لحب الناس يقصدونه ويطلبونه ، لأنـــه يحل لهم الخير والمتعة ، والنكتة الطيبة الجيدة .

جهوده اللغوية : ـ

لقد أخذ اللغة عنه أكابر الناس ، وقصده الجميع للافادة ، فكان أحفظ الناس لها وأوسعهم لها رواية وأكثرهم أخذًا عن أعراب البادية ، وله فيها جلالـــة وعزة وعلو مكانة يشهد لذلك قصته مع الخليل عندما أرسل اليه رجل من أهل رامهرمز يقال له علاقة كيف يقال ما أوقفك ها هنا ، ومن أوقفك فكتب اليه . هما واحد . قال أبو زيد ، فلقيني الخليل فقال لي في ذلك

(١) مراتب النحويين ص ٧٥، ٧٦ .

فقلت له : لا . وانما يقال : من وقفك وما أوقفك .
قال فرجع الخليل الى قولي . قال أبو الطيب اللغوي
وأما الأصمعي فإنه يأبى منهما جميعا الا ، وقفك "
بغير الف . قال وسمعت أبا عمرو يقول : لو قلت : ما أوقفك
ها هنا ؟ (١) أي ما عرضك للوقوف ؟ كان صوابا .

وهذا دليل على الثقة القوية في أبي سعيد وسؤال الخليل له ، ورجوعه الى رأيه وقد أخذ عنه اللغة سيبويه وحسبك ، وكان سيبويه يأتي مجلس أبي زيد وله ذؤابتان قال فاذا سمعته يقول : وحدثني من أثق بعربيته فإنما يريدني وكبر سن أبي زيد حتى اختل حفظه ولم يختل عقله " (٢) .

كما يحكي المازني عنه : يقال : أسوأ الرجل مهموزا اذا أحدث قال وكان أبو زيد يقول لأصحابه : أخطأتم وأسوأتم " وصحح الأجوف على صيغة أفعل واستفعل مثل : أثوبة ، أجوده ، أسود ، اعوف ، استجوب استصوب ، استطيب ، وفي شرح الشافية عن ابي زيد أنه جوز تصحيح باب الأفعال والاستفعال قياسا مطلقا ، ولكنهم يقيدون رأيه بالقياسية بشرط أن يكون لها فعل ثلاثي " (٣)

(١) المزهر ٢/٤٠٢ . (٢) أخبار البصريين ص ٦٩ ، ٧٠ .
(٣) ٣/٩٧ .

وقد روى عنه سيبويه فى الكتاب تسع مرات ، وجملة ما روى عنه من اللغة كقوله: وحدثنا من لا أتهم أنه سمع من العرب من يقول : رويد نفسه جعله مصدرا كقوله : فضربَ الرقاب ، وقال أبو زيد بعد موت سيبويه وأخبرني الثقة وأنا أخبرته . ولا يعرف أحد سر عدم التصريح باسم أبى زيد ، وإن كان وصفه بأفضل الصفات وأصدقها ، وهذا إجلال للرجل وتقدير له ، وإعلاء لشأنه فقد أخذ اللغة عن العرب وابن العلاء ورؤبة وعمرو بن عبيد وسمع كثيرا من العرب ، وكان رحمه الله إماما من أئمة النحو لكنه لم يبلغ شأو الخليل وسيبويه ، فقد غلبت عليه اللغة والنوادر والغريب كما عرف بالتسامح والبعد عن العصبية المقيتة فقد نقل عن المفضل الضبى : وهو كوفى فكان وحيدا فى ذلك ، وسئل عنه أبو عبيدة والأصمعى : فقالا : ما شئت من عفاف وتقى وإسلام ، وكفى بذلك شهادة .

---

(١) الكتاب ١/١٢٥ .

جهوده في الحديث الشريف : -

كان أبو زيد من رواة الحديث الثقة فقد روى له أبو داود في سننه ، والترمذى في جامعه مع أنه لم ينقطع للحديث ولا كان الحديث أغلب عليه ، وهو صدوق مأمون (٢)

قال أبو زيد لقيت أبا حنيفة فحدثته بحديث فيه "يدخل الجنة قوم حفاة عراة منتنين قد أحمشتهم النار " فقلت له : " منتنون قد محشتهم النار " فقال : ممن أنت : قلت : من أهل البصرة قال : قل أصحابك مثلك ؟ قلت : أنا أخسهم حظا في العلم ، فقال : طوبى لقوم تكون أخسهم ، ومن نوادره العجيبة أن أصحاب الحديث سرقوا نعله ، فكان إذا جاء أصحاب الشعر والعربية والأخبار رمى ثيابه ، ولم يتفقدها ، وإذا جاء أصحاب الحديث جمعها كلها ، وجعلها بين يديه وقال : ضمّ يا ضمّام ، واحذر (٢) لا تنام .

وقد روى عنه الحديث أبو عبيد القاسم بن سلام ، ومحمد ابن سعد الكاتب ، وأبو حاتم السجستاني وأبو زيد عمر بن شبه ، وأبو حاتم الرازي وغيرهم ، وكان ثقة ثبتا .

(١) سيبويه، النجدي ص ٩٦ .
(٢) انباه الرواه ٢/ ٣٣ .

تلاميذه :

تلاميذ أبى زيد كثيرون لا نستطيع حصرهم وقد عثر محقق كتاب نوادره على أربعة وأربعين طالبا فقط ، وذلك لكثرة رواد حلقته بمسجد البصرة ومن أشهرهم : التوزى ، والجاحظ ، والجرمى ، والسجستانى ، والحرمازى وخلف الأحمر ، والرياشى ، والزيادى ، وسيبويه وابن سلام ، وأبو العيناء ، ومؤرج السدوس ، واللحيانى و المازنى ، ومحمد بن سعد الكاتب .

وقد أخذ غيرهم عن طريق غيره رواية ، أو نحوهما مثل ثعلب وابن السكيت وأبى عمر الوراق والهروى وأبو نصر والخياط وغيرهم فالرجل تلاميذه من أخذوا عنه مشافهة أو رواية عن غيره كثيرون ، وكان ثقة ضابطا أمينا ، ثبتا فى فروع التراث الثقافى العربى والاسلامى القائم على اللغة والنحو والعروض والشعر والأدب والأخبار والأمثال والقرآن الكريم والحديث الشريف ، كما أخذ من الثقافات الأجنبية الدخيلة ، ونبغ فى علم القياس الذى كان يدرسة فى حلقته لتلاميذه ، وقد حدث مؤرج بن عمرو السدوسى أحد تلاميذه أنه (قدم من البادية ولا معرفة له بالقياس فى العربية ، قال : فأول ما تعلمت القياس فى حلقة أبى زيد الأنصارى بالبصرة " ولما تعددت معارفه كثر

ألقابه فيذكرون أنه (الأنصاري البصري ، والنحوي واللغوي ، والخزرجي) بدون تعصب نحو طلب العلم بعيدا عن الصراع بين المدرستين ، ولذلك أخذ من علماء الكوفة كما قدمنا " (١).

شيوخه ومعاصروه : ـ

تلقى أبو زيد علمه عن شيوخ أجلاء في مسجد البصرة أو رحل إليهم في الكوفة أو في بوادي الحجاز ولا يستطيع الباحث حصرهم فقد أخذ القراءة عن أبي عمرو بن العلاء ، والمفضل الضبي عن عاصم ابن أبي النجود ، كما أخذها عن أبي السمال وأخذ الحديث عن عبد الله بن عون ، وشعبة ابن الحجاج ، وعمرو بن عبيد ، وإسرائيل بن يونس وأخذ اللغة والشعر عن أبي عمرو بن العلاء وأبي البيداء الرياحي وأبي الخطاب الأخفش ، وأبي خيرة العدوي ، وأبي الرقيش الأعرابي ، ورؤبة بن العجاج ، وعوف الأعرابي والمفضل الضبي ، وأبي مالك النميري ، ويونس ابن حبيب وأبي طفيلة وأخذ النحو عن عيسى الثقفي ويونس بن حبيب ومن أشهر من عاصرهم الأخفش الأوسط والأصمعي ، وابن الأعرابي ، وحماد بن سلمة بن دينار

(١) انظر كتاب النوادر ص ١١ ، ١٣ .

والشافعي وأبو عبيدة وعلى بن نصر وأبو عمرو الشيباني . والفراء والكسائي ومعاذ الهراء والنضر بن شميل وهارون ابن موسى واليزيدي ويعقوب بن اسحاق الحضرمي .

كتبه : ـ

ترك أبو زيد كتبا كثيرة في مختلف أنواع المعارف اللغوية والأدبية والنحوية وغيرها وكتبه أكثرها مفقود لا يعرف منها الا أسماؤها ، ولم يطبع من كتبه سوى كتاب المطر ، وكتاب اللبأ واللبن ، وكتاب الهمز ، وكتاب النبات والشجر ، وكتاب النوادر (١) وقد ذكر القفطي فيها كثيرا حيث قال : " وله من الكتب المصنفة كتاب ايمان عثمان وكتاب حيلة ومحالة ، وكتاب القوس والترس وكتاب (سماوية) وكتاب (المصري) وكتاب الابل ، وكتاب خلق الانسان وكتاب الأبيات وكتاب المطر ، وكتاب المياه ، وكتاب الغرائز وكتاب النبات والشجر ، وكتاب اللغات ، وكتاب قراءة أبي عمرو وكتاب النوادر ، وكتاب الجمع والتثنية وكتاب اللبن وكتاب بيوتات العرب ، وكتاب تخفيف الهمز ، وكتاب حياة وكتاب المقتضب وكتاب الوحوش وكتاب الفرق وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب غريب الأسماء ، وكتاب الهمز ، وكتاب المصادر

---

(١) النوادر ص ١٣ ، ١٤ .

وكتاب الحلية ، وكتاب نابه ونهسه ، وكتاب معانى القرآن وكتاب النحو الكبير ، وكتاب الصفات ، وكتاب الثمر ، ونعت الغنم ، نعت الشافاهات ، وكتاب الجود والبخل ، وكتاب الأمثال وكتاب التثليث ، وكتاب اللامات ، وكتاب المكنوم وكتاب المنطق [1] وغير ذلك مما لا يحصر .

وفاته :—

توفى أبو زيد بعد حياة حافلة بالرحلة والانتقال فى سبيل تحصيل وإفادة الناس ، ولقد كبرت سنه وعانى المرض واستمر فى حلقة العلم حتى صعدت روحه الى بارئها سنة ٢١٤ هـ وقيل ٢١٥ هـ أو ٢١٦ هـ أو ٢١٧ هـ .

يقول السيوطى عنه : وكان فى العصر ثلاثة هم أئمة الناس فى اللغة والشعر وعلوم العرب ، لم ير قبلهم ولا بعدهم مثلهم عنهم أخذ جل ما فى أيدى الناس من هذا العلم كله [2] وهم :—
أبو زيد وأبو عبيدة والأصمعى " رحمه الله رحمة واسعة بعد أن قارب المائة سنة .

---

(١) انباه الرواه ص ٢/ ٣٥ .
(٢) المزهر ٢/ ٤٠١ .

٩ - حماد بن سلمه بن دينار

نسبه : -

هو حماد بن سلمة بن دينار مولى ربيعة بن مالك الإمام المشهور إمام الحديث وشيخ أهل البصرة في العربية وقد ذكره السيرافي في نحاة البصريين فقال : لا أعلم في البصريين من ذكر عنه شيء من النحو واسمه حماد إلاَّ حماد بن سلمة[1] ، يقول[2] الزبيدي عن حماد لقد أخذ عن الخليل وهو مولى بني تميم على أنه قد أخذ عن عيسى بن عمر قبله .

علمه وفضله : -

لقد تلقى العلم عن الخليل وعيسى بن عمر فقد روى الزبيدي قال : أخبرنا محمد بن يزيد قال حدثنا إسماعيل ابن إسحاق قال : كان الخليل يجلس في مسجد بني الجُلَنْدى فيجيئه حماد ابن زيد وجرير بن حازم ، وعباد ابن عباد ، وحماد بن سلمه ، فكان حماد بن زيد اذا أخذ نَعْلَه للقيام قام القوم : قد ضرب بالطبل فلا يجلسون بعده .

وكان حماد مهتما بتعلم العربية وإتقانها فكان يمر بالحسن

(١) بغية الدعاة ١/٥٤٨ وأخبار النحويين ص ٥٩ .
(٢) مراتب النحويين ص ١٠٧ .

البصرى فى المسجد الجامع فيدعه ويذهب الى أصحاب العربية يتعلم منهم ، ويقول يونس بن حبيب : أول من تعلمت منه النحو حماد بن سلمة [1] وقال الجرمى : ما رأيت فقيها قط أفصح من عبد الوارث بن سعيد التميمى ت ١٨٠ هـ ، وكان حماد بن سلمه أفصح منه ، وكان اماما فاضلا قديم العهد قيل ليونس النحوى أيهما أسن أنت أو حماد بن سلمة ؟ قال : هو أسن منى ، ومنه تعلمت العربية . وكان يونس يقول أيضا : كان حماد رأس حلقتنا ، ومنه تعلمت العربية ، وقال حماد بن سلمة :ـ

مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها) .

وقد روى عن كثير من التابعين فمن بعدهم ، وكان مفتى البصرة ، ومن العباد المجاب الدعوة ، ولم يكن له فى البصرة قرين فى الفضل والدين والنسك .

وكان يعد من الأبدال الذين لا يولد لهم ، وقد تزوج سبعين امرأة ولم يولد له .

وروى له مسلم والأربعة .

وقال الذهبى : كان إماما رأسا فى العربية فصيحا ،

---

(١) طبقات النحويين ص ٥١ .

أيضا ، كبير القــدر ، صاحب سُنّة شديدًا على المبتدعة زاهدا حجة ، روى لـه مسلم والأربعة فعلمه بالحديث الشريف كان الهدف ، ولذلك ذهب اليـه سيبويـه ليأخـذ الحديث عنـه ، وحاول أن يأخذ منـه العربيـة ، فوجدها عنده أقل مما رآه عليـه من علوم الدين فتركـه الى الخليـل ليأخـذ عنه العربيـة .

سبب ترك سيبويـه له : ـ

يَرْوُون ذلك فيقـولون ، وذكر نصر بن على قال : كان سيبويـه يستملى على حماد فقـال حماد ، قال رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم : ما أحدٌ من أصحابى إلاَّ وقـد أخذت عليه ليـس أبا الدرداء . فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء فقال حماد لحـنت يا سيبويه . فقال سيبويـه : لا جَـرَم لأطلبـنَّ علما لا تلحـننى فيـه أبدا . فطلب النحـو ولزم الخليل .

وهذه الروايـة الأولى فى سبب تركه حمادا وطلبـه العلم عنـد الخليل .

---

(١) أخبار النحويين والبصريين ١/٥٨ ، ٥٩ .

وروى القفطى سببا آخر ينسبه الى يونس بن حبيب فقال وسأله سيبويه فقال : أحدثك هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رعف فى الصلاة فقال أخطأت ياسيبويه انما هو رَعَفَ ، فانصرف سيبويه الى الخليل شاكيا ما لقيه من حماد فقال صدق حماد . أَمِثْلُه يلقى بمثل هذا؟.

وكان الرجل إماما فى العربية فصيحا بليغا يقول عن نفسه من لحن فى حديثى فقد كذب علىّ . ولكن اهتمامه الأكبر انصب على الحديث الشريف وروايته ، ولذلك روى له مسلم والأربعة ، ولكن العربية كانت بعد الحديث فتعلم منه جماعة رفيعة القدر منهم يونس والجرمى وغيرهما وذكره اليزيدى فى طبقات النحويين .

وفاته : ـ

توفى حماد بن سلمة بالبصرة بعد حياة حافلة لخدمة العلم والدين ، ودفن بها وقد أورد السيرافى فى كتابه قصيدة لأبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى يمدح نحوى البصرة ، ويهجو الكسائى أصحابه ، ويرثى أبا عمرو حماد بن سلمه وفيها يقول : ـ

(١) أنباه الرواه ١/٣٦٥.

يا طالب النحـــو ألا فابكِـــــــه

بعد أبي عمـــرو وحمـــاد

والقصيدة طويلـة -وقد ذكرتها- كما وردت في كتـــاب السيرافي ص ٥٧ ، ٥٨ وخاصـة أنه صرح باســم يونس وفيها حيث يقـول : -

يونس النحـوي لا تنســــــه

ولا خليـــلاً حيـة الـوادي

واعتبر النحو بعده قد ضاع ، لأنـــه كان شيخ أهل البصرة في العربيـة وتوفي سنة ١٦٧ هـ .

رحمه الله رحمـة واسـعة .

***

١٠ – على بن نصر الجهضمى البصرى

نسبه وعلمه : –

هو على بن نصر الجهضمى ويكنى بأبى عمرو الجهضمى البصرى ، قدم بغداد وحدث بها وكان من أصحاب الخليل فى العربية ، ورفيق سيبويه فى طلب النحو عن الخليل إلا أن النحو قد انتهى الى سيبويه ، وروى له الجماعة ويقول سمعت الأخفش (١) يقول : نفذ من أصحاب الخليل فى النحو أربعة : سيبويه ، والنضر بن شميل ، وعلى بن نصر وهو أبو نصر بن على هذا ومؤرج السدوسى وكانوا زملاء سيبويه ورفقاء عند الخليل .

وقد روى الزبيدى (٢) عنه قوله : لما أراد سيبويه أن يؤلف كتابه قال لأبى على : تعالَ نُحْيِ علم الخليل وقد كرع من علم الخليل ، ولكن غلب عليه الحديث الشريف مع علمه بالنحو ، وكان محدثا ثقة ، روى عنه الجماعة ونقلوا عنه .

توفى سنة سبع وثمانين ومائة كما روى السيوطى فى البغية (٣) وقيل سنة ١٨٠ . وقيل مات سنة ٢٥٠ (تاريخ بغداد ٦/ ٢٨٩)

(١) انظر البغية جـ ٢ / ٢١١ . ومراتب النحويين صـ ١٠٩ .
(٢) صـ ٧٥ . (٣) ٢/ ٢١١ .

مؤرج بن عمرو أبو فيد السدوسى

هو مؤرج بن عمرو السدوسى البصرى ، وكنيته أبو فيد (والفيد هو الزعفران أو رائحته) ، أخذ عن أبى زيد الأنصارى ، وسمع الحديث من أبى عمرو بن العلاء ، وغيره ، وصحب الخليل فكان من أكابر أصحابه .

وقيل إنَّ اسمه : مرثد ، ومؤرج لقب له كما يقول ابن خلكان " (١).

وقد ذكر القفطى نسبه كاملا فقال : صاحب العربية وهو مؤرج بن عمرو بن الحارث بن ثور بن حرملة ابن علقمة بن عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

كان بخراسان ، وقدم المأمون الى بغداد ، ويقول قدمت من البادية ، ولا معرفة لى بالقياس فى العربية وانما كانت معرفته بالعربية قريحة قال : أول ما تعلمت القياس فى حلقة أبى زيد الأنصارى (٢) بالبصرة . ويقول

(١) ١٩٤/٢ .   (٢) ٣٢٧٦/٣ .

مؤرج اسمى وكنيتى غربيان ، اسمى مؤرج والعرب تقول : أرجت بين القوم ، وأرّشت اذا حرّشت ، وأنا أبو فيد ، والفيد ورد الزعفران ، ويقال : فاد الرجل يفيد فَيْدًا اذا مات .

وكان رحمه الله من الثقة المقدمين عند الخليل .

قال المرزبانى : وجدت بخط اليزيدى يعنى محمد ابن العباس . أهدى أبو فيد مؤرج السدوسى الى جدى محمد بن أبى أحمد كساء فقال : جدى فيه يمدحه على هديته اليه .

سأشكر ما أدلى ابن عمرو مؤرج
وأمنحه حسن الثناء من الود
أغرّ سدوسى نماه الى العلا
إن كان صبا بالمكارم والمجد

الى أن قال :
سأشكر ما عشت السدوسى بِرّهُ
وأوصى بشكر للسدوسى من بعدى

---

(١) أنباه الرواه ٣/٣٢٨ .

شعره : ـ

لقد كان السدوسى أحد من نجم من أصحاب الخليل ، والغالب عليه اللغة والشعر ، وأنشد له هارون ابن على بن يحيى المنعم فى كتابه قوله : ـ

روعت بالبين حتى ما أُراعُ لـه
وبالمصائب فى أهلى وجُدَّاشـى
لم يترك الدهر لى علقا أضَنُّ بـه
إلاَّ اصطفاه بِنَـأْىٍ أو بهجران

ويقول هارون عنهما : من أحسن ما قيل فى معناهما .

مؤلفاته : ـ

ترك السدوسى كتبا مختلفة ومنها كتاب الأنوار وهو كتاب حسن ، وكتاب غريب القرآن الكريم ، وكتاب جماهير القبائل ، وكتاب المعانى .

شيوخه :

لقد تلقى عن شيوخ أجلاء فى كل ألوان المعرفة فقد سمع من مرة بن خالد وأبى عمرو بن العلاء ، وهارون ابن موسى النحوى وهو أحد أئمة الأدب وكان يسكن مـرو

ثم قدم نيسابور ، وأقام بها فكتب عنه مشايخها وهم محمد بن المنجل ، وعلى بن الحسن الذهلى وهو من أصحاب الخليل الملازمين له الآخذين عنه ، وأحمد الجرزين من تلاميذه ، وقد أسند الحديث عن سعد بن الحجاج وأبى عمرو بن العلاء وغيرهم .

تلاميذه : ـ

روى عنه النضر بن شميل اللغة والشعر وقد غلب عليه ذلك (١).

كما روى عنه كثير من طلاب المعرفة ، كما روى عنه من العراقيين أحمد بن محمد بن أبى محمد اليزيدى .

وفاته : ـ

توفى رحمه الله ببغداد سنة ١٩٥ هـ .

---

(١) أنباه الرواه ٣/ ٣٣٠ .

الخليل بن أحمد الفراهيدى

نسبه :

هو الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن بن أحمد ابن عمرو بن تميم بن الفراهيد قيل هو منسوب الى بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث .

قيل هو منسوب الى فرهود بن شبابه بن مالك بن فهم .

قال يونس : الفرهودى مثل : فردوسى وهو حى من الأزد وقد أخذ التوّجى والمازنى والزيادى قالوا : قال رجل للخليل ابن أحمد . من أى العرب أنت : قال : فراهيدى ثم ساله آخر فقال فرهودى ، قال المبرد فراهيدى انتسب الى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، وكان من أنفسهم ، صحيح النسب ، معروف الأهل وفرهودى (١) تنسب الى واحد الفراهيد . وهو فرهود ، والفراهيد : صغار الغنم . وأبوه أول من سمى بأحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو حاتم يقول الخليل بن أحمد الفرهودى بن الفراهيد من اليمن .

---

٢٥١ مراتب النحويين ص ٥٥ ، ٥٦ .

واسم الرجل عنده فرهود بن مالك ، وكان يذهب الى أن الفراهيد جمع مثل قولهم : الجمافرة ، والمهالبة والجمع لا ينسب اليه . تقول هذا رجل من الجمافرة ومن المهالبة : جمافرى ، ولا مهالبى .

والواقع أن النسبة الى الجمع جائزة اذا اشتهر بذلك نحو أنمارى وأنصارى فالنسبة هنا صحيحة " الفراهيدى " وقد اشتهر بها ولا ضير فى ذلك وهو عربى من أزد عمان وقد ولد بها سنة مائة من الهجرة ، ونشؤه وحياته ومعيشته فى البصرة ، طالبا للعلم ، ملازما لحلقات العلماء منكبا على تحصيله فى همة وعزيمة نادرة .

صفاته وعلمه : ـ

كان الخليل ذا عقلية خصبة نادرة ، يلتهم العلم ويستوعبه ويفتح أبوابه الموصدة فى صورة قل أن يوجد لها نظير ، ولقد صدق فيه قول (1) عبد الله بن المقفع من أن عقله أكثر من علمه ، وهو عقل نيّر اتصل به كل علم ، وحاز لنفسه ما يريد من ثراء فى الفكر ودقة رائعة فى الاستنباط ، أذهلت الجميع حتى قيل عن النوجّى : أنه اجتمع بمكة أدباء كل أفق ، فذكروا أمر العلماء فجعل

(1) المدارس النحوية وانباه الرواه جـ ١ /٣٧٦ والبغية ١/ ٥٥٧ .

أهل كل بلد يرفعون علماؤهم ويصفونهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق أحد الا قال : الخليل أذكى العرب وهو مفتاح العلوم ومصرفها " ومما زاده شرفا ورفعه أنه كان من الزهاد فى الدنيا المنقطعين الى العلم ، ويروى عنه أنه قال : " ان لم تكن هذه الطائفة — يعنى أهل العلم — أولياء لله فليس لله ولى " وقال عنه تلميذه على بن نصر : كان الخليل من أزهد الناس ، وأعلاهم نفسا ، وأشدهم تعففا ، ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرضون له لينال منهم ، ولم يكن يفعل ، وكان يعيش من بستان له خلفه عليه أبوه بالخُرَيْبَة بالبصرة ، ويحكى أبو الطيب [1] عن وهب بن جرير أنه يقول : قل من كان بظاهرة البصرة من العلماء والزهاد الا كان فى باطنتها مثله ، يضعه أهل البصرة حياله ، فكان عبد الله بن عون فى الباطنة ، وكان يعد الخليل بن أحمد فى الظاهرة نظيره .

كما روى أن الخليل بن أحمد كان يحج سنة ويغزو سنة حتى جاءه الموت " .

فكان من العلماء الأخيار التى يضرب بهم المثل فى طهارة النفس ورفعة القدر ، وجعل حياته كلها علما وتقوى وورعا .

---

(١) مراتب النحويين صـ ٥٥ ، ٥٦ .

فأصبح كريم النفس عظيم السيرة فما أروع ما حكى أبو الطيب عن أبى عاصم الشيبانى عنه قال دخلنا على الخليل بن أحمد قبل وفاته بأيام فقال : والله ما فعلت قط فعلا أخاف على نفسى منه وكان لى فضل فكر صرفته الى جهة وودت أنى كنت صرفته الى غيرها وما علمت أنى كذبت متعمدا قط ، وأرجو ان يغفر الله لى التأول " .

ولقد قال تلميذه النضر بن شميل : أقام الخليل فى خُصٍّ من أخصاص البصرة لا يقدر على فلس وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال " (١).

وعلى هذا الطريق المستقيم صان العلم وحفظ وجهه من الدنس بمتاع الدنيا وزخارف الحياة التى كان الناس يلهثون وراءه ويشغفون به ، وتعلق بمتاع واحد ، سعى اليه فى جد واجتهاد ، وألح على تحصيله الا وهو المتاع العقلى الذى استهل فى تحصيل كل الشدائد والتعب ، وداوم قرع هذا الباب حتى انفتح له مغاليقه وذلت له طلاسمه ، فبهر الدنيا وأدهش الناس ومازال حديث الجميع باعجاب واكبار وتقدير لهذه العقلية المتفتحة الجبارة حيث أبدع بدائع لم يسبق اليها من ذلك

---

(١) البغية ١/٥٥٨ .

علم العروض الذى دعا بمكة أن يرزقه الله علما لم يسبق اليه ، فرجع ففتح عليه بالعروض ، وكان له معرفة بعلم الإيقاع والتنظيم ، وقد ساعداه على استحداث علم العروض لأنهما متقاربان ، كما أنه وفق فى تأليف كلام العرب على الحروف فى الكتاب المسمى بكتاب " العين " فقد رتب أبوابه وتوفى من قبل أن يحشوه ، وقد أجاب الله دعاءه حيث تعلق بأستار الكعبة وقال : اللهم أرزقنى علما لم يسبقنى اليه الأولون ، ولا يأخذه الا عنى الآخرون ، . ثم رجع وعمل العروض فهذا الحس الموسيقى التى صنع هذا العلم من شعر العرب ، والحس اللغوى الدقيق الذى امتاز به جعله يُفَقِّه أسرار العربية ودقائقها ، وعرف المباحث الصوتية نقل سيبويه عنه فى كتابه نقولا كثيرة ، وكذلك فى الكتب المتأخرة ، وكانت مدرسته الصوتية التى اعتمد عليها فى ترتيب كتابه العين فتحا كبيرا فى تأليف المعجمات اللغوية ، كما اخترع علامات الضبط التى لاتزال تستعملها الى يومنا من حيث الدلالة بالحروف على الحركات الصوتية ، فضلا عن صناعة صرح النحو والتصريف واستنباط علله بصورة لم يسبق اليها نقله عنه بأمانة تلميذه سيبويه .

اعتزازه بنفسه وعلو شأنه: -

لقد بلغ الخليل في عزة النفس ، والاعتزاز بعلمه مبلغاً كبيراً هانت عنده الدنيا بمظاهرها الفانية ، وتمسك بالخلق النبيل مع ضيق الحياة وشظفها عليه. وانظر اليه وقد وجه اليه سليمان بن على عم الخليفة المنصور رسالة من الأهواز وكان واليها يلتمس منه الشخوص اليه ، وتأديب أولاده ، ورغبه في ذلك ويقال: إن الذي وجه اليه سليمان بن حبيب بن المهلب من أرض السند يستدعيه اليه ، وكان الخليل بالبصرة ، فأخرج الخليل الى رسول سليمان بن على خبزا يابسا وقال : ما عندي غيره ، وما دمت أجده فلا حاجة لي في سليمان فقال الرسول : فماذا أبلغه عنك فأنشأ يقول :

أبلغ سليمان أني عنك في سعه
وفي غنى غير أني لست ذا مال
سخَّى بنفسي أني لا أرى أحدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال
فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه
ولا يزيدك فيه حول محتال

---

(١) أخبار النحويين ص ٥٥ وبغية الوعاة ١/٥٥٨.

والفقـر في النفس لا في المال تعرفـه
وبثل ذاك الغنى في النفس لا المال

والمال يخشى أناسـا لا أصول لهـم
كما تخشى أصول الدندن (١) البالى

وفي طبقات الزبيدى (٢) أنه بعث اليه بطُرف وكسـاء ومال وفاكهـة فقبل الفاكهـة ، وصرف ما سواها ، وكتـب اليـه شعره .

والرجل خَيِّر أمين ، ذو نفسية طاهرة ، وطريق صالـح وانظـر اليه حيث قال :

واذا افتقرت الى الذخائـر لم تجـد
ذخرا يكون كصالح الأعمـال

ومما يدل على حبـه للعلم ، وحثـه على التعـلـم ، والاجتهاد في تحصيله قوله :

تربح الجهـل من الحيا، والكبر في العلم ، وقال ، نوازع العلم بدائع، وبدائع العلم سارح العقل ، ومن استغنى بما عنده جهل ومن ضم الى علمه علم غيره كان من الموصوفيـن بنعت الربانييـن أى العلماء .

---

(١) أصول الشجر . (٢) ص٤٤

وقال الخليل: وجدت في بعض كتب العلماء ، من أظهر حياء في التماس العلم وقعد عنه لبس الجهل ، وتقنع قناع السفه ، ومن امتدت له أيامه في غلواء جهله حشر يوم القيامة أعمى ، وقال : إني أدركت بعض ما أنا منه من العلم بأطراح الحشمة بيني وبين المعلمين والقائسي الستر بيني وبين الذين كنت ألتمس ما عندهم ومن رق وجهه عن طلب العلم رقّ علمه ، ووجدت الرقة في التماس العلم سَفَهًا ، يدعو الى سفاه ،وكل يدعو الى ضلال " .

ومن حكمه العالية قوله : زلة العالم مضروب بها الطبل

وقال المبرد : جلس رجل الى الخليل بن احمد فقال : أحسبني قد ضيقت عليك فقال له : لا تقل ذلك .

فان شبرا من الأرض لا يضيق على المتحابين ، والأرض برحبها لا تسع متباغضين " (١).

كان الخليل يقول : القياس باطل ،فذكر ذلك للأصمعي فقال : هذا أخذه عن إياس بن معاوية قاضي البصرة ت ١٢٢ هـ ، وللخليل صلاته العلمية بأصحاب العقول الراجحة والألباب النيرة يجالسهم ، ويناقشهم فيقولون فيه رأيهم ،ويقول أيضا فيهم رأيه، ومن ذلك

---

(١) الطبقات للزبيدي ص ٤٨ .

ما حكاه الزبيدى حيث قال : وذكر عن شيوخ البصرة أن ابن المقفع اجتمع مع الخليل بن أحمد فتذاكرا ليلة تامة ، فلما افترقا سئل ابن المقفع عن الخليل فقال : رأيت رجلا عقله أكثر من علمه ، وقيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمه أكثر من عقله " (١)

وفى أمالى المرتضى (٢) : أن الخليل بن أحمد كان يحب أن يرى عبد الله بن المقفع ، وكان ابن المقفع يحب ذلك ، فجمعهما عبّاد بن عبّاد المهلبى ، فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهن فقيل للخليل : كيف رأيت عبد الله قال ما رأيت مثله ، وعلمه أكثر من عقله ، وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال ما رأيت مثله ، وعقله أكبر من علمه. قال المغيرة فصدقهما.

أدى عقل الخليل إلى أن مات أزهد الناس ، وجهل ابن المقفع أداه إلى أن يكتب أمانا لعبد الله بن على فقال فيه : ... ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه ، فنساؤه طوالق ودوابه حبس ، وعبيده أحرار ، والمسلمون فى حل من بيعته ، فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة أمر البيعة ، وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبى ، وهو أمير البصرة من قبله بقتله فقتله.

(١) ص ٤٩ . (٢) ط ١ ص ١٣٤ .

ومن ذكائه الجبار ، وفهمه للأمور فهما رائعا ما حكاه السيوطى فى البغية (1) حيث يقول : أنه كان عند رجل دواء لظلمة العين ينتفع به الناس ، فمات واحتاج الناس اليه فقال الخليل : أله نسخة معروفة ؟ قالوا لا قال : فهل له آنية كان يعمله فيها ؟ قالوا : نعم قال جيئونى بها ، فجاءوه فجعل يشم الاناء ، ويخرج نوعا نوعا حتى أخرج خمسة عشر نوعا ثم سئل عن جميعها ومقدارها فعرف ذلك ، فعمله وأعطاه الناس ، فانتفعوا به ، ثم وجدت النسخة فى كتب الرجل ، فوجدوا الاختلاط ستة عشر خلطا ، كما ذكر الخليل لم يفته إلا خلط واحد " فانظر الى هذه العقلية الفذة التى استخرجت بحسها وعقها ما سبق ، ويقال : إنه أول من جمع حروف المعجم فى بيت واحد • وهو :

صف خلق خود كمثل الشمس اذ بزغت
يحظى الضجيع بها نجلاء معطار

وهذه مقدرة لغوية لا يصل إليها إلا الأثبات من إمثال الخليل ابن أحمد ومن كلامه الجامع لكل خصال المعرفة ، وفهم الحياة قوله : ثلاثة تنسيق المصائب : مر الليالى ، والمرأة الحسناء ، ومحادثات الرجال •

(1) ١/٥٥٩ •

ومن جماع قوله : أربع تعرفن بهن الآخرة : الصفح قبل الاستقالة أى طلب الصفح ، وتقديم حسن الظن قبل التهمة ، والبذل قبل المسألة ، ومخرج العذر قبل العَتْب . ويروى عنه الأصمعى قوله : العلوم أربعة : فعلم له أصل وفرع ، وعلم له أصل ولا فرع له ، وعلم له فرع ولا أصل له ، وعلم لا أصل له ولا فرع .

فأما الذى له أصل وفرع فالحساب ، ليس بين أحد من المخلوقين فيه خلاف ، وأما الذى له أصل ولا فرع له فالنجوم ، ليس لها حقيقة يبلغ تأثيرها فى العالم ـ يعنى الأحكام والقضايا على الحقيقة ، واما الذى له فرع ولا اصل له فالطب أهله منه على التجارب الى يوم القيامة ، والعلم الذى لا أصل له ولا فرع فالجدل قال أبو بكر الصولى : الجدل بالباطل (١) فهذا يدل على عقلية منظمة تفهم الحياة وعلومها وتستخرج منها العلاقات والروابط والحدود والتعريفات ، ولا يصل اليها الا من وصل الى القمة فى ذلك .

ومما يدل على حبه للبحث ودراسته المستفيضة فى أحداث الحياة ما حكاه القفطى (٢) عن سبب موته أنه قال :

(١ ، ٢ ـ أنباه الرواه ١/ ٣٨١ ، ٣٨٢ .

أريد أن أقرب نوعا من الحساب تمضى به الجارية الى البقال فلا يمكنه ظلمها ، ودخل المسجد وهو يعمل فكره فى ذلك فصدمته سارية ، وهو غافل عنها فكره ، فانقلب على ظهره ، فكان سبب موته ومات شهيد العلم ، والاختراع وحب النفع للناس .

وهو رجل مؤمن بربه ، واثق فى رزقه وأن الله لن يتخلى عنه أبدا مع عزة النفس ، وحفظ وجه العلم فى كرامة قل أن يوجد لها نظير ، فقد رووا أنه بعد أن قطع سليمان بن على عنه مكافأته وما كان يجريه عليه من الأرزاق بعد طلبه له يستزيره ، فرفض ، وأرسل إليه شعره المعبر فى ذلك .

قال فى قوة وعزة نفس ، وصيانة العلم ، وكرامة العالم:

إنّ الذى شق فمى ضامن
لى الرزق حتى يتوفانى
حرمتنى خيرا كثيرا فما
زادك فى مالك حرمانى

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب الى الخليل يعتذر ، وأضعف جائزته فقال الخليل : —

وزلة يكثر الشيطان إن ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمانا

لا تعجبن لخـير زل عن يــده

فالكوكب النحس يسقى الأرض أحيانا

وأنشد له المبرد في معناه :

ضلت الهجاء على امرئ من قومنا

إذ حاد عن سنن السبيل وحادا

أعطى القليل ثم أقلع نادمـا

ولربما غلط البخيل فجـادا

والخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب النفس الكبيرة الطُّلَعة الى التحصيل والافادة قد شب على حب العلم فتلقى عـن أبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفـي وغيرهما ثـم ساح في بوادي الجزيرة العربيـة وشافـه الأعراب في الحجاز، ونجد وتهامـة إلى أن وصـل إلى القمة في هذا العلم فرجـع الى البصرة واعتكف في داره دائبا على تحصيل العلم ليلـه ونهاره حـتى نبغ في العربيـة نبوغـا قل نظيره وبلغ الغايـة في تصحيح القياس واستخـراج مسائل النحو حتى أنهضه ووصـل الى طـور النضـج والكمال ولـولاه ما وصـل إلى هذه الدرجة التي وصل اليها وسأقسم حديثي عن علومـه وابتكاراته الى ثلاثة أنواع ، وأخص كل نوع بحديث مستقل

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨٠

وهذه الأنواع هـي :

جهوده في النحو ، وعمله في اللغة ـ وابتكاراته للعروض .

أولا : جهوده في النحو :

إن الخليل رحمه الله ـ كان الغايـة في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيـه .

وقال الزبيدي : [1] وهو الذي بسط النحو ، ومدَّ أطنابـه وسبَّب علله ، وفتق معانيـه ، وأوضح الحجـاج فيه ، حتى بلغ أقصى حدوده ، وانتهـى الى أبعد غاياته ، ثم لـم يرض أن يؤلف فيـه حرفـا أو يرسـم منه رسما ترفعـا بنفسه ، وترفعا بقدره ، إذ كان قد تقدم الى القـول عليه ، والتأليف فيـه ، فكـره أن يكون لمن تقدم عليه تاليـا وعلى نظر مـن سبقـه محتذيـا واكتفى في ذلك بما أوحى الى سيبويـه من علمـه ، ولقنـه من دقائـق نظره ، ونتائج فكره ولطائـف حكمتـه ، فحمـل سيبويـه ذلك عنـه ، وتقلده ، وألف فيـه الكتاب الذي أعجـز من تقدم مثلـه ، كما امتنع على مـن تأخر بعـده " [2] ويقـول السيوطي في المزهر [3] : لم يكن

(١) المزهر النوع الأول المسألة السادسة ونشأة النحو صـ ٦٤ .
(٢) جـ ٢ صـ ٤٠١ .

قبله ولا بعده مثله وكان أعلم الناس وأزكاهم ، وأفضل الناس وأتقاهم ، قال محمد بن سلام : سمعت مشايخنا يقولون : لم يكن للعرب بعد الصحابة أزكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع " .

لقد سلط الخليل عقله الفذ على قوانين العربية فى النحو والصرف ، فاكتشفها اكتشافا دقيقا ، كان كتاب سيبويه خير سجل لذلك ، فهو استاذه ، وعلامة الحكاية فى كتابه عنه وكلما قال سيبويه ، وسألته " أوقال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل ، وهذا ما أثبته السيرافى فى كتابه "(١) ،

وكان الخليل يقدره ويجله ويقول له : مرحبا بزائر لا يمل ، وما قالها الخليل لغيره ، تقديرا لعبقرية سيبويه ، وكان اذا أراد أن يذكر رأيا للخليل بعد رأيه يقول : وقال غيره ، ولم يصرح باسمه إجلالا للخليل أن يذكر اسم أستاذه مع اسمه ، وأكثر الرواية عنه فى الكتاب بقوله وسألته أوقال من غير أن يذكر القائل ، ومع ذلك صرح باسمه فى الكتاب كثيرا نحو قوله وسألت الخليل (٢) عن ما أحسن وجوههما فقال : لأن الاثنين جميع وهذا بمنزلة قول الاثنين نحن فعلنا (٣) وقوله : وأما قول الأخطل :

---

(١) ص ٥٦ .

(٢) سيبويه للنجدى ص ٩٢ ، ٩٣

(٣) الكتاب ١/ ٢٤١ .

ولقد أبيت من الفتـــاة بمنـــزل
فأبيت لا حـــرج ولا محـــروم

فزعـم الخليل أن هذا ليس على إضمار أنا ، ولو جـاز هذا على اضمار أنا لجـاز كان عبد الله لا مسلم ولا صالـح على إضـمار هـو [1] . وقوله : فالفعل اذا كان غايــة منصوب والاسم اذا كان غايـة جر ،وهذا قول الخليل [2].

ومما لم يصرح فيه باسـمه قوله : وسألته عن الاضافـة الى عدد فقال : " عَـدَدِيّ " [3] .

وقوله واعلم أن من قال : أقاويل وأبابيت فى أبيات وأنابيـب فى أنياب لا يقـول : أقـوالان ولا أبياتان قلت فلـم ذلـك قال لأنـك تريد بقولك : هذ اقوام وهذه أبيات ، وهـذه بيوت ما تريد بقولك : هذا رجـل وأنت تريـد رجل واحـد ، ولكنك تريد الجمع " [4].

ومما أضمر فيه اسمه بعد اسم الخليل قوله : وسألـت الخليل عن قوله :

ألا رجـل جزاه الله خـيرا
يدل على محصلـة تبيـت

---

(١) الكتاب ١/٢٥٩ . (٢) الـكتاب ١/٤٧٣ .
(٣) ٢/٧٢ . (٤) ١/٢٠٢ .

فزعم أنه ليس على التمنى ، ولكنه بمنزلة قول الرجل فهلّا خيرا من ذلك ، كأنه : ألا ترونى رجلا جزاه الله خيرا ، وأما يونس فزعم أنه نون مضطرا ، وزعم أن قوله لا نسب اليوم ولا خلة على الاضطرار ، وأما غيره فوجهه ما ذكرت لك ، والذى قال مذهب " (١).

وجملة ما روى عن الخليل فى الكتاب حوالى ثنتين وعشرين وخمسمائة مرة ، وهذا قدر لم يرو سيبويه مثله ولا قريبا منه عن أحد من أساتذته ، والحق أن الخليل لم يترك فى النحو كتابا جامعا يحمل اسمه ، ولكن صح عنه ما ذكره المترجمون أن له كتابات فرعية كرسالة له فى معنى الحروف ، وأخرى فى جملة آلات العربية ، وثالثة فى العوامل ، وهذه حقيقة لا تقبل حكم القفطى عليها بأنها منتحلة فهو يؤمن بنظرية العوامل وأنه بهذا العامل يتقوم المعنى الاعرابى ، وكان قياسه على هذا الاساس وتعليلاته مبنية عليه ، ونسب اليه أيضا رسالة تسمى شرح طرق الخليل ، ولكنه وان لم يترك كتابا يشمل النحو والصرف معا فان الكتاب الذى سجله سيبويه فيه بحوث كثيرة فى النحو

---

(١) الكتاب لسيبويه والبيت لعمر بن معلس والمحصلة هى المرأة تحصل تراب المعدن .
والبيت لاعرابى أراد أن يتزوج امرأة بمتعة . خزانة الادب ٢/٤٧/٤٩ .

والتصريف ، وهى بلا شك جملتها للخليل ، وقد قال ثعلب مؤيدًا هذه الحقيقة الأصول والمسائل فى الكتاب للخليل (١) ، ويقول أبو الطيب اللغوى فى مراتب النحويين : عقد سيبويه كتابه بلفظه ولفظ الخليل ويقول السيرافى وفى كتابه " والخليل " أستاذ سيبويه عامة الحكاية فى كتاب سيبويه عن الخليل . وكلما قال سيبويه أو قال : من غير أن يذكر قائله فهو الخليل .

وكل من يقرأ الكتاب يرى فى وضوح أن الأصول وأمهات المسائل النحوية والصرفية من فكر الخليل وعلمه ، وكان لسيبويه كنز لا ينفد ، أحسن الانتفاع به والأخذ عنه وقد كان لابن أبى اسحاق وعيسى بن عمر مجهودات فى النحو والصرف مهمة ، ولكن الذى بنى قواعد ومصطلحات النحو والصرف وشعب فروعهما هو الخليل بن أحمد فقد وضع التخطيط لهما ، ورسم لهما الوجه والمنهج ، وجاء سيبويه فأكمل وتمم وهذا يظهر من محاوراته مع تلميذه والذى كانت تدور على مصطلحات النحو والصرف وأبوابهما المختلفة مثل كَانَ وإنَّ وأخواتهما وعملهما والمبتدأ والخبر ، والأفعال اللازمة والمتعدية ، والمفعولات والحال والتمييز ، والتوابع والنداء وغير ذلك وسمى علامات الاعراب فى الاسم باسم الرفع

(١) سيبويه ص ٩٣ . (٢) المدراس النحوية ص ٣٤ .

والنصب والجر وحركات البناء باسم الضم والفتح والكسر وسمى السكون وقفا ، وكان يرى أن المثنى وجمع المذكر يعربان بالحروف الألف والواو والياء وفى الصرف درس بنية الكلمة وما لحروفهما من أصالة وزيادة والأسماء المجرورة لا تزيد على خمسة ولا تقل عن ثلاثة ، ووضع الميزان الصرفى المشهور بأحكامه المعروفه ، وبين حروف الزيادة العشرة ، وذكر أحكام الاعلال والقلب فى صيغ اسم الفاعل واسم المفعول من الثلاثى الأجوف والمحذوف منها ، ووضح القلب المكانى وحلله بالمثال بصورة لا مثيل لها ، كما حلل كثيرا من الأدوات مثل هَلُمَّ ، مهما ، لن ، وتحدث عن أصل كل أداة منها " (١).

وكان الخليل يمتاز بحس لغوى دقيق ، فهم به أسرار العربية ودقائقها فى الألفاظ والعبارات ويظهر ذلك فى أحاديثه وآرائه الكثيرة التى أشار إليها سيبويه فى كتابه فى باب الادغام والاعلال ومواضع قلب الواو ياء والعكس . مثل قول الخليل :(٢) إنَّ هذه العبارة تكرهها العرب . أو هذه الصيغة جيدة فى لسانهم . أو يميلون الى ذلك قصدا الى التخفيف ، وانظر الى ملاحظته حكاية

---

(١) المغنى لابن هشام ص ٥٥٠.
(٢) كتاب العين جـ ٢ ص ١٥٢ .

حكاية العرب لصوت الجندب كما يقول ابن جنى في الخصائص [1] : بقولهم (صرّ) وحكايتهم لصوت الصقر بقولهم (صرصر) فقد قال انهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صَرّ بينما توهموا في صوت البازى تقطيعا ، فقالوا : صرصر . ومن نظرياته في النحو الذى فهمه منه ، وعلم أنه يدور عليها نظرية :
العامل النحوى : فقد أرسى قواعده العامه ، وأنه به يتقوم المعنى وتدرك العلاقات بين الكلمات فلا توجد حركة من رفع أو نصب أو جر أو جزم بدون عامل يحدث هذه الحركة ، وقد يكون العامل لفظيا مثل عمل الفعل الرفع فى الفاعل والنصب فى المفعول ونحو ذلك وقد يكون العامل لفظيا مثل عمل الفعل الرفع فى الفاعل والنصب فى المفعول ونحو ذلك وقد يكون العامل معنويا كما ذكر سيبويه فى باب المبتدأ إذ قال: إنه معمول لعامل منصوب وهو الابتداء .

وقد يكون العامل أدوات وحروفا تنصب أو تجزم [2] أو ينصب ثم يرفع كإنّ وأخواتها أو العكس ككان وأخواتها أو ينصب المفعولين كظنّ وأخواتها ومن الأدوات ما يجر الاسم

(١) جـ ٢ ص ١٥٢
(٢) المدارس النحوية ص ٢٣٨ .

بعد ، وهى حروف الجر والعامل قد يكون ظاهرا أو محذوفا وهذا كثير فى الأساليب العربية التى عالجها سيبويه نقلا عنه ، كما تحذف المفعولات اذا قامت قرينة على الحذف أو يحذف المبتدأ والخبر ، وعالج كل هذه القضايا بتقدير الاضمار فيها حتى يتسق المعنى فى العبارة وقد خرج عبارات كثيرة قد اضطربت بالقواعد وذكر وجوها كثيرة مناسبة لها تأويلا وتنسيقا مع القواعد وأوجد كثيرا من الاحتمالات فى وجوه الاعراب فى الصيغ والألفاظ والعبارات ،

ولما سأله سيبويه عن قوله عز وجل ((قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون)) فإن ظاهر العبارة (أنّ غير الله منصوبة بتأمرونى) وفى ذلك فساد واضح فى المعنى فأجابه بأن غير منصوبة بأعبد ، وتأمرونى غير عامل فيها كقولك : هو يقول ذاك بلغنى ، فبلغنى لغو ، وكذلك تأمرونى كأنه قال فيما تأمرونى " (١).

وسأله سيبويه عن قول الأعشى :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا
أو تنزلون فإنا معشر نزل

لماذا رفع (أو تنزلون) وهى معطوفة على فعل مجزوم

---

(١) الكتاب ١/٤٥٢.

فقال : كأنه توهم أنه قال في أول البيت أتركبون فرفع كما جاء عند زهير من قوله:

بدا لي أني لست مدرك ما مضى
ولا سابق شيئا إذا كان جائيا

فقد عطف سابق بالجر على مدرك المنصوبة ، كأنه توهم أن مدرك مجرورة ، لأنه يكثر أن يأتي خبر ليس مجرورا بباء زائدة ، وحمل على هذا الباب وقوع الفعل المجزوم في الآية الكريمة : ((لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكنْ من الصالحين)) .

فان معنى لولا أخرتني فأصدق ، وان أخرتني فأصدق واحد ، فعطف على الفعل بالجزم لتوهمه وجود أداة جازمة ومع أن التوهم لا يتناسب مع جلال القرآن وقداسته ، ولكن الصنعة النحوية عند الخليل جوزت ذلك وما أشرأه أن يجعله ملاحظا المعنى ، فعطف على المعنى .

واذا كانت قواعده النحوية والصرفية قامت على نظرية العوامل ، فإن الأصل الثاني الذى اعتمد عليه هو السماع عن العرب ، فقد نقل علمه عن الأفذاذ من العلماء وكبار القراء ، وأخذ من أفواه العرب الأقحاح الفصحاء

من بوادى الحجاز ونجد وتهامة ، وهما مصدران ما حاد عنهما .

ونقله عنه سيبويه ، فلا تمر قاعدة فى الكتاب حتى تكون مصحوبة بنقولات كثيرة عن العرب شعرا ونثرا ، فهى برهان ودليل على حكمه النحوى ، والشواهد عند الخليل حكومة لا ترد فى استنباط القاعدة ، ولكن لا بد من الاطراد والكثرة حتى يحكم على القاعدة بالرجحان والاعتماد ، وما يرد عن العرب مخالفا لها حكم بالشذوذ ، فيخفظ ، أو يؤول على حسب ما تقتضيه القواعد المطردة ، من كلام العرب ، ولذلك كان استقراؤه للغة العرب أساسا عنده للحكم اللغوى .

وانظر إليه عندما سأله سيبويه عن رجل يسمى دهقان فقال إن سميته من الدهقنة فهو مصروف ، وإن جعلته من الدهق لم تصرفه ، وسأله عن رجل يسمى مرّانا فقال : أصرفه لأن المران إنما سمى للينه فهو فعّال ، كما يسمى الحماض لحموضته ، وإنما المرانة اللين ، فهو الحضور الواسع للغة تعينه على الحكم الدقيق وكأن اللغة أسلمت له القياد ليتحكم بما يرى ويضبط كما يشاء من قواعد العلمين معا ، وهذا أمر لم يواحد إلا للخليل .

كما اهتم بالعلل النحوية التى تصور فهمه وعقمه لأسرار اللغة وتركيباتها وفى ذلك يقول الزبيدى إنه ": استنبط من علل النحو ما لم يستنبطه أحد ، وما لم يسبق الى مثله سابق " وما من حكم يورده الا وضع له علة التى تشى عن فهمه الدقيق لأسرار العربية حتى سأله أحد معاصريه ، أعن العرب أخذت هذه العلل أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها ، وقام فى عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها ، واعتللت أنا بما عندى أنه علة لما عللته منه ، فان أكن أصبت العلة فهو الذى التمست ، وإن تكن علة أخرى فمثلى فى ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظام والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو البراهين الواضحة والحجج اللائحة ، فكلما وقف هذا الرجل فى الدار على شىء منها قال : إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا .... وجائز أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعلة التى ذكرها هذا الذى دخل الدار ، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة إلا أن ذلك مما ذكره الرجل محتمل أن يكون علة لذلك فان سنح لغيرى علة لما عللته من النحو هى أليق

مما ذكرتـه للمعلول فليأت بها" (١).

والعلة اجتهاد فكرى لا ستنباط أسرار الحكم النحوى .
وهذا ما يلزم فيـه الدقـة والاُطـّراد وقد تحقق هذا بلا شك في الخليل بـن أحمد فما أورد حكما نحويا الا بعلة قـد ارتآها من فهـمه الواعى الدقيق فى صـورة تدعـو إلى الدهشة والانبهار ، ومن يطالع كتاب سـيبويه ـ رحمه الله ـ يجـد آراء الخليـل فيـه معللةً بعللها الدقيقة ،وهى كثـيرة ومتنوعـه وسأسـوق أمثلـة لذلك،لتعرف ذلك عـن قرب يقـول :
" وقال الخليـل انما فتـح وَارجُـلاه ويا رَجُـلاه ،لأنك أبهمت إلا ترى لـو قلت : واهذاه كان قبيحـا لأنـك ندبـت فإنما ينبغـى لك أن تتفجـع بأعرف الأسـماء ،وأن تخـص ولا تبهـم ، لأنِ الندبـة على البيان ، ولو جـاز هذا الجـاز يا رجـلاً ظريفـاً ، فكنت نادبـا نكـرة ، وانما كرهـوا ذلـك أنه تفاحـش عندهـم أن يختلطـوا(٢)، وأن يتفجعـوا على غـير معـروف ، فكذلك تفاحش عندهـم فى المبهم لابهامـه ، لأنك اذا ندبت تجـد أنك قد وقعـت فى عظيم وأصابـك جسيم مـن الأمر ، فـلا ينبغى لـك أن تبهـم " (٣).

---

(١) الايضاح فى علل النحو ص ٦٥ .
(٢) الاختلاط : الضجر والغضب .
(٣) ٢/ ٢٢٧ .

هذه قضية نحوية عنون لها سيبويه بقوله " هذا باب ما لا يجوز أن يندب " ثم مثل له بنكرة فقال : وارجلاه ويا رجلاه ، وحكم الخليل بأنه قبيح ، وعلل ذلك القبح لأنه مبهم ، والنكرة لا تفيد تعيينا ، إذ الندبة هي التفجع وتعداد مآثر المتفجع عليه ، وهذا لا يأتى إلا فى عظيم وأن جسامة الأمر بفقده هى التى اقتضت ندبه ، فلا يصح ندبه النكرة ، لأنها مبهمة فالعلة واضحة عنده من قبح السماع ، والقياس يمنع ندب المبهم فهى على البيان فجمع بين أمور السماع والعلة والقياس بقدرة هائلة تدل على موفور المسموع عنده "

ومثل ذلك قول سيبويه : " هذا باب ما يقدم فيه المستثنى " وذلك قولك ما فيها الا أباك أحدٌ ، " وما لى الا أباك صديقٌ " يريد أنه اذا تقدم المستثنى على المستثنى منه نصب نحو ما فيها الا أباك صديق ، والأصل ما فيها صديق إلا أبوك أو أباك فلما تقدم نصب ، ثم يورد سيبويه تعليل الخليل للنصب فى هذه القضية فيقول : وزعم الخليل رحمه الله أنهم إنما حملهم على نصب هذا أن المستثنى وجهه عندهم أن يكون بدلا ، ولا يكون بدلا منه ، لأن الاستثناء إنما حده أن تداركه بعد ما تنفى فتبدله ،

فلما لم يكن وجه الكلام هذا حملوه على وجه قد يجوز إذا أخرت المستثنى كما أنهم حيث استقبحوا أن يكون الاسم صفة فى قولهم : فيها قائما رجلٌ ، حملوه على وجه قد يجوز اذا أخرت الصفة ، وكان هذا الوجه أمثل عندهم من أن يحملوا الكلام على غير وجهه . قال كعب بن مالك :

الناس ألبٌ علينا فيك ليس لنا
إلا السيوف وأطراف القنا وَزَرُ

سمعناه ممن يرويه عن العرب الموثوق بهم ، كراهية أن يجعلوا ما هو المستثنى أن يكون بدلا منه بَدَلاً من المستثنى . ومثل ذلك " مالى الا أباك صديق "(١)

فالقضية عنده واضحة يعتمد على التعليل الجيد المبنى على أساس السماع الموثوق به عن العرب ، ويذكر النظير ، وهذا قياس ما لم نسمع على ما سمع ثم يستخرج بحسه اللغوى الدقيق الصلة بينهما ، مستخرجا من ذلك العلة ، فلا يستطيع أحد أن يصل إلى علة الحكم إلا من فقه أسرار العربية ، ومن كالخليل فى ذلك ، صاحب الحس الدقيق

---

(١) جـ ٢ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

والقدرة الهائلة في ذلك .

فنعت النكرة نحو فيها رجلٌ قائمٌ يجب رفعه مطابقة للموصوف في حركة رفعه ، فإن تقدمت الصفة على الموصوف وجب نصبها على أنها حال ، وهذا تنظير جيد بتقدم المستثنى على المستثنى منه ونصبه ، والعلة فيها واحدة تستدعى اتحاد الحكم . وهذا من يقرأ الكتاب يرى تعليلاته كالسيل المنحدر ، فلا قضية إلا بعلة ولا حكم الا بدليل .

. والخليل مع السماع والعلة يعتمد على القياس فقد بسطه بصورة لم يسبق إليها فقد بلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وقال السيرافي عنه كان الغاية في استخراج مسائل النحو ، وتصحيح القياس فيه" (١).

وكتاب سيبويه حافل بأقيسته التى شاد بها النحو ، وأعلى بنيانه على أساس متين . وسأضرب أمثلة توضح هذه الحقيقة فأقول : قال سيبويه : " هذا باب النداء " اعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه ، فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، والمفرد رفع فهو في موضع اسم منصوب ، وزعم الخليل _ رحمه الله _ أنهم

---

(١) البحر؟ ص ٥٤ .

نصبوا المضاف يا عبد الله ويا أخانا والنكرة حين قالوا : يارجلاً صالحاً ،حين طال الكلام كما نصبوا : هو قبلك وهو بعدك ، ورفعوا المفرد كما رفعوا قبلُ وبعدُ وموضعهما واحد ، وذلك قولك يا زيدُ ويا عمرُو ، وتركوا التنوين في المفرد كما تركوه في قبلُ قلت : أرأيت قولهم : يا زيدُ الطويلَ علام نصبوا الطويل ؟ قال نُصب ،لأنه صفة لمنصوب ، وقال : وإن شئت كان نصباً على «أعني» ، فقلت: أرأيت : الرفع على شيء هو اذا قلت : يا زيد الطويلُ قال : هو صفة لمرفوع ، قلت ألست قد زعمت أن هذا المرفوع في موضع نصب ،فلم لا يكون كقوله لقيته أمس إلاّ حدث؟ قال : من قبل أن كل اسم مفرد في النداء مرفوع أبداً ، وليس كل اسم في موضع أمس يكون مجرورا ، فلما أطرد الرفع في النداء صار بمنزلة ما يرتفع بالابتداء أو الفعل فجعلوا وصفه اذا كان مفردا بمنزلته ، قلت : أفرأيت قول العرب كلهم :

أزيدُ أخا وَرْقَاءَ إنْ كنتَ ثائرا

فقد عرضت أحناءُ حق فخاصم

لأي شيء لم يجز فيه الرفع كما جاز في الطويل ؟ قال : لأن المنادى اذا وصف بالمضاف فهو بمنزلته اذا كان في

موضعه ، ولو جاز هذا لقلت يا أخونا ، تريد أن تجعله في موضع المفرد ، وهذا لحنٌ ، فالمضاف إذا وصف به المنادى فهو بمنزلته إذا ناديته ، لأنه هنا وصف لمنادى في موضع نصب ، كما انتصب حيث كان منادى لأنه في موضع نصب ولم يكن فيه ما كان في الطويل لطوله . وقال الخليل ـ رحمه الله ـ : كأنهم لما أضافوا ردوه الى الأصل كقولك : إنَّ أمْسَك قد مضى » (١)

هذه القطعة تصور محاورة جيدة ومفيدة لطلاب العلم مع أساتذتهم ، وفيها دقة حوار تلميذ واع يسأل أستاذه في فهم وعمق عن سر رفع المنادى اذا كان مفردا ونصبه اذا كان مضافا أو كان نكرة غير مقصودة ، ولم رفع ونصب نعت المنادى المفرد على الجواز ووجب النصب مع المنادى المضاف وترى الاجابة الشافية من الخليل زاخرة بالأقيسة الدقيقة المعتمدة على المشابهة ، وحكم النظير بصورة تقنع السائل ، لأن يصيب في إجابته كبد الحقيقة فهو يرى أن المنادى المفرد يبنى على ما يرفع به ، ويمنع من التنوين مثل قبلُ وبعدُ المفردين فهما مبنيان على الضم ممنوعان من التنوين ـ كما تنصب قبل وبعد عند إضافتهما مثل قبلَك وبعدَك

---

(١) جـ ٢ صـ ١٨٢ .

كالمنادى المضاف فإنه ينصب مثلها ، ونعت المنادى المفرد بمثله يجوز فيه النصب على محل المنادى أو نعت مقطوع بتقدير " أعني " ويجوز رفعه باعتبار اللفظ ، لأن الرفع في المنادى مطرد اطراد الرفع في المبتدأ أو الخبر ، فإن كان نعتا مضافا فيجب نصبه ، لأنه بمنزلة لو كان منادى . والمنادى المضاف حقه النصب ، ولا اعتبار إلا لمحله المنصوب ولاحظ الخليل ذلك في كلمة " أمس " فإن أصلها النصب وتبنى على الكسر إذا كانت مفردة ، فاذا أضيفت ردت الى أصلها من النصب الذى يجرى فى الظروف .

وتجده يعتمد فى القياس على الكثرة المطردة من كلام العرب ، فإن وجد ما يخالفه وجد له تأويلا حتى يتسق مع القياس . قال سيبويه : وزعم الخليل _ رحمه الله: أن الألف واللام إنما منعهما أن يدخلا في النداء من قبل أن كل اسم فى النداء مرفوع معرفة ، وذلك أنه اذا قال يا رجلُ ويا فاسقُ فمعناه كمعنى : يا أيها الفاسق ويا أيها الرجل وصار معرفة ، لأنك أشرت إليه وقصدت قصده ، واكتفيت بهذا عن الألف واللام وصار كالأسماء التى للاشارة نحو هذا وما أشبه ذلك ، وصار معرفة أيضا بغير ألف ولام ، لأنك إنما قصدت قصد شيء

بعينه ، وصار هذا بدلا فى النداء من الألف واللام واستغنى به عنهما كما استغنيت بقولك "اضْرِبْ" عن لتضرب وكما صار المجرور بدلا من التنوين ، وكما صارت الكاف فى رأيتك بدلا من رأيت اباك " (١).

وبهذا التصوير الجيد للقياس ، والفهم الدقيق لأسرار التركيب صار الكتاب صورة عن فكر الخليل ، ونظرته الجيدة فى الأسلوب .

وفى موضع آخر ترى تعليلا عميقا ، وقياسا يظهر فى حكم النكرة فى النداء إذا لم تقصد أو صفت محكمها النصب نحو يا رجلاً خذ بيدى تريد أىَّ رجل ، ونحو يا رجلا ظريفاً بالنصب . يقول الخليل ـ رحمه الله ـ اذا أردت النكرة فوصفت أو لم تصف فهذه منصوبة لأن التنوين لحقها فطالت ، فجعلت بمنزلة المضاف لما طال نصب ورد الى الأصل ، كما فعل ذلك بقبلُ وبعدُ ، وزعموا أن بعض العرب يصرف قبلاً وبعداً فيقول ابدأ بهذا قبلاً ، كأنه جعلها نكرة " (١) فالمنادى عنده بمنزلة قبلُ وبعدُ فى الأفراد وفى الاضافة ونداء النكرة طالت بالتنوين ، وصارت بمنزلة المضاف ، وهذا قياسٌ جيدٌ ، اعتمد الخليل عليه كثيرا .

(١) ٢/١٩٩ .

وكان الخليل مع القياس والتعليل والسماع وذكر النظير يعتمد على التمارين غير العملية فى أمثلة لم ترد عن العرب وسار النحاة على طريقه للتدريب على التطبيق ، وإظهار المهارة فى الفهم اللغوى فمثلا سيبويه يسأل الخليل عن رجل سمى " أولو " أو ذَوُو وكيف يجرى إعرابهما على حسب مواقع الكلام فقال الخليل : أقول : هذا ذوون ، وهذا أولون لأنى لم أضف ، وانما ذهبت النون فى الاضافة (١) وسأله سيبويه كثيرا فى هذه الناحية ويجيبه الخليل بمثل ما أجابه سابقًا .

وبهذا يظهر لنا من خلال ما عرضناه أن الخليل يعد بحق واضع النحو العربى فى صورته المركبة من حيث العوامل الظاهرة والمقدرة ، والشواهد والعلل والأقيسة ، وبيان الشاذ والمطرد فى كل قضية عرضها ، ووضع قواعد التمارين والتدريب ، وكذلك علم الصرف بذكر أبنية الكلم واشتقاقها وتصريفاتها وصورها المختلفة والقلب والاعلال فالامالة والتصغير والنسب وغيرها " .

---

(١) ٤٢/٢ .

ثانيا ومن ابداعاته وابتكاراته حصر علم اللغة بحروف المعجم وسماه كتاب " العين " فهو أول من دوّن معجما فى اللغة بتأليفه هذا الكتاب ، يقول أبو الطيب اللغوى : وأبدع الخليل بدائع لم يسبق اليها فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف فى الكتاب المسمى بكتاب العين ، فانه هو الذى رتب أبوابه ، وتوفى من قبل أن يحشوه وهذا الكتاب الذى جمع لغة العرب معتمدا على طريقة التقليبات الصوتية ، اختلف العلماء فى نسبته الى الخليل قال بعضهم : ليس له ، وانما هو لليث بن نصر بن سيار وقيل : عمل الخليل منه قطعة من أوله الى كتاب العين ، وكمله الليث لأن أوله لا يناسب آخره قال السيرافى : وعمل أى الخليل كتاب العين المعروف المشهور الذى به يتهيأ ضبط اللغة " (١).

وقيل بل أكمله : وسماه كتاب العين باعتبار أول أجزائه وقد راعى فى هذا الترتيب مخارج الحروف فبدأ بحروف الحلق ثم ما بعدها من حروف الحنك ، ثم الأضراس ، ثم الشفة وجعل حروف العلة آخرا ، وهى الحروف

---

(١) أخبار النحويين ص٥٤ .

الهوائية ، ثم أحصى أبنية الأشخاص وأمثلة أحداث الأسماء .
فذكر أن عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائي والثلاثي والرباعي من غير تكرير اثنا عشر ألف ألف وثلثمائة ألف وخمسة عشر ألف وأربعمائة ، واثنا عشر ، الثنائي تسعمائة وستة وخمسون ، والثلاثي تسعة عشر ألفا وستمائة وخمسون ، والرباعي أربعمائة وأحد وتسعون ألفا وأربعمائة ، والخماسي أحد عشر ألف ألف وسبعمائة وثلاثة وتسعون ألفا وستمائة"(١)
وهذا صريح في أنه أكمله وبعضهم يرى أنه لليث قال : ابن المعتز : كان الخليل منقطعا الى الليث فيما صنفه وخصصه به فحظي عنده خيرا ، ووقع عنده موقعا عظيما ، ووهب له مائة ألف ، وأقبل على حفظه وملازمته فحفظ منه النصف ، واتفق أنه اشترى جارية نفيسة ، فغارت ابنة عمه وقالت والله لأغيظنه وان غظته في المال لا يبالي ، ولكني أراه مكبا ليله ونهاره على هذا الكتاب ، والله لأفجعنه به ، فأحرقته . فلما علم اشتد أسفه ، ولم يكن عنده غيره من نسخه ، وكان الخليل قد مات فأملى النصف من حفظه وجمع علماء عصره ، وأمرهم أن يكملوه على نمطه ، وقال لهم : مثلوا واجتهدوا فعملوا هذا التصنيف الذي بأيدي الناس" (٢)

(١) البغية ١/٥٥٩ .
(٢) البغية ١/٥٦٠ .

قال الأزهري كان الليث رجلا صالحا عمل كتاب العين ونسبه الى الخليل لينفق كتابه باسمه ، ويرغب فيه من حوله " وما يؤكد هذا الرأى كلام أبى الطيب قال[1] سمعت ثعلبا يقول لمحمد بن يحيى : إنما وقع الغلط فى كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يَحْشُه ، ولو كان حشاه ما بقى فيه شيئا ، لأن الخليل رجل لم ير مثله وقد حشا الكتاب أيضا قوم علماء الا أنهم لم يؤخذ منهم رواية ، وانما وجد بنقل الوراقين ، فاختل الكتاب لهذه الجهة ، وحكى أن فتى من خراسان كان يقرأ كتاب العين ويقول : كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلا صالحا ، وكان الخليل عمل من كتاب العين باب العين وحده ، فأحب الليث أن تنفق سوق الخليل ، فصنف باقى الكتاب وسمى نفسه الخليل ، وقال مرة أخرى . فسمى لسانه الخليل من حبه للخليل بن أحمد ، فهو إذا قال فى الكتاب وقال الخليل بن أحمد فهو الخليل ، وإذا قال وقال الخليل معلقا فهو يحكى عن نفسه فكل ما كان فى الكتاب من خلل فإنه منه لا من الخليل بن أحمد .

ومن هنا نرى خلاف العلماء فى كتاب العين على هذه

---

(١) ص ٥٧ ، ٥٨ .

الآراء : —

أولا : الخليل لم يؤلف كتاب العين ولا صلة له به .

ثانيا : الخليل لم يضع نص كتاب العين ولكنه صاحب الفكرة في تأليفه .

ثالثا : لم ينفرد بتأليف كتاب العين ولكن اشترك معه غيره في ذلك .

رابعا : عمل من كتاب العين أصوله ، ورتب أبوابه ، وصنف موارده ، ولكن غيره حشا المفردات .

خامسا : عمل كتاب العين بمعنى أنه ألفه ثم روى عنه .

وقد فصلنا كلام العلماء في ذلك سابقا ونلخص أصحاب الآراء فيما يأتي (1) .

الرأي الأول : أصحابه لا يعترفون بكتاب العين ، لعدم الأسناد ، ولم يكن معروفا لدى تلاميذ الخليل بعد موته ، واللغويون في البصرة لم يقتبسوا منه شيئا وهذا لأبي على القالي وأستاذه أبي حاتم .

(1) كتاب العين ت د / عبد الله درويش ص ١٠ — ١٣ .

الرأى الثانى : الخليل صاحب الفكرة فقط ، والعمل لغيره وعلى رأسهم الليث وهو الأزهرى .

الرأى الثالث : الخليل لم ينفرد بالكتاب وانما اشترك معه غيره وهو الليث وهو رأى ابن المعتز بأنه وضع كتاب العين والليث أكمله .

الرأى الرابع : الخليل رتب أصول الكتاب ثم وضع النص من بعده ، وهذا رأى أبى بكر الزبيدى .

ورأى المستشرق الألمانى أهلوارت حيث ذكر أن الكتاب أكمل بعد عصر الخليل وهذا خطأ فى استنتاجه حيث اعتمد على قطعتين وثبت أنهما ليست من العين وقد اعترف ابن دريد بنسبة العين للخليل واعتمد عليه كثيرا فى معجمه الجمهرة وكذلك ابن فارس أعلن صراحة فى المقاييس والمجمل بأن مؤلف الكتاب هو الخليل ، واقتبس كثيرا من العين .

وقد رأى المستشرق براو يلتش أن المؤلف للعين هو الخليل والمخرج له هو الليث بناء على استقصاء للقسم المطبوع منه ، والخلاصة أن كتاب العين للخليل من أوله الى آخره ، وتلميذه الليث كان راوية فى ذلك " .(١)

(١) كتاب العين ص ٢٧ .

ثالثا : — كان له علم الايقاع ، وله كتاب فيه ، ومعرفته بالنغم أحدث له علم العروض ، وكان الخليل ذكيا فطنا شاعرا واستنبط من العروض دوائر وبحورا لم يستنبط أحد مثلها ، فهو أول من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها .

قال أبو الطيب : ومما أبدع فيه الخليل اختراعه العروض التى (حظرت) أى (قصرت) على أوزان العرب وألحقت المخضرمين بالمطبوعين وبلغنا عن الخليل أنه تعلق بأستار الكعبة وقال : اللهم ارزقنى علما لم يسبقنى إليه الأولون ولا يأخذه إلا عنى الآخرون " (١) ثم رجع وعمل العروض وأحدث أنواعا من الشعر ليست من أوزان العرب ، فقد روى أبو الطيب أن للخليل بن أحمد قصيدة على (فَعْلُن فَعْلُن) بمتحرك وساكن ، فالتى على ثلاثة متحركات قصيدته التى فيها :

سئلوا فأبوا فلقد بخلوا
فلبئس لعمرك ما فعلوا
أبكيتَ على طلل طربا
فشجاك وأحزنك الطلل

---

(١) مراتب النحويين ص ٥٨ .

والتي على فَعْلُن ساكن العين قوله :

هذا عمرو يستعفي من
زيد عند الفضل القاضي
فانهوا عمرًا إني أخشى
صَول الليث العادي الماضي
ليس المرء الحامي أنفًا
مثل المرء الضيم الراضي

فاستخرج المحدثون من هذين الوزنين وزنًا سموه (المخلّع)
وهو مخلع البسيط ووزنه (مستفعلن فاعلن فعولن)[1]
مرتين :

ومن بدائعه ما روى أن للخليل ثلاثة أبيات على قافية
واحدة يستوى لفظها ويختلف معناها وانما أراد أن يبين
أن تكرار اللفظ في القوافي ليس بضائر اذ لم يكن بمعنى
واحد ، وأنه ليس بإيطاء والأبيات .

يا ويح قلبي في دواعي الهوى
إذ رحل الجيران عند الغروب
أتبعتهم طرفي وقد أمعنوا
ودمع عيني كفيض الغروب

---

(١) المصدر السابق ص ٥٩ .

بانوا وفيهم طفلة حـــرة

تفتر عن مثل أقاحـــى الغـــروب

فالغروب الأول غروب الشمس والثانى جمع وهو الدلـــو العظيمة المملوءة والثالث جمع غرب وهى الوهاد المنخفضة وهذه قـدرة رائعة تثبت للخليل أنه كان هو منقطع النظير وكان يضرب بـه المثل فى التقدم والفن .

وقال عمارة بن عقيل مادحا الخليل :

لولا الاله وأننى متخـــوف

مما أقول لعنـت قبر جليـــل

ألقى مسائل فى العروض تغصُّـا

من فاعـل مستفعلن وفعـــول

فالخليل هـو أبو العروض ، ومنشئه على غير مثـال سبق ، وينسب اليه اختراعـه .

وروى أنه دخل عليـه رجل وهو يقطع بيتا من الشـعر فقال : لقد جُنَّ الخليل فلما سمعه قال :

لو كنت تعلم ما أقـول عذرتنـــى

أو كنـت أجهـل ما تقـول عذلتكما

لكن جهلت مقالتى فعذلتنى
علمت أنك جاهــــل فعذرتكـــــا

الخـــليل والشعر:

الخليل شاعر يقول الشعر فى جميع المواقف ويتذوقــه ، وينقده ان استحق نقدا يقــول الخليل فى صفة بخيل :

كفّــاه لم تخلقــا للنـــــدى
ولــم يكــك بخلهما بدعـــــــــه
فكــفّ عن الخـــير مقبوضـــــة
كما نقصـــت مائــه ســــــــبعه
وكــف ثلاثــــة آلافهـــــــا
وتســـع مئيهـــا شرعـــــــــه

وهو القائل :

اعمل بعلمــى ولا تنظر الى قولــــــى
ينفعك علمى ولا يضررك تقصـيرى

ويقول أيضا :

لا يكونُ الســرِيُّ مثل الدَّنِـ ـيِّ ولا ذو الذكاء مثل العَـيِيّ
قيمة المرء كـل ما يحسن المر ءُ قضاءً من الأمـــام علــيّ

أى شىء من اللباس على ذى السـ
رو أبهى من اللسان البهىّ
ينظم الحجة الشتيتة فى السـلـ
ـك من القول مثل عقد السهدىّ
وترى اللحن بالحسيب أخى الهيـ
ـئة مثل الصدى على المشرفىّ
فأطلب النحو للحجاج وللشعـ
ر مقيما والمسند المروىّ
والخطاب البليغ عند حوار
قول يزهى بمثله فى الندىّ
وارفض القول من طغام جفوا عنـ
ـه فعادوه نصبة للنسىّ

قال الأصمعى : كنا عند الخليل فأنشده أبيات السموأل اليهودى (١)

حتى مررت بقوله :

ينفع الطيب القليل من الكسب ولا ينفع الكثير الخبيث

فقال كيف قال قلت : ليس فى كلامهم الثناء فقال : كيف قال الكثير .

---

(١) الطبقات ص ٤٩ ، ٥٠ .

فالخليل ينظم الشعر فى الحكمة والآداب الحسنة ، والخلق القويم ، والنصائح الغالية وله قريحته التى تمده بما يريد من الشعر القوى العذب .

وله إبداعات فى علم الحساب تدل على براعته وسبقه زمانه ، حيث وضع نظام حسابى خاص يكون من السهولة بحيث لو عرفته الجارية وذهبت إلى السوق فإنه لا يستطيع أحد أن يخالطها .

شيوخه :

لقد جلس الى شيوخ أجلاء بالبصرة واختلف اليهم منهم أبو عمرو بن العلاء وأخذ عنه اللغة والنحو والشعر ، والقراءة ، ثم أخذ بعده عن عيسى بن عمر الثقفى وأبى الخطاب الأخفش ، ويونس بن حبيب ، وأخذ عن جماعة من ثقات الأعراب وعلمائهم مثل أبى مهدية وأبى طفيلة ، وأبى البيداء ، وأبى خيرة ، وأبى مالك عمرو بن كركرة صاحب النوادر من بنى نمير وأبى الدقيش الأعرابى وكان أفصح الناس ، كما شافه الأعراب ونقل عنهم (١) .

---

(١) مراتب النحويين ص ٧٠ ، ٧١ .

تلاميذه : —

كان الخليل علامة عصره ، استفاد منه خلق عظيم وعلماء أفاضل نذكر منهم سيبويه والأصمعى والنضر ابن شميل ، ومؤرج السدوسى ، وعلى بن نصر الجهضمى والأخفش الأوسط ، والكسائى ، وقطرب وغيرهم كثير .

مؤلفاته:

لقد ترك الخليل مؤلفات تشهد بعلو فضله ورفعة شأنه فى العلم ، فمنها كتاب العين ، وقد صحت نسبته للخليل ، وقد تحقق ذلك (١) قديما وحديثا ، وهو كتاب فى اللغة مشهور ، وأول المعجمات اللغوية ، وكتاب العروض ، وكتاب الشواهد وكتاب النقط والشكل ، وكتاب النغم والايقاع وقال القفطى : وله كتاب فى العوامل وهو منحول عليه كما ذكروا أن له كتاب العود ومصطلحاته (٢) فالرجل زاخر العطاء ، عالم لا يشق له غبار ، وله أيضا كتاب فائت العين .

---

(١) انباه الرواه ص ١/ ٣٨١ .

(٢) الكامل فى العروض ص ٧ .

وفاتــــه:

توفى رحمه الله بالبصرة سنة خمس وسبعون ومائـــة وقيل سنة سبعين وقيل ستين ، وله أربع وسبعون سنة وقيل سنة خمس وسبعون سنة فقد ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفى فى أصح الآراء سنة ١٧٥ هـ .

***

١٢ - هارون بن موسى

نسبه :

هو أبو عبد الله هارون بن موسى البصري أحد شيوخ سيبويه في النحو ولم يعينه سيبويه ، وكان يهوديا فأسلم ، وحسن اسلامه ، وحفظ القرآن الكريم وطلب القراءة فصار رأسا فيها ، كما حفظ بعد أن سمع طاوسا وثابتا البناني ، وحميدا الطويل وغيرهم ، وسمع الحديث وروى له الشيخان ، وهو أول من تتبع وجوه القرآن الكريم وألفها ، وتتبع الشاذ منها ، وبحث عن إسناده ، ودرس النحو .

وقد روى عنه سيبويه خمس مرات كلها من القراءات كقوله وحدثنا هارون أن بعضهم قرأ " فلا جناح عليهما أن يصّلحا بينهما صلحا " (٢)

وهي قراءة عاصم الجحدري قال أبو الفتح : أراد يصطلحا أي يفتعلا فآثر الادغام فأبدل الطاء صادا ، ثم أدغم فيها الصاد التي هي فاء فصار يصّلحا ولم يجز أن تبدل الصاد طاء لما فيها من امتداد الصفير ، ألا ترى أن كل واحد

(١) انظر تاريخ بغداد ١٤/٣ ٠

(٢) سورة النساء ١٢٨ ٠

من الطاء وأختيها والظاء وأختيها يدغمن في الصاد وأختيها ، ولا يدغم واحدة منهن في واحدة منهن ، فلذلك لم يجز (الا أن يصلحا) وجاز يصّلحا ، وقراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف " (يُصْلِحَا) بضم الياء واسكان الصاد وكسر اللام من غير ألف من أصلح ، ووافقهم الأعمش ، وقراءة الباقين بفتح الياء والصاد مشددة وبألف بعدها وفتح اللام على أن أصلها يتصالحا " (١).

(وقوله : ونقول : (وَدَّ لو تأتيه فتحدثَه) والرفع جيد على معنى التمني ومثله قوله عز وجل : ودّوا لو تدهن فيدهنون " وزعم هارون (٢) أنها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا " بحذف النون

وذلك بنصب المضارع بعد لو التي للتمني ، وعلامة نصبه حذف النون ، والمضارع ينصب بعد التمني ، وبالرفع لو ، مصدرية ، ولذلك ارتفع الفعل بعدها وأكثر وقوعها بعد ودّ / يَوَدّ ، وأكثرهم لا يثبت ورود (لَوْ) المصدرية ، والذي أثبته الفراء (وأبو علي وأبو البقاء ، والتبريزي وابن مالك ويقول الشافعي : إنها شرطية وليست مصدرية .

(١) المحتسب ١ / ٢٠١ وأتحاف فضلاء البشر ص ١١٧ ، والكتاب ٤ / ٤٦٧ وسيبويه النحوى ص ٩٨ .
(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٢ . (٣) المغنى ص ٣٥٠ . القلم ٩ .

ولكن المثبتين لها يشهد لهم قراءة بعضهم " ودوا لو تدهن فيدهنوا " بحذف النون فعطف يدهنوا بالنصب على تدهن لما كان معناه أن تدهن .

وفاته: -

توفى رحمه الله بالبصرة عام ١٧٠ هـ ولا يعلم تاريخ ولادته.

***

" أبو جعفر الرؤاسى "

هو محمد بن الحسن بن أبى سارة الرؤاسى النيلى النحوى أبو جعفر ابن أخى معاذ الهراء وسمى بالرؤاسى لأنه كان عظيم الرأس ، وكان أستاذ أهل الكوفة فى النحو وكان أستاذ الكسائى والفراء وكان رجلا صالحا ، أخذ العلم عن عيسى بن عمر الثقفى .

علمه وفضله :

وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو وكتابه يسمى «التفصيل» وهو أحد الشيوخ الذى تلقى عنهم النحو سيبويه ، بقوله وقال الكوفى ويعنى بذلك الرؤاسى وقد نقل عنهم (١) أربع مرات فى الكتاب ثلاثا من القراءات وواحدة فى الصرف .

قال وسألت الخليل عن قولهم : اضرب أيُّهم أفضل فقال : القياس النصب كما تقول : اضرب الذى افعل وحدثنا هارون أن الكوفيين يقرؤونها " ثم لننزعن من كل شيعة أيَّهم أشد على الرحمن عتيا " وهى لغة جيدة نصبوها كما جروها حين قالوا : امرر على أيِّهم أفضل . (٢)

(١) أنظر البغية ١/٨٢ والطبقات ص ١٢٥ .
(٢) الكتاب ١/٣٩٧ .

وقال : وقال الله عز وجل : " أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى فانتصب لأنه أمر بالاشهاد لأ تذكر إحداهما الأخرى ، ومن أن تذكر ، وقرأ أهل الكوفة : فتذكرُ " (١) رفعا . وقال : وان شئت قلت في تتذكرون ونحوها : تذكّرون كما قلت : تكلمون ، وهي قراءة أهل الكوفة ، فيما بلغنا .

وأما ما يروى عنهم من الصرف فقوله : ونقول في فيْعَل من حديث وقويت حيّا وقيّا وتقول فيهما في فيعِل : حيّ وجيّ ، وينبغي أن يكون فيعَل هو وجه الكلام فيه لأن فيْعِلا عاقبت فَعْيَلا فيما الواو والياء فيه عين ، ولا ينبغي أن يكون في قول الكوفيين الا فَيْعِلا مكسور العين ، لأنهم يزعمون أنه فيعِل وأنه محذوف عن أصله " (٢).

وقد قال السيوطي في البغية (٣) : بعث الخليل الىّ يطلب كتابي فبعثته اليه ، فقرأه ، فكل ما في كتاب سيبويه وقال الكوفي كذا ، فإنما عني الرؤاسي هذا ، وكتابه يقال له الفيصل .

(١) الكتاب ١/ ٤٣٠ .
(٢) الكتاب ٢/ ٤٢٦ .
(٣) ١/ ٨٢ .

وقال المبرد [١] : ما عرف الرؤاسي بالبصرة ، وقد زعم بعض الناس أنه صنف كتابا في النحو فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا فلم يلتفت اليه ولم يجسر على اظهاره لما سمع كلامهم .

ورواية المبرد تنفي ما ذكر الرؤاسي عن نفسه أن الخليل طلب كتابه ، وروايته على ذلك نحوٌ من الفخر بنفسه ، لأن الخليل لا يكاد يروى لسيبويه عن شيخه ، فكيف يأخذ نفسه بالرواية عن الرؤاسي لمجرد أنه قرأ كتابه إذا صح ذلك ؟ فالقراءة وحدها لا تستوجب الدوام ، إلا اذا كان الخليل لم يقنع بقراءة الكتاب فنسخه وحفظه وهيهات أن يبلغ اهتمام الخليل هذا المبلغ ، فهو أول ما ألفت الكوفة في النحو [٢] .

ومما يوضح هذه الحقيقة ما رواه السيوطي في المزهر عن أبي حاتم قوله : كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاسي وهو مطروح العلم وليس بشيء ، وأهل الكوفة يعظمون من شأنه ، ويزعمون أن كثيرا من علومهم وقراءاتهم مأخوذ عنه " .

---

(١) سيبويه ص ١٠١ .
(٢) المزهر ٢/٤٠٠ .

وهذا نص في نفي كلام الرؤاسي عن نفسه ، وزعمه أن الخليل روى له كتابه ومن المعلوم أنه له عما يقال له معاذ بن مسلم الهراء ، وهو نحوى مشهور وهو أول من وضع التصريف كما قيل .

وذكره أبو عمر الداني في طبقات القراء وقال روى الحروف عن أبي عمرو ، وهو معدود في الناقلين عنه ، وسمع الأعمش وهو من جملة الكوفيين ، وله اختيارات في القراءة تروى سمع الحروف منه خلّاد بن خالد المنتصر ، وعلى ابن محمد الكندي .

وروى عنه الكسائي والفراء .

فمن قراءاته : قال الله تعالى : " ألم الله[1] . قال الفراء قرأها رجل من النحويين وهو أبو جعفر الرؤاسي ، وكان رجلا صالحا " ألم ألله " بقطع الألف ، والقراءة بطرح الهمزة . قال الفراء ، وبلغني عن عاصم أنه قرأ بقطع الألف " .[2]

وقوله تعالى : " يوم تقلب وجوههم " قرأ الحسن وعيسى وأبو جعفر الرواسي وأبو حَيْوَة " يوم نقلب وجوههم " بالنون " [3]

(١) سورة آل عمران آية ١ . (٢) معاني القرآن ١/٩ .
(٣) سورة الأحزاب ٦٦ وأنظر مختصر شواذ القرآن لابن خالوية ص١٢٠ .

زعم الرؤاسي أنه سأل ابن عمر وعن إجراء (سبأ) فقال : لست أدري ما هو والعرب تترك إجراء الاسم المجهول " (١)

قال الفراء وزعم أبو جعفر الرؤاسي أنه سأل أبا عمرو فقال شئماته بغير همزة ، فقال أبو عمرو لأني لا أعرفها تركت همزتها (منسأته) " (٢).

وفي قوله تعالى : " لا يحزنهم الفزع الأكبر " قال الفراء وحدثني الرؤاسي عن أبي عمرو بن العلاء " لا يحزنْهم " جزم " (٣).

وفي قوله تعالى : " فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء "

قال الرؤاسي عن أبي عمرو إنّ الفاء في (فقد) جواب الجزاء ، وإن (تأتهم) بكسر الهمزة وهي بسنة واحدة في مصاحف الكوفيين ولم يقرأ بها أحد منهم " (٤)

---

(١) معاني القرآن ٢/٢٨٩ .
(٢) المصدر السابق ٢/٣٥٧ .
(٣) سورة الأنبياء معاني الفراء ٢/٢٧١ .
(٤) سورة محمد وانظر معاني الفراء ٣/٦١ ، والمحتسب ٢/٢٧٠ .

قال الفراء : (وزعم لى الرؤاسى وكان ثقة مأمونا أن سمع واحدها أى واحد أبابيل . إبالة لا ياء فيها " (١).

وجاء فى كتاب ابن خالويه أن الرؤاسى قال واحدتها إبيل وقال آخرون أبابيل لا واحد لها . (٢).

كتبه : -

له من الكتب الفيصل ، معانى القرآن ، التصغير ، الوقف والابتداء الكبير الوقف والابتداء الصغير ، وكتاب الأفراد والجمع .

شعره : -

قال الصلاح الصفدى وله شعر مقبول ، يدعو فيه الى حسن الخلق ، وتقويم النفس ، وتهذيب الأخلاق قال :

ألا يا نفس هل لى صيام
عن الدنيا لعلك تهتدينا
يكون الفطر وقت الموت منها
لعلك عنده تستشرينا

(١) معانى القرآن ٣/٢٩٢ .
(٢) ص ١٩٣ ورسالة نحو القراء الكوفيين ص ١٩٧ .

أجيبيني هديت وأسعفيني
لعلك في الجنان تخلدينا (١)

شيوخه:

تلقى العلم على شيوخ أجلاء فقد روى عن أبي عمرو ، وسمع الأعشى وفي النحو سمع للخليل وتلقى عنه وأخذ عن عيسى بن عمر الثقفي .

تلاميذه : ـ

كان له تلاميذ تلقوا الحروف عنه مثل خَلَّاد المنقري (١) وعلى الكندي . كما روى عنه الكسائي إمام المذهب الكوفي والفراء فهو أستاذهما رحمه الله .

وفاته: ـ

توفي رحمه الله بعد حياة حافلة بالعلم ودفن بالكوفة ولا يعرف تاريخ وفاته ولا سنته .

---

(١) البغية ١/٨٢ .

١٥ـ معاذ الهـــراء

نسبه : ـ

هو معاذ بن مسلم الهراء أبو مسلم وقيل : أبو علـى مولى محمد بن كعب القرظـى ، وعم محمد بن أبى ســارة الرؤاسـى من قدماء النحويين هذا ما أثبته الزبيدى فـى الطبقات (١) ، والسيوطـى فى البغيـة (٢) وفى تذكــرة اليغـمورى (٣) : هو معاذ بن مسلم بن رجاء مولــــى القعقـاع بن شـور .

ولد أيام عبد الملك بن مروان ، وسمى بالهراء ، لأنـــه كان يبيـع الثياب الهرويـة . قال القفطى حكى ابن اسحاق النديم فى كتابـه : فقال : معاذ الهراء عـم الرؤاسى يكـنى أبا على من موالى محمد بن كعـب القرطـبى ، وقيـل كنيتـه أبو مسلم كنـاه أبوه بذلك ثـم ولد له ولد آخر سـماه (عليـا) فكناه بذلك .

علمه وفضلـه : ـ

هو نحوى كوفى وهـو أستاذ الكسائى ، وله شعر كشـعر النحاة ومنه : ـ

(١) ص ١٢٥ . (٢) ٢/ ٢٩٠ .
(٣) انباه الرواه ٣/ ٢٩٠ .

وما كـان على الجـي[1] ولا الهـي[2] امتداحيكا

وكان معاذ شيعيا ، مؤيدا أهل البيت ومشايعهم ، وفي تاريخ بغداد أنه كان من أعيان النحاة ، أخذ عنه أبو الحسن الكسائي ، وغيره ، وصنف كتبا في النحو ، وروى الحديث عن جعفر الصادق ، وعطاء بن السائب وروى عنه عبد الرحمن المحاربي ، والحسن بن الحسين الكوفي .

وعاش معاذ الهراء الى أيام البرامكة[3] لقد عاش بالكوفة واشتغل مع ابن أخيه في النحو غير أنه ولع بالأبنية ودراستها ، حتى عده المؤرخون واضع الصرف .

حقيقة وضعه الصرف :

كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان قد نظر في النحو ، فلما أحدث الناس التصريف أنكره فقال :

قد كان أخذهم في النحو يعجبني

حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

(١) الهي : دعاء الحمار للعلف .
(٢) دعاؤه للماء .
(٣) أنباه الرواه جـ ٣ ص ١٩٢ .

لما سمعت كلاما لست أفهمه
كأنه زجل الغربان والبوم

تركت نحوهم والله يعصمني
من التقحم في تلك الجراثيم

فأجابه معاذ الهراء بقوله :

عالجتها أمرد حتى إذا
شِبْتُ ولم تُحْسِن أبا جِدَها

سميت من بعد فيها جاهلا
يصدرها من بعد إيرادها

سَهَّل منها كل مستصعب
طرد علا أقران أطوادها

وكان أبو مسلم قد جلس إلى معاذ فسمعه يقول لرجل كيف تقول من تؤزهم أزا " .
يا فاعِل افْعَل وصلها بيا فاعل افعل من " وإذا الموءودة سئلت " — وهو يناظر هذا الرجل في النحو فقال عنهم . وقال الأبيات . قال الزبيدي (١) وحوار المسألة يا آز أز وان شئت أزّ وإن أزِّ . وان شئت

(١) الزبيدي ص ١٢٦ .

أوزر فالفتح لأنه أخف الحركات ، والكسر لأنه أحق بالتقاء الساكنين ، والضم للاتباع وكذلك يا وائذ إد مثل يا واعد عد .

قال السيوطي في البغية (1) : ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا وشاع بعد مقولة السيوطي أن معاذ بن الهراء هو واضع هذا العلم ، وأن الكوفيين اشتهروا بوضع الصرف والبصريون النحو ، وهي لا تقدر على الجدال فكتاب سيبويه شامل النحو والصرف ، والجزء الرابع فيه والثالث ذكر المباحث الصرفية ، فكيف يحرم البصريون من ذلك . وهل تبنى قضية علمية بهذا اللمح ، وبذلك الفهم .

يقول صاحب المدرسة الكوفية (2) أما معاذ بن الهراء فقد عده القدماء من النحاة الأولين ولكنهم لم يذكروا له كتابا في النحو ، بل لم يعرفوا له مصنفا فيه (3) ولم ترد كتب النحو له أقوالا نحوية كل ما هنالك أنه يؤدب أولاد عبد الملك بن مروان ، وليس في تأديبه إياهم ما يشعر بأنه من النحاة ، فقد كان يكفي من المؤدب

---

(1) البغية ٢/٢٩١ وأنباه الرواة جـ ٣ ص ٢٩٣ .
(2) ص ٧٥ ، ٧٦ .
(3) نزهة الألباء ص ٦٤ .

أنه راوية شعر وأدب ، أو ممن له إلمام بالقراءات وليس يستبعد أن يكون معاذ بن مسلم هذا من رواة الشعر والأدب ومن الملمين بقراءات القرآن وأحرفه ، فقد كانت الكوفة مهد الرواية الأدبية وموطن القراء .

وقد غلا القدماء في أمره ، فزعم السيوطي أنه واضع علم التصريف ، مستندا في زعمه هذا إلى ما دار بينه وبين أحد الأدباء من مقارضة شعرية ذكرها الزبيدى في طبقاته حول ما كان يدور بين الدارسين من مسائل نحوية وصرفية (وقد ذكرت سابقا هذه القصة) وليس في هذه القصة ما يثبت أن معاذ هو واضع علم التصريف ، بل لعلها تحمل في ثناياها دلائل الوضع والافتعال ، وذلك لأن علم التصريف لم يعرف في ذلك العهد ، وانما كان جزءا من النحو وكانت مسائله تعد مسائل نحوية بلغة العرب يخوض فيها النحاة ، دون تفريق بين باب وباب ، ودون إشارة إلى أن ما تتصل منها بالصرف من واد وما يتصل منها بالنحو من واد آخر ، ولم تنفصل مسائل التصريف عن مسائل النحو إلا بعد عصر سيبويه بزمن طويل ، ولم يثبت أيضا أن معاذا عالج مسائل الصرف كما ذكر الزبيدى والسيوطى قبل أن يعالجها البصريون ، فالناظر في كتاب سيبويه يجد التصريف قد اجتاز مرحلة طويلة من النحو ، مهدت له

سبيل الاستقلال ، مما يدل على أن أصوله تجرى على ألسنة الدارسين قبل سيبويه . يضاف الى هذا أن ياقوتا كان قد عرض لقصة هذه الأبيات ولكنه نسبها إلى أعرابى كان يجلس إلى الكسائى لا الى معاذ الهراء وكان يعجبه ما يدور فى مجلسه من مسائل نحوية ، فلما سمعهم يتفاخرون فى التصريف ولم يهتد الى ما كانوا يقولون فارقهم وأنشأ ما قاله شعرا . فإن لم تكن هذه القصة موضوعة ، فليس معاذ بمبتكر مثل هذه المسألة بل كان فى أكبر الظن مسبوقا الى أمثالها ، ولا سيما أن كان من المعمرين ، وأنه كما يزعم بعض الباحثين بصرى انتقل هو وابن أخيه الى الكوفة وأذاعا فيها علم أهل البصرة " . (١)

فالراجح عندى أن النحو والتصريف من وضع أهل البصرة ومعاذ قد أولع بالأبنية والتمارين ، وليس بمبتكر لهذا العلم، وكتاب سيبويه الجامع للنحو والصرف أكبر شاهد على صحة ما نذهب اليه .

---

(١) طه الراوى فى النحو مجلة المجمع العلمى بدمشق جـ ٩ ، ١٠ ص ٣١٧ .

معاذ والشعراء : —

يحكى القفطي أن معاذا كان صديقا للكميت الأسدى الشيعى ، فأشار عليه بالخروج من عمل القرى ، وكان شديد العصبية على الحضرية ، فلم يقبل منه ، فلما قبض خالد على الكميت وحبسه ، اغتم معاذ وقال :

نصحتك والنصيحة إن تعدت
هوى المنصوح عَزَّلها القبول

فخالفت الذى لك فيه رشد
فنالت دون ما أُملت غول

فعاد خلاف ما تهوى خلافا
له عرض من البلوى وطول

فبلغ الكميت قوله فكتب اليه : —

أراك كمهدى الماء للبحر حاملا
إلى الرمل من يَبْرين مُتَّجِراً رملا (١)

وعاش معاذ الهراء الى أيام البرامكة وقد ولد فى أيام يزيد بن عبد الملك ومات فى السنة التى نكب فيها البرامكة

---

(١) أنباء الرواه ٣/٢٨٩ .

وكان له أولا وأولاد أولاد ، ماتوا كلهم وهو باق ولم يصنف شيئا ، ولا كتاب له يعرف " (١).

وقال بعض كتاب معاذ بن مسلم : صحبت معاذا فسأله رجل ذات يوم : كم سنك ؟ قال ثلاث وستون قال أنا معك منذ إحدى وعشرين سنة كلما سألك إنسان عن عمرك قلت : ثلاث وستون سنة قال : لو كنت معى إحدى وعشرين سنة أخرى ما قلت إلا هذا وقد هجاه الخزرجى كما ذكره الجاحظ فى الحيوان فقال محمد بن معاذ " (٢).

إن معاذ بن مسلم رجل
قد ضج من عمره الأبد

قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهـ
ـر وأثواب عمره جدد

يا نسر نعمان كم تعيش وكم
تسحب ذيل الحياة يا لُبَد

قد أصبحت دار آدم خربت
وأنت فيها كأنك الوتِد

تسأل غربانها اذا نعبت
كيف يكون الصداع والرمد

(١) جـ٧ص ٥١ . (٢) آخر نسور لقمان السبعة .
(٣) البغية ٢/٢٩٢ .

مصبحا كالظليم ترفل فى
بردیك منك الجبين يتَّعِد
فاذهب ودعنا فإن غايتك الـ
موت وإن شد ركتك الجلد

وأنشد معاذ فى بنى برمك الذى شهد نكبتهم على يد الرشيد ٠

إن بنى برمك أتاهم
جهر من الموت غير سر
عقهم الدهر بعد بر
كأنه طالب بوتر
أبدلهم بالنعيم بؤسا
وزلة بعد طول كبر

ومات معاذ فى تلك السنين ، وأدرك أولاد ، وأولاد أولاد ، رجالا وماتوا كلهم ٠ وفى ذلك يقول :

ما يرتجى فى العيش من قد طوى
من عمره الذاهب تسعينا
أفنى بنيه وبنيهم فقد
جرَّعه الدهر الأمرّينا

لابد أن يشرب من حوضهم
وإن تراخى عمره حينا

وله شعر قاله بعد هروب الكميت من سجن خالد ، حيث لبس ثياب زوجته وهرب ولحق بمسلمة بن هشام واستجار به .

وقال يصف خروجه اليه :

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل
اليك على تلك الهزاهز والأزل (١)
على ثياب الغانيات وتحتها
عزيمة رأى أشبهت سلة النصل

قال معاذ : عرضت بقلبى نقلتها ، وفيها عبرة :

أنّ وتّف ، عاجلا آجلا
لهذه الدار وأقذارها
بينا ابنها يرضيه إقبالها
عليه إذ ريع بإدبارها
فسلبته لبن ميسورها
وأعقبته ضيق إعسارها
ما العار الا فى ارتباطها
وتركها تنجيك من عارها

(١) الهزاهز : تحريك البلايا والحروف . والأزل : الضيق والشدة .

وله ذوقه الأدبي ، ومعرفة بمكانة الشعراء فقد سئل من أشعر الناس فقال من الجاهليين امرؤ القيس ، وعبيد ، وزهير ومن الاسلاميين : الفرزدق وجرير والأخطل والراعي وأما الكميت . فهو أشعر الأولين والآخرين وهذا يدل على حبه الشديد لتشيعه كالكميت " (١).

قال القفطي وأخبار معاذ وأشعاره كثيرة وقد أوردت منها في هذا المختصر مالا بد منه .

وفاته :

توفي معاذ — وهو من أعيان النحاة — بالكوفة بعد حياة حافلة بالعلم والأدب والشعر ، وصنف كتبا في النحو ، ولكنها درست ، وعفى عليها الزمن ، مات سنة سبع وثمانين وقيل سنة تسعين ومائة وقد عاش مائة وخمسين سنة — رحمه الله — قال عثمان بن أبي شيبة : رأيت معاذ بن مسلم وقد شد أسنانه بالذهب ، ومات معاذ سنة تسعين ومائة فالرجل عمر طويلا .

---

(١) أنباء الرواة ٣/٢٩٥.
(٢) بغية الوعاة ٢/٢٩٢.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

أ ٠هـ النحو قبل التدوين

أ ٠د / صلاح عبد العزيز على السيد

المنصورة فى ١٩ من جمادى الأولى ١٤٢١هـ
١٩ من أغسطس ٢٠٠٠ م